موسوعة العلامة

ابن خلدون

المجلد الثامن

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

دار الكتاب المصري

طباعة . نشر . توزيع

[illegible]

دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول

تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)

برقياً: ناكتبان - ص.ب: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان

FAX: (9611) 351433

ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

تاريخ العلامة

ابن خلدون

المجلد السادس

I.S.B.N. 977 - 238 - 046 - 1

دار الكتاب المصري

٣٣ شارع قصر النيل ـ القاهرة ج. م. ع.
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٢٩٣٤٣٠١ ـ فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)
ص.ب.: ١٥٦ ـ الرمز البريدي ١١٥١١ ـ برقياً: كتامصر
FAX: (202) 3924657
ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دار الكتاب اللبناني

شارع مدام كوري ـ مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ ـ ٧٣٥٧٣٢ ـ فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: ناكتبان ـ ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ ـ بيروت ـ لبنان
FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

طبعة مزيدة ومنقحة

١٤٢٠ هـ
H. 1420

١٩٩٩ م
A.D. 1999

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الأكبر
وهو تاريخ وحيد عصره

العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد السادس

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

المجلد الثالث

القسم الرابع

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وفي سنة ثمان وستين كان مقتل الخجستاني و [1] أصحابه بعده على رافع بن هَرْثَمَة من قُوّاد بني طاهر، وملك بلاد خُراسان وخوارَزم. وفيها انتقض محمد بن الليث بفارِسَ على أخيه عمرو فسار اليه وهزمه واستباح عسكره، وملك أصطيخور وشيراز وظفر به فحبسه كما مرّ وفيها كانت وقعة بين اتكوتكين بن أساتكين وبين أحمد بن عبد العزيز بن أبي دُلَف، فهزمه اتكوتكين وغلبه على قُمّ. وفيها بعث عمرو بن الليث عسكراً الى محمد بن عبدالله الكردي. وفيها انتقض لؤلؤ على مولاه أحمد بن طولون، وسار الى المُوَفّق وقاتل معه الزِنج وفيها سار المعتمد الى ابن طولون بمصرَ مُغاضباً لأخيه المُوَفّق. وكتب المُوَفّق الى اسحاق ابن كِنداجُق بالموصل بردّه فسار معه الى آخر عمله. ثم قبض على القوّاد الذين معه وردّه الى سامرا. وفيها وثب العامة ببغداد بأميرهم الخَلَنْجِيّ وكان كاتب عُبَيْدِالله بن طاهر. وقتل غلام له

---

(١) هنا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٤٠: وفيها قتل أحمد بن عبد الله الخجستاني، في ذي الحجة، قتله غلام له.

امرأة بسهم فلم يعدِهم عليه، فوثبوا به وقتلوا من أصحابه ونهبوا منزله وخرج هارباً، فوركب محمد بن عبدالله واستردّ من العامة ما نهبوه.

وفيها وثب بطرسوس خلق من أصحاب ابن طولون وعامله على الثغور الشاميّة فاستنقذه أهل طرسوس من يده، وزحف اليهم ابن طولون فامتنعوا عليه ورجع الى حمصَ ثم الى دِمَشق. وفيها كانت وقعة بين العَلَويين والجعفريّين بالحجاز، فقتل ثمانية من الجعفريّين وخلصوا عامل المدينة من أيديهم. وفيها عقد هارون ابن الموفق لابي الساج على الأنبار والرَحَبَةَ وطريق الفرات. وولّى محمد بن أحمد على الكوفة وسوادها، ودافعه عنها محمد ابن الهيثم، فهزمه محمد ودخلها. وفيها مات عيسى بن الشَّيخ عامل الشَيْبَانِيّ عامل ارمينيَة وديار بَكر. وفيها عَظُمَت الفتنة بين المُوَفق وابن طولون، فحمل المُعتَمد على لعنه وعزله وولى إسحاق ابن كنداجق على أعماله الى افريقية وعلى شرطة الخاصة. وقطع ابن طولون الخطبة للمُوَفّق واسمه من الطِرَازِ. وفيها ملك ابن طولون الرَحَبَةِ بعد مقاتلة أهلها وهَرَب أحمد بن مالك بن طوق الى الشام. ثم سار الى ابن الشمَّاخ بقَرْقيسيا.

وفي سنة سبعين كان مقتل صاحب الزَنجِ وانقراض دعوته، ووفاة الحسن بن زَيدِ العَلَويّ صاحب طَبَرَستَان وقيام أخيه محمد بأمره ووفاة أحمد بن طولون صاحب مِصْر وولاية ابنه خَمَارَوَيْه

ومسير اسحاق بن كِنْداجُق بابن دعامس عامل الرقّة والثُغور والعواصم لابن طولون .

وفي سنة احدى وسبعين ثار بالمدينة محمد وعلي ابنا الحسن ابن جعفر بن موسى الكاظم وقتلا جماعة من أهلها ونهبا أموال الناس ومنعا الجُمعة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً وفيها عزل المُعتَمِد عَمْرو بن الليث من خُراسان فقاتله أحمد بن عبدالله ابن أبي دُلَفٍ بأصْبَهان وهزمه . وفيها استعاد خمارويه الشام من يد أبي العبّاس بن الموفق وفرّ الى طرسوس كما تقدّم . وفيها عقد المعتمد لاحمد بن محمد الطائي على المدينة وطريق مكّة ، وكان يوسف بن أبي الساج والي مكة ، وجاء بَدْرٌ غُلامُ الطائي اميراً على الحاج فحاربه يوسفُ على باب المسجد الحرام وأسره ، فسار الجند والحاج بيوسف وأطلقوا بدراً من يده وحملوا يوسف اسيراً الى بغداد .

وفي منتصف سنة اثنتين وسبعين غلب اتكوتكين على الريّ من يد محمد بن زيد العَلَويّ سار هو من قَزْوين في اربعة آلاف ومحمد بن زَيدٍ من طَبَرْسَتان في الدّيلم واهل خُراسان ، فانهزموا وقتل منهم ستة آلاف . وفيها ثار اهل طرسوس بأبي العبّاس بن المُوَفّق واخرجوه الى بغداد وولوا عليهم بازيار . وفيها توفي سُلَيْمان ابن وَهْبٍ في حبس الموفق . وفيها دخل حَمْدان بن حَمْدون وهارون مدينة الموصل . وفيها قدم صاعد بن مخلد الوزير من فارس ، وقد

كان بعثه الموفق اليها لحرب [(١)] فرجع الى واسط، وركب القوّاد لاستقباله فترجّلوا اليه وقبّلوا يده ولم يكلمهم . ثم قبض الموفق على جميع اصحابه واهله ونهب منازلهم، وكتب الى بغداد بقبض ابنه ابي عيسى وصالح واخيه عَبْدون، واستكتب مكانه ابا الصَّقْر اسماعيل بن بلبل، واقتصر به على الكتابة .

وفيها جاء بنو شَيْبان الى الموصل فعاثوا في نواحيها واجمع هارون الشّاريّ واصحابه على قصدهم، وكتب الى احمد بن حمدون الثَّعْلبي فجاءه وساروا الى الموصل وعبروا الجانب الشرقي من دجلة . ثم ساروا الى نهر الخادر، فلما تراءى الجمعان انهزم هارون واصحابه وانجلى سُوى عنها .

وفي سنة ثلاث وسبعين وقعت الفتنة بين ابن كِنداجُق وبين ابن ابي الساج، وسار ابن ابي الساج الى ابن طولون واستولى على الجزيرة والموصل، وخطب له فيها وقاتل الشراة كما ذكرنا . وفيها قبض المُوَفَّقُ على لؤلؤ غلام بن طولون، وصادره على اربعمائة ألف دينار . وبقي في إدبار الى أن عاد الى مِصرَ أيام هارون بن خمارَوَيه .

وفي سنة أربع وسبعين سار الموفق الى فارس فاستولى عليها من يد عمرو بن الليث، ورجع عمرو الى كرمان وسِجِسْتان، وعاد الموفق الى بغداد .

(١) هنا بياض في الأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٦٠، وفي الطبري ج ١١ ص ٣٣١ : وفيها قدم صاعد بن مخلد من فارس ودخل واسط في رجب.

وفي سنة خمس وسبعين نقض ابن أبي الساج طاعة خمارويه، وقاتله خمارويه فهزمه وملك الشام من يده وسار الى الموصل وخمارويه في اتباعه الى بغداد، ولحق ابن أبي الساج بالحُديْثَةِ فأقام بها الى أن رجع خمارويه. وكان اسحاق بن كِنْداج قد جاء الى خمارَوَيْه فبعث معه جيشاً وقوّاداً في طلب ابن أبي الساج واشتغل بعمل السفن للعبور اليه، فسار ابن أبي الساج عنها الى الموصل، وأتّبعه ابن كنداج وسار الى الرَّقّة فأتبعه ابن أبي الساج، وكتب الى الموفّق يستأذنه في اتباعه الى الشام. وجاء ابن كنداج بالعساكر من عند خمارويه وأقام على حدود الشام. ثم هزم ابن أبي الساج فسار الى الموفق وملك ابن كنداج ديار ربيعة وديار مُضَر، وقد تقدّم ذكر ذلك.

وفيها خرج أحمد بن محمد الطائي من الكوفة لحرب فارس العبدي كان يخيف السابلة فهزمه العَبْدِيّ، وكان الطائي على الكوفة وسوادها وطريق خُراسان وسامرا وشرطة بغداد وخراج بادردباد قطربل. وفيها قبض الموفق على أبنه أبي العباس وحبسه. وفيها ملك رافع بن هَرْثَمَةَ جَرْجان من يد محمد بن زيدٍ وحاصره في استراباد نحواً من سنتين، ثم فارقها الجيش لحربه فسار عن سارية وعن طبرستان سنة سبع وسبعين. وأستأمن رُسْتُم بن قارن الى رافع، وقدم عليه عليّ بن الليث من حبس أخيه بكرمان هو وأبناه المعدل والليث. وبعث رافع على سالوس محمد بن هارون وجاء

اليه علي بن كاني مستأمِناً فحصرهما محمد بن زيد، وسار اليه رافع ففرّ الى أرض الدّيلم ورافِع في اتباعه الى حدود قزوين فسار فيها وأحرقها وعاد الى الرّيّ.

وفي سنة ست وسبعين رضي المُعتَمِدُ عن عمرو بن الليث وولاه وكتب اسمه على الاعلام، وولّى على الشُرطة ببغداد من قِبَلِه عُبَيْدالله بن عبدالله بن طاهر. ثم انتقض فأُزيل. وفيها كان مسير الموفق الى الجبل لأتكوتكين ومحاربة أحمد بن عبد العزيز ابن أبي دلف، وقد تقدّم ذلك. وفيها ولّى الموفّقُ ابن أبي الساج على أذرَبَيْجَان فسار اليها، ودافعه عبدالله بن حسن الهمذاني صاحب مراغة فهزمه بن أبي الساج واستقرّ في عمله. وفيها زحف هارون الشاري من الحديثة الى الموصل يريد حربها، ثم صانعه أهل الموصل ورحل عنهم. وفي سنة سبع وسبعين دعا مازيار بطرسوس لخمارَوَيه بن أحمد بن طولون، وكان أنفذ اليه ثلاثين الف دينار وخمسمائة ثوب وخمسمائة مطرف وسلاحاً كثيراً. وبعث اليه بعد الدعاء بخمسين الف دينار.

وفي سنة ثمان وسبعين كانت وفاة المُوَفّق وبيعة المُعتَضِد بالعهد كما مرّ، وفيها كان ابتداء امر القَرامِطَةِ وقد تقدّم. وفي سنة تسع وسبعين خلع جَعفَر بن المعتمد وقدم عليه المعتضد، وكانت الحرب بين الخوارج واهل الموصل، وبين بني شَيْبَان. وعلى بني شيبان هارون بن سيما من قبل محمّد بن اسحاق بن كِنداج ولّاه عليها

فطرده اهلها، فزحف اليهم مع بني شيبان، ودافع عن اهل الموصل هارون الشاري وحمدان بن حمدون، فهزمهم بنو شيبان، وخاف اهل الموصل من ابن سيما وبعثوا الى بغداد يطلبون والياً، فولّى المعتمد عليهم محمد بن يحيى المجروح الموكل بحفظ الطريق، وكان ينزل الحُدَيثة فأقام بها أيّاماً ثم استبدل منه بعلي بن داود الكردي.

وفاة المعتمد وبيعة المعتضد

توفي المُعتَمِد على الله ابو العبّاس احمد بن المُتَوَكِّل لعشر بقين من رَجَبَ سنة تسع وسبعين ومائتين، لثلاث وعشرين سنة من ولايته، ودُفِنَ بسامُرّا، وهو اوّل من انتقل الى بغداد، وكان في خلافته مغلباً عاجزاً، وكان اخوه الموفق مستَبِدًّا عليه، ولم يكن له معه حكم في شيء. ولما مات المُوَفّق سنة ثمان وسبعين كما قدّمناه اقام مكانه ابنه ابا العبّاس احمد المعتضد، وحَجَرَ المُعتَمِدَ كما كان ابوه يَحجُرُهُ، وولاه عهده كما كان ابوه. ثم قدّمه في العهد على ابنه جعفر، ثم هلك فبايع الناس لِلمُعتَضِد بالخلافة صبيحة موته، فولّى غلامه بَدراً الشُرطة وعُبَيدَ الله بن سُلَيمانَ بن وَهب الوزارة ومحمد بن الشاري بن ملك الحرس. ووفد عليه لاوّل خلافته رسول عمرو بن الليث بالهدايا وسأل ولاية خُراسان فعقد له عليها، وبعث اليه بالخِلع واللِواء. ولأوّل خلافته مات نصر بن احمد الساماني ملك ما وراء النهر، وقام مكانه اخوه اسماعيل.

مقتل رافع بن الليث

كان رافع بن الليث قد وضع يده على قرى السلطان بالريّ وكتب اليه المُعتضد برفع يده عنها، فكتب الى احمد بن عبد العزيز بن ابي دُلَف بإخراجه عن الريّ فقاتله واخرجه وسار الى جَرجان ودخل نيسابور سنة ثلاث وثمانين، فوقعت بينه وبين عمرو حرب، وانهزم رافع الى أَسوَرْد، وخاص عمرو وابني اخيه من حبسه، وهما المَعدّلُ والّليثُ ابنا علي بن الليث، وقد تقدّم خبرهما. ثم سار رافع الى هَراة ورصده عمرو بسرخس، فشمر به ورجع الى نيسابور في مسالك صعبة وطرق ضيقة، واتبعه عمرو فحاصره في نيسابور. ثم تلاقيا وهرب عن رافع بعض قُوّاده الى عمرو فانهزم رافع، وبعث اخاه محمد بن هَرثَمةَ الى محمد بن زيد يستمدّه كما شرط له فلم يفعل. وافترق عن رافع اصحابه وغلمانه، وفارقه محمد بن هارون الى أحمد بن اسماعيل في بخارى، ولحق رافع بخَوارَزم في فَلّ من العسكر ومعه بقية أمواله وآلته، ومرّ في طريقه بأبي سعيد الدرغاني ببلد (١) فاستغفله وغدر به وحمل رأسه الى عمرو بن الليث بنيسابور، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين.

خبر الخوارج بالموصل

قد تقدّم لنا أنّ خوارجَ الموصل من الشراة استقدر عليهم بعد مُساور هارون الشاري وذكرنا شيئاً من أخبارهم. ثم خرج

(١) وهنا بياض بالأصل، وقد وردت هذه الحادثة في كل من الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٨٤، والطبري ج ١١ ص ٣٥٢ باختلاف يسير عما هي هنا ويظهر من سير الحادثة في الكتابين أن اسم البلد «طوس».

عليه سنة ثمانين محمّد بن عَبادَة ويعرف بأبي جوزه من بني زهير من البقعاء، وكان فقيراً ومعاشه ومعاش بنيه في التقاط الكمأة وغيرها وأمثال ذلك، وكان يتديّن ويُظهر الزُهد، ثم جمع الجموع وحكم، واستجمع اليه الاعراب من تلك النواحي، وقبض الزَكوات والاعشار من تلك الاعمال، وبنى عند سنجار حِصْناً ووضع فيه أمتعته وماعونه ، وأنزل به ابنه أبا هلال في مائة وخمسين، فجمع هارون الشاري أصحابه وبدأ بحصار الحِصْن، فأحاط به ومحمد ابن عبادة في داخله. وجدّ في حصاره حتى أشرف على فتحه، وقيد أبا هلال ابنه ونفراً معه، وبعث بنو ثعلب وهم مع هارون الى من كان بالحصن من بني زهير فأمنوهم، وملك هارون الحصنَ . ثم ساروا الى محمد فلقيهم وهزمهم أولاً ثم كرّوا عليه مستميتين فهزموه، وقتلوا من أصحابه ألفاً وأربعمائة . وقسم هارون ماله ، ولحق محمد بآمد ، فحاربه صاحبها احمد بن عيسى بن الشيخ، فظفر به وبعثه الى المُعتَضِدِ فسلخه حياً .

ايقاع المعتضد ببني شيبان واستيلاؤه على ماردين

وفي سنة ثمانين سار المُعتَضدُ الى بني شيبان بأرض الجزيرة ففروا أمامه، وأثار على طوائفَ من العرب عند السِّند، فاستباحهم وسار الى الموصل، فجاءه بنو شَيْبَانَ وأعطوه رهنهم على الطاعة، فقبلهم وعاد الى بغداد . وبعث الى أحمد بن عيسى بن الشيخ في أموال ابن كنداج التي أخذها بآمد، فبعث بها وبهل [1] أياماً

---

(١) لا معنى لكلمة بهل هنا، ولعلها استبهل بمعنى: ترك. استبهل الوالي رعيته: تركهم يفعلون ما شاؤوا.

كثيرة معها . ثم بلغه أن أحمد بن حمدون ممالىء لهارون الشاري وداخل في دعوته، فسار المعتضد اليه سنة احدى وثمانين . واجتمع الاعراب من بني ثعلب وغيرهم للقائه، وقتل منهم، وغرق في الزاب كثيراً، وسار الى الموصل . ثم بلغه ان أحمد هرب عن ماردين، وخلّف بها ابنه، فسار المعتضد اليه ونازله وقاتله يوماً، ثم صعد من الغد الى باب القلعة، وصاح بابن حمدان واستفتح الباب ففتح له دَهَشاً، وأمر بنقل ما في القلعة وهدمها، وبعث في طلب حمدان وأخذ أمواله .

الولاية على الجبل واصبهان

عقد المُعتَضدُ سنة احدى وثمانين لابنه عليّ، وهو المكتفي على الريّ وقَزوين وزَنجان وأبهَر وقُمّ وهَمَذان والدّينور فاستأمن اليه عامل الريّ لرافع بن الليث، وهو الحسن بن علي كوره فأمنه وبعث به الى أبيه .

عود حمدان الى الطاعة

وفي سنة اثنتين وثمانين سار المُعتَضدُ الى الموصل واستقدم اسحاق بن ايوب وحَمْدان بن حمدون فبادر اسحاق بقلاعه، وأودع حرمه وأمواله، فبعث اليه المعتضد العساكر مع وصيف ونصر القَسوري فرّوا بذيل الزعفران من أرض الموصل، وبه الحَسَنُ ابن عليّ كوره، ومعه الحسين بن حمدان . فاستأمن الحُسَيْنُ وبعثوا به الى المعتضد فأمر بهدم القلعة . وسار وصيف في اتباع

حمدان فواقعه وهزمه وعبر الى الجانب الغربي من دجلة، وسار في ديار ربيعة، وعبرت اليه العساكر وحبسوه فأخذوا ماله، وهرب وضاقت عليه الارض، فقصد خيمة اسحاق بن أيوب في عسكر المعتضد مستجيراً به فأحضره عند المعتضد فوكل به وحبسه .

هزيمة هارون الشاري ومهلكه

كان المعتضدُ قد ترك بالموصل نصراً القسرويّ لاعادته العمال على الجباية، وخرج بعض العمال لذلك فأغارت عليهم طائفة من أصحاب هارون الشاري وقتل بعضهم، فكثر عَيْث الخوارج . وكتب نصر القسروي الى هارون يهدّده، فأجابه وأساء في الردّ وعرّض بذكر الخليفة فبعث نصر بالكتاب الى المعتضد فأمره بالجدّ في طلب هارون، وكان على الموصل يكتم طاتشمر من مواليهم، فقبض عليه وقيّده وولى على الموصل الحسن كوره، وأمر وُلاة الاعمال بطاعته، فجمعهم وعسكر بالموصل، وخندق على عسكره الى أن أوقع بالناس غلاتهم . ثم سار الى الخوارج وعبر الزّاب اليهم فقاتلهم قتالًا شديداً، فهزمهم وقتل منهم وافترقوا، وسار الكثير منهم الى أَذْرَبِيْجَان ودخل هارون البرّيّة واستأمن وجوه أصحابه الى المعتضد فأمّنهم .

ثم سار المُعتَضدُ سنة ثلاثٍ وثمانين في طلب هارون، فانتهى الى تكريت، وبعث الحسين بن حمدون في عسكرٍ نحو من ثلثمائة فارس، واشترط ان جاء به اطلاق ابنه حمدان، وسار معه

وصيف وانتهى الى بعض مخايضِ دجلة فأرصد بها وصيفاً وقال: لا تفارقوها حتى تروني! ومضى في طلبه فواقعه وهزمه، وقتل من أصحابه. وأقام وصيف ثلاثة أيام فأبطأ عليه الامر، فسار في اتباع ابن حمدان، وجاء هارون منهزماً الى تلك المخاضة فعبر، وابن حمدانَ في أثره الى حي من أحياء العرب قد اجتاز بهم هارون، فدلّوا ابن حمدان عليه، فلحقه وأسره وجاء به الى المعتضد. فرجع المعتضد آخر ربيع الاول، وخلع على الحسين واخوته وطوقه، وأدخل هارون على الفيل وهو ينادي: لا حُكْمَ الا لله ولو كَرِهَ المشركون، وكان صُفْديًّا.

ثم أمر المُعتَضِدُ بحلِّ القُيود عن حَمدان بن حَمدون والإحسان اليه وباطلاقه. وفي سنة اثنتين وثمانين سار المعتضد من الموصل الى الجبل، فبلغ الكَرَخَ، فهرب عُمَرُ بن عبد العزيز بن أبي دُلَف بين يديه، فأخذ أمواله وبعث اليه في طلب جدّ كان عنده فوجهه اليه. ثم بعث المُعتَضِدُ وزيره عُبَيْدَ الله بن سليمان الى ابنه بالريّ ليسير من هنالك الى عُمَرَ بن عبد العزيز بالامان، فسار وأمّنه ورجع الى الطاعة، فخلع عليه وعلى أهل بيته، وكان أخوه بكر ابن عبد العزيز قد استأمن قبل ذلك الى عُبَيْدالله بن سليمان وبدر فولّاه عمله، على أن يسير الى حربه. فلما وصل عمر في الامان قال لبكر: إنّا ولّيناك وأخوك عاص، فامضيا الى أمير المؤمنين المعتضد، وولى عيسى النَوْشَريّ على أصبهان من قبل عمر، وهرب

بكرٌ الى الأهواز .

وسار عُبَيْدُ الله بن سليمان الوزير الى عليّ بن المعتضد بالري ، ولما بلغ الخبر الى المعتضد بعث وصيفاً مُوسَكين الى بكر بن عبد العزيز بالاهواز، فلحقه بحدود فارس . فمضى بكر الى اصبهان ليلاً، ورجع وصيف الى بغداد ، وكتب المعتضد الى بدر مولاه بطلب بكر بن عبد العزيز وحربه . فأمر بذلك عيسى النوشري فقام به ولقي بكراً بنواحي أَصْبَهان ، فهزمه بكر ، ثم عاد النوشري لقتاله سنة أربع وثمانين، فهزمه بنواحي اصبهان واستباح عسكره.

ولجأ بكر الى محمد بن زَيد العَلَويّ بطَبَرَسْتَان، وهلك بها سنة خمس وثمانين . وكان عُمَرُ لما مات أبوه قبض على أخيه الحرث ، ويكنّى أبا ليلى ، وحبسه في قلعةِ ردّ ، ووكل به شفيعاً الخادم . فلما جاء المعتضد وأستأمن من عُمَرَ وهرب بكر وبقيت القلعة بيد شفيع بأموالها ، رغب اليه الحرث في اطلاقه فلم يفعل، وكان شفيع يسامره كل ليلة وينصرف ، فحادثه ليلة ونادمه ، وقام شفيع لبعض حاجتــه ، فجعل الحرث في فراشه تمثالا وغطّاه ، وقال لجاريته قولي لشفيع اذا عاد هو نائم ومضى . فاختفى في الدار ، وفك القيد عن رجله بمبرد أدخل اليه ورد به مساره . ولما أُخبِرَ شفيع بنومه مضى الى رقده ، وقصده أبو ليلى على فراشه فقتله، وأمر أهل الدار واجتمع عليه الناس فاستحلفهم ووعدهم ، وجمع الاكراد وغيرهم وخرج من القلعة ناقضاً للطاعة . فسار الى عيسى

النوشري وحاربه فأصاب أبا ليلى منهم فمات وحُمِلَ رَأْسُهُ الى أَصبَهان ثم الى بغداد .

خبر ابن الشيخ بآمد

وفي سنة خمس وثمانين توفي أحمد بن عيسى بن الشيخ ، وقام بأمره في آمد واعمالها ابنه محمد ، فسار المعتضد اليه في العساكر ومعه ابنه أبو محمد علي المكتفي ، ومرّ بالموصل وحاصر المعتمد الى ربيع الآخر من سنة ست وثمانين ، ونصب عليها المجانيق حتى استأمن لنفسه ولاهل آمد . وخرج الى المعتمد فخلع عليه وهدم سورها . ثم بلغه أنه يروم الهرب ، فقبض عليه وعلى أهله .

خبر ابن ابي الساج

قد تقدّم لنا وِلاية محمَّد بن أبي الساج على أذْرَبَيْجَان ومدافعة الحسين اياه عن مراغة ثم فتحها، واستيلاؤه على أعمال أذربيجان . وبعث المعتضد سنة اثنتين وثمانين أخاه يوسف بن أبي الساج الى الصُمرَة مدداً لفتح القلانسيّ غلام الموفق، فخرج يوسف فيمن أطاعه فولّاه المعتضد على أعماله، وبعث اليه بالخِلَعِ وأعطاه الرهن بما ضمن من الطاعة والمناصحة وبعث بالهدايا .

القرامطة

ابتداء امر القرامطة بالبحرين والشام

كان في سنة إحدى وثمانين قد جاء الى القَطِيف بالبَحْرَيْن رجل تسمّى بيحيي بن المهديّ وزعم أنه رسول من المَهْدِيّ، وأنه قد قرب

خروجه، وقصد من أهل القطيف عليّ بن المُعلّى بن حَمْدان الرباديني، وكان متغالياً في التَّشَيُّع، فجمع الشيعة وأقرأهم كتاب المهديّ ليشيع الخبر في سائر قرى البَحْرَيْن، فأجابوا كلهم وفيهم أبو سعيد الجنابيّ وكان من عظمائهم. ثم غاب عنهم يحيى بن المَهْدِيّ مدّةً ورجع بكتاب المهدي يشكرهم على إجابتهم، وأمرهم ان يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم ففعلوا. ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا اليه خُمسَ اموالهم فدفعوا، واقام يتردّد في قبائل قَيْس. ثم أظهر ابو سعيد الجنابي الدعوة بالبَحْرَيْن سنة ست وثمانين، واجتمع اليه القَرَامِطَة والاعراب، وقتل واستباح، وسار الى القطيف طالباً البصرة، وبلغت النفقة فيه اربعة عشر الف دينار.

ثم قرب ابو سعيد من نواحي البصرة، وبعث المعتضد اليهم المدد مع عبّاس بن عُمَرَ الغَنَوِيّ، وعزله عن فارس وأقطعه اليَمَامَة والبحرين، وضمّ اليه ألفين من المُقاتِلَة، وسار الى البصرة وأكثر من الحشد جنداً ومُتَطَوِّعَةً. فسار ولقي أبا سعيد الجنابي، ورجع من كان معه من بني ضَبَّةَ الى البصرة. ثم كان اللقاء فهزمه الجنابي وأسره واحتوى على معسكره، وحرق الاسرى بالنار، وذلك في شعبان من هذه السنة. وسار الى هجر فملكها وأمّن أهلها ورجع الى أهل البصرة، وبعثوا اليهم بالرواحل عليها الطعام والماء، فاعترضهم بنو أسد واخذوا الرواحل وقتلوا القَلّ واضطربت البصرة

وتشوّف أهلها الى الانتقال، فنعهم الواثقي، ثم أطلق الجنابي العبّاس الغَنَوِيّ، فركب الى الأُبُلّة وسار منها الى بغداد، فخلع عليه المعتضد.

وأمّا ظهورهم بالشام فان داعِيَتهم ذَكْرَوَيْه بن مَهْرَوَيْه الّذي جاء بكتاب المَهْدِيّ الى العراق لما رأى الجيوش متتابعةً الى القَرامِطة بالسواد، وأبادهم القتل، لحق بأعراب أَسَدٍ وطيء، فلم يجبه. فبعث أولاده في كلب بن وَبْرَة فلم يجبه منهم إلّا بنو القَلَيْطِيّ ابن ضَمْضَم بن عديّ بن جناب، فبايعوا ذكرويه ويسمى بيحيى ويكنى بأبي القاسم، ولقبوه الشيخ، وأنه من ولد اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق، وأنه يحيى بن عبدالله بن يحيى بن اسماعيل. وزعم أن له مائة ألف تابع، وان ناقته التي يركبها مأمورة فمن تبعها كان منصوراً. فقصدهم شبل مولى المتضدِ في العساكر من ناحية الرصافَةِ فقتلوه. فسار اليهم شبل مولى أحمد بن محمد الطائي فأوقع بهم.

وجاء ببعض رؤسائهم أسيراً فأحضره المعتضد وقال له: هل تَزْعُمون أنّ روح الله وأنبيائه تحل في أجسادكم فتعصمكم من الزلل، وتوفِّقكم لصالح العمل؟ فقال له يا هذا أرأيت ان حلّت روح ابليس فما ينفعك؟ فاترك ما لا يعنيك الى ما يعنيك. قال له فقل فيما يعنيني؟ فقال له: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوكم العبّاس حيّ فلم يطلب الامر ولا بايعه. ثم مات أبو بكر واستخلف

عمر وهو يرى العبّاس ولم يعهد اليه عمر ولا جعله من أهل الشورى، وكانوا ستة وفيهم الاقرب والابعد، وهذا اجماع منهم على دفع جدك عنها . فبماذا تستحقون أنتم الخلافة ؟ فأمر به المُعتَضدُ فعُذِّب وخُلِعَتْ عظامه، ثم قطِّع مرّتين، ثم قتل . ولما أوقع شبل بالقرامطة بسواد الكوفة ساروا الى الشام فانتهوا الى دمشق، وعليها طُغْج ابن جَفّ مولى أحمد بن طولون من قِبَل ابنه هارون، فخرج اليهم فقاتلهم مراراً، هزموه في كلها . هذه أخبار بدايتهم . ونقبض العنان عنها الى أن نذكر سياقتها عندما نعدِّد أخبارهم على شريطتنا في هذا الكتاب كما تقدّم .

استيلاء ابن ماسان على خراسان من يد عمرو بن الليث واسره ثم مقتله

لما تغلّب عمرو بن الليث الصفّار على خراسان من يد رافع بن الليث، وقتله وبعث برأسه الى المُعتَضد، وطلب منه أن يوليه ما وراء النهر مضافاً الى ولاية خُراسان، كتب له بذلك فجهز الجيوش لمحاربة اسماعيل بن أحمد صاحب ما وراء النهر، وجعل عليهم محمد ابن بشير من أخصّ أصحابه . وبعث معه القوّاد فانتهوا الى آمد من شطِّ جَيْحون، وعبر اليهم اسماعيل فهزمهم، وقتل محمد بن بشير في ستة آلاف، ولحق الفَلّ بعمرو في نيسابور، فتجهّز وسار الى بلخ، وكتب اليه إسماعيل يستعطفه ويقول : انا في ثغر وانت في دنيا عريضة فاتركني واستفد ألفتي فأبى .

وصعب على أصحابه عبور النهر لشدّته، فعبر اسماعيل واخذ

الطرق على بلخ، وصار عمرو محصوراً . ثم اقتتلوا وانهزم عمرو وتسرّب من بعض المسالك عن أصحابه، فوجد في أَجَمَةٍ وأخذ أسيراً. وبعث به اسماعيل الى سَمَرْقَنْد ومن هناك الى المعتضد سنة ثمان وثمانين، فحبسه الى أن مات المعتضد سنة تسع بعدها فقتله ابنه المُكْتَفِي . وعقد لاسماعيل على خراسان كما كانت لعمرو، وكان عمرو عظيم السياسة، وكان يستكثر من المماليك ويجري عليهم الارزاق ويفرّقهم على قوّاده ليطالعوه بأخبارهم . وكان شديد الهيبة، ولم يكن أحد يتجاسر أن يعاقب غلاماً ولا خادماً الا أن يرفعه الى حُجّابه .

استيلاء ابن سامان على طبرستان من يد العلوي ومقتله

ولما بلغ محمد بن زَيْدٍ العَلَوِيّ صاحب طَبَرِسْتَان والديلم ما وقع بعمرو بن الليث وانه أُسر طمع هو في خُراسان وظنّ أن ابن اسماعيل لا يتجاوز عمله، فسار الى جرجان وبعث اليه اسماعيل بالكفّ فأبى، فجهّز لحربه محمد بن هارون، وكان من قوّاد رافع ابن الليث . واستأمن الى عمرو ثم الى اسماعيل فنظّمه في قوّاده وندبه الآن لحرب محمد بن زيد، فسار لذلك . ولقيه على باب خُراسان فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزم محمد بن هارون أوّلاً، وافترقت عساكر محمد بن زيد على النهب ثم رجع هو وأصحابه، وانهزم محمد بن زيد وجرح جراحات فاحشة هلك منها لايام وأسر ابنه زيد وبعث به اسماعيل الى بخارى واجترأ عليه وغنم ابن هارون

معسكرهم ثم سار الى طبرستان فملكها، وصار خراسان وطبرستان لبني سامان، واتصلت لهم دولة نذكر سياقة أخبارها عند افراد دولتهم بالذكر كما شرطناه في تأليفنا .

ولاية علي بن المعتضد على الجزيرة والثغور

ولما ملك المعتضد آمد من يد ابن الشيخ كما قدّمناه، سار الى الرّقة وتسلم قَنسّرين والعواصم من يد عمال هارون بن خمارَوَيْه، لانه كان كتب اليه أن يقاطعه على الشام ومِصرَ ويسلم اليه أعمال قنسرين، ويحمل اليه أربعمائة الف دينار وخمسين الفاً . فأجابوه وسار من آمد الى الرَّقَّة فأنزل ابنه علياً الذي لقبه بعد ذلك بالمكتفي وعقد له على الجزيرة وقنسرين والعواصم سنة ست وثمانين . واستكتب له الحسن بن عمر النصراني واستقدم وهو بالرقة راغباً مولى الموفق من طَرسوس، فقدم عليه وحبسه وحبس ملنون غلامه واستصفى أموالهما . ومات راغب لايام من حبسه، وقد كان راغب استبدّ بطرسوس وترك الدعاء لهارون بن خمارويه، ودعا لبدر مولى المعتضد . ولما جاء أحمد بن طبان للغزّ سنة ثلاث وثمانين تنازع معه راغب، فركب أحمد البحر في رجوعه ولم يُعَرِّج على طرسوس، وترك بها دميانة غلام بازيار وأمدّه فقوي وأنكر على راغب أفعاله بحمل دميانة الى بغداد، واستبد راغب وبادر الى استدعاء المعتضد ونكبه كما قلناه ، وولى ابن الاخشاء على طرسوس فمات لسنة.

واستخلف أبا ثابت وخرج سنة سبع وثمانين غازياً، فأسر

وولى الناس عليهم مكانه علي بن الاعرابي، ولحق بمَلَطِيَّة في هذه السنة وصيف مولى محمد بن أبي الساج صاحب بردعة، وكتب الى المعتمد يسأله ولاية الثغور وقد وطأ صاحبه أن يسير اليه اذا وليها فيقصدان ابن طولون ويملكان مصر من يده وظهر المعتضد على ذلك فسار لاعتراضه، وقدم العساكر بين يديه فأخذوه بعين زربة وجاؤا به الى المعتضد فحبسه، وأمن عسكره ورحل الى قرب طرسوس واستدعى رؤساءها وقبض عليهم بمكاتبتهم وصيفاً وأمر باحراق مراكب طرسوس باشارة دميانة، واستعمل على أهل الثغور الحسن بن علي كوره وسار الى انطاكية وحلب ورجع منها إلى بغداد وقتل وصيفاً وصلبه. واستقدم المكتفي بعد وفاة المعتضد الحسن بن علي وولى على الثغور مظفر بن حاج. ثم شكا أهل الثغر منه فعزله وولى أبا العشائر بن أحمد بن نصر سنة تسعين.

حرب الاعراب

وفي سنة ست وثمانين اعترضت طيء ركب الحاج بالاجيفر، وقاتلوه ونهبوا أموال التجار ما قيمته ألف ألف دينار، ثم اعترضوا الحاج كذلك سنة تسع وثمانين بالقرن فهزمهم الحاج وسلموا.

تغلب ابن الليث على فارس واخراج بدر اياه

وفي فاتح ثمان وثمانين جاء طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث في العساكر الى بلاد فارس، وأخرج منها عامل المعتضد، وهو عيسى النَوْشَري كان على أصبهان فولاه المُعتَضِد فارس، فسار اليها فجاءه

طاهر وملكها . وكتب اليه اسماعيل صاحب ما وراء النهر بأن المعتضد ولاه سجستان لذلك، وعقد المعتضد لبدر مولاه على فارس، وهرب عمال طاهر عنها وملكها بدر وجبى خراجها . ثم مات المعتضد وسار مغرباً عن فارس، فقتل بواسط وقاطع طاهرُ بلاد فارس على مال يحمله، فقلّده المُكتَفي ولايتها سنة تسعين.

الوِلاياتُ في النّواحيْ

كان أكثر النواحي في دولة المعتضد مغلباً عليها كخُراسان وما وراء النهر لابن سامان، والبَحْرَيْن لِلقَرَامِطَة ومِصْر لابن طولون وافريقيّة لابن الأغلَب، وقد ذكرنا من وَلِيَ الموصل . وفي سنة خمس وثمانين ولي المعتضد عليها وعلى الجزيرة والثغور الشامية [(1)] مولاه . ثم ملك آمد من يد ابن الشَّيخ وجعلها لابنه عليّ المُكتَفي وأنزله الرقّة كما ذكرناه وعقد له على الثغور . ثم عقد بعده للحسن ابن علي كوره، وولى على فارس بدراً مولاه . ومات اسحاق بن أيّوب بن عمر بن الخطاب الثعلبي العَدَوي أمير ديار ربيعة، فولّى المعتضد مكانه عبدالله بن الهَيْثَم بن عبدالله بن المُعَمَّر .

وفي سنة ثمان وثمانين ظهر باليمن بعض العلويين وتغلب على

(١) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٩١: وفيها سار فاتك مولى المعتضد إلى الموصل لينظر في أعمالها وأعمال الجزيرة والثغور الشامية والجزرية وإصلاحها مضافاً إلى ما كان يتقلده من البريد بها.

صنعاء ، فجمع له بنو يعفر وقاتلوه فهزموه وأسروا ابنه، وتجافى نحو خمسين فارساً ، وملك بنو يعفر صنعاء وخطبوا فيها للمُعتَضِد ، وهلك ابن أبي الساج في هذه السنة ، فولى أصحابه ابنه ديوداد . ونازعه عمه يوسف بن رافع بابن أخيه وهزمه ومضى الى بغداد على طريق الموصل ، واستقل يوسف بملك أَذْرَبَيْجَان ، وعرض على ابن اخيه المقام عنده فأبى وقلّد المعتضد لاوّل خلافته ديوان المشرق لمحمد بن داود بن الجرّاح، عوضاً عن أحمد بن محمد بن الفرات، وديوان المغرب عليّ بن عيسى بن داود بن الجرّاح ، ومات وزيره عبيد الله بن سليمان بن وَهب فولى ابنه أبا القاسم مكانه .

الصوائف

وفي سنة خمس وثمانين غزا راغب مولى المُوَفّق من طَرسوس في البحر ، فغنم مراكب الروم ، قتل فيها نحواً من ثلاثة آلاف وأحرقها . وخرج الروم سنة سبع وثمانين ونازلوا طرسوس فقاتلهم أميرها واتبعهم الى نهر الرحال فاسروه . في سنة ثمان وثمانين بعث الحسن بن علي كوره صاحب الثغور بالصائفة ، فغزا وفتح حصوناً كثيرة وعاد بالاسرى ، فخرج الروم في أثره براً وبحراً الى كيسوم من نواحي حلب ، فأسروا نحواً من خمسة عشر ألفاً ورجعوا .

وفاة المعتضد وبيعة ابنه

كان بَدْرٌ مولى المُعتَضِد عظيم دولته، وكان القاسِمُ بن عُبَيْدِالله

الوزير يروم نقل الخلافة في غير بني المعتضد، وفاوض في ذلك بدرًا أيّام المعتضد فأبى، ولم يمكن القاسم مخالفته. فلما مات المعتضد كان بدر بفارس بعثه اليها المعتضد لما بلغه أن طاهرَ بن محمد بن عمرو بن الليث غلب عليها فبعث بدرًا وولاه. فلما مات عقد الوزير البيعة لابنه المُكْتَفي وخشي من بدر فيما اطلع عليه منه، فأعمل الحيلة في أمره. وكان المكتفي أيضاً يحقد لبدر كثيراً من منازعة معه أيام أبيه، فدس الوزير الى القواد الذين مع بدر بمفارقته، ففارقه العباس بن عمر الغَنَوي ومحمد بن اسحاق بن كُنْداج وخاقان المِلْجِيّ وغيرهم، فأحسن الملتقى اليهم، وسار بدر الى واسط، فوكل المكتفي بداره وقبض على اصحابه وامر بمحو اسمه من الفراش والاعلام. وبعث الحسن بن علي كوره في جيش الى واسط، وعرض على بدر ما شاء من النواحي، فقال: لا بدّ لي ان اشافه مولاي بالقول، فخوّف الوزير المكتفي خائنته ومنعه من ذلك، وشعر ان بدرًا بعث عن ابنه هلال فوكل به. ثم بعث الوزير عن القاضي ابي عُمَر المالِكيّ وحمّله الامان الى بدر، فجاء بأمانه وبعث الوزير من اعترضه بالطريق فقتله لست خلون من رمضان، وحمل أهله شلوه الى مكة فدفن بها لوصيته بذلك وحزن القاضي ابو عمر لاخفار ذمّته.

استيلاء محمد بن هارون على الري ثم اسره وقتله

قد تقدّم لنا ذكر محمد بن هارون وانه كان من قوّاد رافع

ابن هرثمة، ونظمه اسماعيل بن احمد صاحب ما وراء النهر في قوّاده وبعثه لحرب محمد بن زيد فهزمه واستولى على طبرستان، وولاه اسماعيل عليها. ثم انتقض ودعا بدعوة العلويّة وبيّض [١] وساعده ابن حسّان الدّيْلَمِيّ. وبعث اسماعيل العساكر لقتال ابن حسّان فهزموه. وكان على الريّ من قبل المُكْتَفي اغرتمش التركي، فأساء السيرة فبعث اهل الري الى محمد بن هارون ان يسير اليهم ويولوه، فسار وحارب اغرتمش فهزمه وقتله، وقتل ابنيه واخاه كيغلغ من القواد واستولى على الريّ وبعث المكتفي مولاه خاقان المفلحي لولاية الريّ في جيش كثيف فلم يصلها، وبعث المكتفي الى اسماعيل بولايته ومحاربة محمد بن هارون، فسار اسماعيل اليه وهزمه، فخرج عن الريّ الى قَزوين وَزَنجان. ثم لحق بطَبَرَسْتان واستقرّ مع ابنه مستجيرًا، ولما ملك اسماعيل الريّ ولّى على جَرجان مولاه نارس الكبير، والزمه احضار محمد بن هارون فكاتبه نارس وضمن له صلاح الحال، فقبل وانصرف عن الدَّيْلَم الى بُخارى، فبعث اسماعيل من اعترضه وحمل الى بخارى مقيداً فمات في الحبس بعد شهر وذلك في شعبان سنة تسعين.

استيلاء المكتفي على مصر وانقراض دولة ابن طولون

كان محمد بن سليمان من قواد بني طولون وكاتب جيشهم واستوحش منهم، فلحق بالمعتضد وصرفوه في الخدم، وكانت

(١) لبس البياض وكان شعار العباسيين السواد.

القرامطة عاثوا في بلاد الشام وحاصروا عامل بني طولون بدمشق وهو طغج بن جفّ، وقتلوا قوّاده . وسار المكتفي اليهم فنزل الرَّقّة وبعث محمد بن سُلَيمان لحربهم ومعه الحسن بن حَمدان والعساكر وبنو شيبان، فلقيهم قرب حماة فهزمهم واتبعهم الى الكوفة . وقبض في طريقه على أميرهم صاحب الشامة فبعث به الى المكتفي، فرجع الى بغداد، وخلّف محمد بن سُلَيمانَ في العساكر فتبعهم وأسر جماعة منهم . وبينما هو يروم العود الى بَغداد جاءه كتاب بَدْر الحمامِيّ مولى هارون بن خَمارَوَيْه ومحمد فائق صاحب دمشق يستقدمانه الى البلاد لعجز هارون عنها، فأنهى ذلك محمد بن سليمان عند عوده الى المُكتَفي فأعاده وأمدّه بالجنود والاموال، وبعث دميانة غلام بازيار في الاسطول ليدخل من فوهة النيل ويحاصر مِصر، ولما وصل ودنا من مصر كاتب القواد، وخرج اليه رئيسهم بدر الحمامي وتتابع منهم جماعة، وبرز هارون لقتاله فحاربه أيّاماً .

ثم وقعت بعض الايام في عسكره هيعة ركب لها ليسكنها فاصابته حربة مات منها، واجتمع أصحابه على عمِّه شَيْبان وبذل الاموال فقاتلوا معه . ثم جاءهم كتاب محمد بن سليمان بالامان فأجابوه، وخالف شيبان الى مِصرَ فاستولى عليها وأستأمن اليه شيبان سرّاً فأمّنه ولحق بــه . ثم قبض على بني طولون وحبسهم واستصفى أموالهم وذلك في صفر سنة اثنتين وتسعين، وأمره

المكتفي بازالة آل طولون وأشياعهم من مِصر والشام ففعل، وسار بهم الى بغداد وولّى المكتفي على مصر عيسى النوشري وخرج عليه ابراهيم الخليجي من قواد بني طولون يخلف عن محمد بن سليمان، فخلفه وكثر جمعه وسار النوشري الى الاسكندريّة عجزاً عن مدافعته، واستولى الخليجيّ على مصر وبعث المكتفي بالجنود مع فاتك مولى المعتضد، واحمد بن كيغلغ وبدر الحامي من قواد بني طولون، فوصلوا سنة ثلاث وتسعين، وتقدم أحمد بن كيغلغ وجماعة من القواد فلقيهم قرب العريش فهزمهم وقوى الامر، وبلغ الخبر الى المُكتفي فعسكر ظاهر بغداد، وانتهى مدة الى تكريت فلقيه كتاب فاتك في شعبان يذكر أنهم هزموا الخليجي بعد حروب متصلة، وغنموا عسكره. ثم هرب واختفى بفسطاط مصر وجاء من دل عليه، فأمر المُكتفي بحمله ومن معه الى بغداد فبعثوا بهم وحُبِسوا .

دولة بني حمدان

ابتداء دولة بني حمدان

وفي سنة اثنتين وتسعين عقد المُكتفي على الموصل وأعمالها لابي الهيجاء عبدالله بن حَمْدان بن حَمْدون العَدَوِيّ التَغْلِبِيّ، فقدمها أوّل المحرّم، وجاء الصريخ من نينوى بأنّ الاكراد الهَذْبانِيّة ومقدّمهم محمد بن سلال قد أغاروا على البلاد وعاثوا، فخرج في العساكر

وعبر الجسر الى الجانب الشرقي . ولقيهم على الحارد فقاتلهم وقتل من قوّاد سليمان الحمداني ورجع عنهم ، وبعث الى الخليفة يستمده فابطأ عليه المدد الى ربيع من سنة أربع ؛ فلما جاءه المدد سار الى الهَدبانِيّة وهم مجتمعون في خمسة آلاف بيت فارتحلوا أمامه وأعتصموا بجبل السَلَقِ المُشرف على الزاب ، فحاصرهم وعرفوا حقه فخذله أميرهم محمد بن سلال بالمراسلة في الطاعة والرهن وحث أصحابه خلال ذلك في المسير الى أذْرَبَيْجان ، وأتبعهم أبو الهيجاء فلحقهم صاعداً الى جبل القِنْديل ، فنال منهم ، وامتنعوا بذروته .

ورجع أبو الهيجاء عنهم فلحقوا بأذرَبَيْجان ، ووفد أبو الهَيْجاء على المُكْتَفي فأنجده بالعسكر وعاد الى الموصل . ثم سار الى الاكراد بجبل السلق فدخله وحاصرهم بقنّته ، وطال حصارهم واشتدّ البرد وعدمت الاقوات ، وطلب محمد بن سلال النجاة بأهله ووُلْدِه ، فنجا واستولى ابن حمدان على أموالهم وأهليهم وأمّنهم . ثم استأمن محمد بن سلال فأمّنه وحضر عنده وأقام بالموصل وتتابع الاكراد الحميديّة مستأمنين ، واستقام أمر أبي الهيجاء بالموصل . ثم انتقض سنة احدى وثلثمائة ، فبعث اليه المقتدر مؤنساً الخادم ، فجاء بنفسه مستأمناً ، ورجع به الى بغداد ، فقبله المقتدر وأكرمه . وبقي ببغداد الى أن انتقض أخوه الحُسَيْن بديار ربيعة سنة ثلاث وثلثمائة ، وسارت العساكر فجاؤا به أسيراً . فحبس المقتدر عند ذلك أبا الهيجاء وأولاده ، وجمع اخوته بداره ثم أطلقهم سنة خمس وثلثمائة .

اخبار ابن الليث بفارس

قد تقدم لنا استقلال طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ببلاد فارس، وان المكتفي عقد له عليها سنة تسعين، ثم انه تشاغل باللهو والصيد، وأعرض عن أمور ملكه. ومضى في بعض الأيام الى سِجِسْتَانَ فوثب على فارِس الليث بن عليّ بن الليث، وسيكرى مولى عمرو بن الليث، فاستوحش منهما أحد قوادهما يعرف بأبي قابوس، وفارقهما الى بغداد. وأحسن المُكْتَفي اليه. ثم كتب اليه طاهر في ردّ أبي قابوس اليه، ويحتسب له ما معه من أموال الجباية فأعرض الخليفة عن ذلك.

الصوائف

وفي سنة احدى وتسعين خرج الروم الى الثغور في مائة ألف، وقصد جماعة مَنهم الحدث. ثم غزا بالصائفة من طرسوس القائد المعروف غلام زرافة، ففتح مدينة انطاكية وفتحها عنوة فقتل خمسة آلاف من مُقاتِلَتِهم وأسر مثلها. واستنقذ من اسرى المسلمين مثلها، وغنم ستين من مراكب الروم بما فيها من المال والمتاع والرقيق، فقسمها مع غنائم انطاكية، فكان السهم ألف دينار وفي سنةاثنتين وتسعين أغار الروم على مرعش ونواحيها، فخرج أهل المصيصة وأهل طرسوس فأصيب منهم جماعة، فعزل المكتفي أبا العشائر عن الثغور، وولى رستم بن بُرْد، فكان على

يديه الفداء، وفودي ألف من المسلمين. ثم أغارت الروم سنة ثلاث وتسعين على موارس من أعمال حلب، وقاتلهم أهلها فانهزموا وقتل منهم خلق، ودخلها الروم فأحرقوا جامِعَها وأخذوا من بقي فيها.

وفي سنة أربع وتسعين غزا ابن كيغلغ من طرسوس فأصاب من الروم أربعة آلاف سبياً، واستأمن بطريق من الروم فأسلم. ثم عاود ابن كيغلغ الغزو، وبلغ سَكَنْد وافتتحها، وسار الى الليس فبلغ خمسين ألف رأس، وقتل من الروم خلقاً ثم استأمن البطريق المتولي الثغور من جهة الروم الى المكتفي، وخرج بمائتي أسير من المسلمين. وكان ملك الروم قد شعر بأمره وبعث من يقبض عليه، فقتل الاسرى المسلمون من جاء للقبض عليه وغنموا عسكرهم. واجتمع الروم على محاربة البطريق انذوقس، وزحف المسلمون لخلاصه وخلاص من معه من الاسرى فبلغوا قونية وخربوها وانصرف الروم ومرّ المسلمون في طريقهم بحصن أندوس، فخرج معهم بأهله، وسار الى بغداد. وفي سنة احدى وتسعين خرج الترك الى ما وراء النهر في خلق لا يحصون، فبعث اليهم اسماعيل عسكراً عظيماً من الجند والمتطوِّعة فكبسوهم واستباحوهم. وفي سنة ثلاث وتسعين افتتح اسماعيل مدائن كثيرة من بلاد الترك والديلم.

الولايات بالنواحي

قد ذكرنا ولايات خاقان المفلحي على الري، ثم اسماعيل بن أحمد بن سامان بعده، وولاية عيسى النوشري على مصر بعد انتزاعها من بني طولون، وولاية أبي العشائر أحمد بن نصر على طرسوس، وعزل مُظَفَّر بن حاج عنها سنة تسعين، ثم عزل أبي العشائر وولاية رستم بن برد، سنة اثنتين وتسعين. وانتزاع الليث بن علي بن الليث بلاد فارس من يد طاهر بن محمد سنة ثلاث وتسعين بعد ان كان المُكتفي عقد له عليها سنة تسعين، وولاية أبي الهَيجاء عبدالله بن حمدان على الموصل سنة ثلاث وتسعين. وفي هذه السنة ثار داعِيَةُ القَرامِطَةِ باليمن الى صنعاء فملكها واستباحها، وتغلّب على كثير من مدن اليمن. وبعث المُكتَفي المُظَفَّر بن الحاج في شوّال من هذه السنة الى عمله باليمن فأقام به. وفي سنة احدى وتسعين توفي الوزير أبو القاسم بن عبيدالله، واستوزر مكانه العباس بن الحسن.

وفاة المكتفي وبيعة المقتدر

ثم توفي المكتفي بالله أبو محمد علي بن المعتضد في شهر جمادى سنة خمس وتسعين لست سنين ونصف من ولايته، ودفن بدار محمد بن طاهر من بغداد بعد ان عهد بالامر الى أخيه جعفر. وكان الوزير العَبّاسُ بن الحسن قد استشار أصحابه فيمن يوليه،

فأشار محمد بن داود ابن الجرّاح بعبدالله بن المُعتزّ، ووصفه بالعقل والرأي والادب، وأشار أبو الحُسَين بن محمد بن الفُرات بجعفر ابن المُعتَضِد، بعد أن أطال في مفاوضته وقال له : اتق الله ولا تولّ إلّا من خبرتـه، ولا تولِّ البخيل فيضيّق على الناس في الارزاق، ولا الطمّاع فيشره الى أموال النـاس، ولا المُتهاون بالدين فلا يجتنب المآثم ولا يطلب الثواب. ولا تُولِّ من خبر الناس وعاملهم واطلع على أحوالهم، فيستكثر على الناس نِعَمَهُم، وأصلح الموجودين مع ذلك جَعْفَرُ بن المعتضد. قال ويحك وهو صبيٌّ؟ فقال وما حاجتنا بمن لا يحتاج الينا ويستبد علينا ! ثم استشار علي بن عيسي فقال اتق الله وانظر من يصلح. فمالت نفس الوزير الى جعفر كما أشار ابن الفرات، وكما أوصى أخوه، فبعث صائفاً الحدسي فأتي به من داره بالجانب الغربي، ثم خشي عليه غائلة الوزير فتركه في الحراقة، وجاء الى دار الخلافة فأخذ له البيعة على الحاشية. ثم جاء به، من الحراقة واقعده على الاريكة. وجاء الوزير والقُوّاد فبايعوه، ولقب المُقْتَدر بالله وأطلق يد الوزير في المال وكان خمسة عشر الف الف دينار، فأخرج منه حق البيعة واستقام الامر.

خلع المقتدر بابن المعتز واعادته

ولما بويع المقتدر وكان عمره ثلاث عشرة سنة استصغره الناس، واجمع الوزير خلعه والبيعة لابي عبدالله محمد بن المُعتزّ

وراسله في ذلك، فاجاب وانتظر قدوم نارس حاجب إسماعيل بن سامان، كان قد انتقض الى مولاه وسار عنه، فاستاذن في القدوم الى بغداد واذن له. وقصد الاستعانة بـه على موالي المعتضد. وابطأ نارس عليه، وهلك ابو عبدالله بن المقتدر خلال ذلك فصرف الوزير وجهه لابي الحسين بن الموكل فمات، فاقرّ المقتدر، ثم بدا له وأجمع عزله، واجتمع لذلك مع القواد والقضاة والكتاب وراسلوا عبد الله بن المُعتَزّ فأجابهم على ان لا يكون قتال. فأخبروه باتفاقهم وان لا منازع لهم. وكان المتولّون لذلك الوزير العبّاس ابن الحُسَيْن ومحمد بن داود بن الجرّاح وأبا المُثَنّى أحمد بن يعقوب القاضي، ومن القواد الحسين بن حَمْدان وبدر الأعْجَمِيّ ووصيف ابن صوارتكين.

ثم رأى الوزير أمره صالحاً مع المقتدر فبدا له في ذلك فأجمع الآخرون أمرهم، واعترضه الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف في طريق لستانه، فقتلوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين، وخلعوا المقتدر من الغد وبايعوا لابن المعتز. وكان المقتدر في الحلبة يلعب الأُكَرَة، فلما بلغه قتل الوزير دخل الدار وأغلق الابواب، وجاء الحسين بن حمدان الى الحلبة ليفتك به فلم يجده، فقدم وأحضروا ابن المعتزّ فبايعوه وحضر الناس والقُوّاد وأرباب الدواوين سوى أبي الحسن بن الفرات وخواصّ المقتدر فلم يحضروا.

ولُقِّبَ ابنُ المُعتزِّ المُرتَضى بالله، واستوزر محمد بن داود بن الجَرّاح، وقَلّدَ عليّ بن موسى الدواوين، وبعث الى المُقتَدر بالخروج من دار الخلافة، فطلب الامهال الى الليل. وقال مؤنس الخادم، ومؤنس الخازن، وعربت الحال وسائر الحاشية لابد ان يبدي عذراً فيما أصابنا. وباكر الحُسَيْنُ بن حَمْدان من الغَدِ دار الخلافة، فقاتله الغلمان والخدم من وراء السور وانصرف. فلما جاء الليل سار إلى الموصل بأهله، وأجمع رأي أصحاب المُقتَدِرِ على قصد ابن المعتز في داره، فتسلّحوا وركبوا في دجلة، فلما رآهم أصحاب ابن المعتز اضطربوا وهربوا، واتهموا الحسين بن حمدان انـه قد واطأ المقتدر عليهم، وركب ابن المعتز ووزيره محمد بن داود بن الجَرّاح وخرجوا الى الصحراء ظناً منهم أن الجند الذين بايعوه يخرجون معهم، وانهم يلحقون بسامرا فيمتنعون، فلما تفردوا بالصحراء رجعوا الى البلد وتسربوا في الدور واختفى ابن الجرّاح في داره، ودخل ابن المعتز ومولاه دار أبي عبدالله بن الجصّاص مستجيراً به.

وثار العيّارون والسُفْلُ[1] ينتهبون. وفشا القتل، وركب ابن عَمْرَوَيْه صاحب الشرطة، وكان ممن بايع ابن المُعتزّ فنادى بثأر المقتدر مغالطاً، فقاتله فهرب واستتر، وأمر المقتدر مُؤنساً الخازن، فزحف في العسكر وقبض على وصيف بن صُوارتكين، فقتله وقبض على القاضي أبي عمر عليّ بن عيسى، والقاضي محمد بن خَلَف.

(١) كذا في الأصل والأصح: والسفلة.

ثم أطلقهم وقبض على القاضي أبي المثنّى أحمد بن يعقوب قال له بايع المقتدر ا قال هو صبي، فقتله وبعث المقتدر الى أبي الحسن بن الفرات كان مختفياً فأحضره واستوزره. وجاء سَوْسَنُ خادم ابن الجصّاص فأخبر صافياً الحُرميّ مولى المقتدر بمكانه عندهم، فكبست الدار وأخذ ابن المعتز وحبس الى الليل، ثم خصيت خصيتاه فمات وسُلِّم الى أهله، واخذ ابن الجصاص وصودر على مال كثير، وأخذ محمد بن داود وزير ابن المُعتزّ وكان مستتراً فقتل.

ونفي عليّ بن عيسى بن عليّ الى واسط، واستأذن من ابن الفرات في المسير الى مكة، فسار اليها على طريق البصرة واقام بها، وصودر القاضي أبو عمر على مائة ألف دينار، وسارت العساكر في طلب الحُسَيْن بن حَمدان الى الموصل فلم يظفروا به، وشفع الوزير ابن الفرات في ابن عمرويه صاحب الشرطة وابراهيم بن كيغلغ وغيرهم. وبسط ابن الفرات الاحسان وادرّ الارزاق للعباسيين والطالبيين، وأرضى القوّاد بالاموال ففرق معظم ما كان في بيت المال، وبعث المقتدر القاسم بن سيما وجماعة من القواد في طلب الحسين بن حمدان، فبلغوا قَرْقيسيا والرَّحبَةِ ولم يظفروا به، وكتب المقتدر الى أخيه أبي الهيجاء وهو عامل الموصل بطلبه فسار مع القاسم بن سيما والقواد ولقوه عند تكريت فهزموه، وبعث مع اخيه ابراهيم يستأمن فأمنوه وجاؤا به الى بغداد، فخلع عليه المقتدر وعقد له على قم وقاشان، وعزل عنها العباس بن عمر

الغَنَوِيّ فسار اليها الحسين، ووصل نارس مولى اسماعيل بن سامان فقلده المقتدر ديار ربيعة .

ابتداء دولة العبيديين من الشيعة بافريقية

نسبة هؤلاء العُبَيْدِيِّين الى أوّل خُلفائهم، وهو عُبَيْدُ الله المهدي ابن محمد الحبيب بن جعفر المُصَدّق ابن محمد المكتوم ابن اسماعيل الامام ابن جعفر الصادق ، ولا يلتفت لانكار هذا النسب ، فكتاب المعتضد الى ابن الاغلب بالقَيْرَاوَن وابن مِدْرار يغريهم بالقبض عليه لما سار الى المغرب، شاهد بصحّة نسبهم وشعر الشريف الرضي في قوله :

أَلبَسُ الذُلَّ في بلاد الأَعادي ... وَبِمِصْرَ الخَلِيفَةُ العَلَوِيُّ
مَنْ أَبُوهُ أَبي وَمَوْلاه مَوْلا ... يَ إِذَا ضَامَني البَعِيدُ القَصِيُّ
لفَّ عِرقي بِعِرْقِه سَيِّدُ النَّا ... سِ جَمِيعاً مُحَمَّدٌ وَعَلِيُّ

وأما المحضر الذي ثبت ببغداد أيام القادر بالقدح في نسبهم، وشد فيه اعلام الائمة مثل القُدوري والصُهَيْريّ وأبي العباس الأَبيوردي وأبي حامد الأسفَرايِنيّ وأبي الفَضْلِ النَسَوِيّ وأبي جعفر النَسَفيّ، ومن العَلَوِيَّةِ المُرْتَضى وابن البَطْحَاوي وابن الازرق، وزعيم الشيعة أبو عبد الله بن النُعْمان ، فهي شهادة على السماع . وكان ذلك مُتَّصِلًا في دولة العَبَّاسِيَّةِ منذ مائتين من السنين فاشياً في أمصارهم وأعصارهم . والشهادة على السماع في مثله جائزة على أنها شهادة نفي ، ولا تُعارضُ ما ثبت في كتاب المُعتَضِد مع أن

طبيعة الوجود في الانقياد لهم، وظهور كلمتهم أدل شيء على صدق نسبهم .

وأمّا من جعل نسبهم في اليَهوديّة أو النَصرانِيَّة كميمون القَدّاح وغيره فكفاه إثماً تَعَرُّضُه لذلك وأما دعوتهم التي كانوا يدعون لها فقد تقدّم ذكرها في مذاهب الشيعة من مقدّمة الكتاب . وانقسمت مذاهب الشيعة مع اتفاقهم على تفضيل عليّ على جميع الصحابة الى الزَيْدِيَّةِ القائلين بصِحَّةِ امامَةِ الشَيْخَيْنِ مع فضل عليّ ، ويجوّزون امامة المفضول ، وهو مذهب زيد الشهيد وأتباعه ، والرافضة ويدعون بالامامية المتبرّئين من الشَيْخَيْن باهمالهما وصيّة النبي صلى الله عليه وسلم بخلافة عليّ . مع أنّ هذه الوصيّة لم تنقل من طريق صحيح قال بها أحد من السلف الذين يقتدى بهم ، وانما هي من أوضاع الرافِضَةِ .

وانقسم الرافِضَةُ بعد ذلك الى اثني عَشَرِيّة نقلوا الخلافة من جعفر بعد الحسن والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق الى ابنه موسى الكاظم وولده على سلسلة واحدة الى تمام الاثني عشر ، وهو محمد المهدي ، وزعموا أنه دخل سرداباً وهم في انتظاره الى الآن . والى الاسماعيليّة نقلوا الخلافة من جَعْفرٍ الصادق الى ابنه اسماعيل ، ثم ساقوها في عقبه فمنهم من انتهى بها الى عبيدالله هذا المهدي ، وهم العُبَيْدِيُّون ، ومنهم من ساقها الى يحيى بن عبيدالله بن محمد المكتوم . وهؤلاء طائفة من القرامِطَة

وهي من كذباتهم، ولا يعرف لمحمد بن اسماعيل ولد اسمه عبيدالله. وكان شيعة هؤلاء العُبَيْديّين بالمشرق واليمن وافريقيه . وسار بها الى افريقية رجلان يعرف أحدهما بالحُلْوَانيّ والآخر بالسُفْيَاني أنفذهما الشيعة الى هنالك وقالوا لهما إن المَغرِبَ أرض بور فاذهبا وأحرثاها حتى يحيا صاحب البذر، وسارا لذلك ونزلا أرض كتامَةَ أحدهما ببلد يسمى سوق حمار.

وفشت هذه الدعوة منهما في أهل تلك النواحي من البربر وخصوصاً في كتامة . وكانوا يزعمون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى الى علي بالخلافة بالنصوص الجليّةِ، وعدل عنها الصحابة الى غيره فوجب البراءة ممن عدل عنها . ثم أوصى عليٌّ الى ابنه الحسن، ثم الحَسَنُ الى أخيه الحُسَيْنُ، ثم الحسين الى ابنه عليّ زَيْنِ العابدين، ثم زين العابدين الى ابنه محمد الباقر، ثم محمد الباقر الى ابنه جعفر الصادق، ثم جعفر الصادق الى ابنه اسماعيل الامام ومنه الى ابنه محمد، ويسمونه المكتوم لانهم كانوا يكتمون اسمه حذراً عليه . ثم أوصى محمد المكتوم الى ابنه جعفر المصدق، وجعفر المصدق الى ابنه محمد الحبيب، ومحمد الحبيب الى ابنه عُبَيْدِ الله المهديّ الذي دعا له أبو عبد الله الشيعي . وكانت شيعهم منتشرين في الارض من اليمن الى الحجاز والبَحْرَيْن والعراق وخُراسان والكوفة والبصرة والطالقان . وكان محمد الحبيب ينزل سَلَمْيَةَ من أرض حِمْصَ، وكان عادتهم في كل ناحية يدعون

للرضا من آل محمد، ويرومون اظهار الدعوة بحسب ما عليهم. وكان الشيعة من النواحي يعملون مكيهم في أكبر الاوقات لزيارة قبر الحسين، ثم يعرجون على سلمية لزيارة الأئمة من ولد اسماعيل — وكان باليمن من شيعتهم — ثم بعده لأئمة قوم يعرفون ببني موسى، ورجل آخر يعرف بمحمد بن الفضل أصله من جَنَد. وجاء محمد الى زيارة الامام محمد الحبيب، فبعث معه أصحابه رستم بن الحسين بن حوشب بن داود النجار، وهو كوفي الاصل، وأمره باقامة الدعوة، وأن المهديّ خارج في هذا الوقت، فسار الى اليمن ونزل على بني موسى وأظهر الدعوة هنالك للمهدي من آل محمد الذي ينعتونه بالنعوت المعروفة عندهم، فاتبعه واستولى على كثير من نواحي اليمن.

وكان أبو عبدالله الحسن بن أحمد بن محمد بن زَكَرِيَّا المعروف بالمُحتَسِب، وكان محتسباً بالبصرة. وقيل انما المحتسب أخوه أبو العباس المخطوم، وأبو عبدالله يعرف بالعَلَمِ لانه كان يعرف مذهب الامامية الباطنية قد اتصل بالامام محمد الحبيب وخبر أهليته، فأرسله الى أبي حوشب، ولزم مجالسته وأفاد علمه. ثم بعثه مع الحاج اليمني الى مكة، وبعث معه عبدالله بن أبي مُلاّ، فأتى الموسم ولقي به رجالات كتامة مثل حريث الجيلي وموسى بن مكاد، فاختلط بهم وعكفوا عليه لما رأوا عنده من العبادة والزهد، ووجه اليهم بدراً من ذلك المذهب، فأغتبط واغتبطوا

وارتحل معهم الى بلدهم ونزل بها منتصف ربيع سنة ثمان وثلاثين، وعين لهم مكان منزله بفتح الاخيار وأن النص عنده من المهديّ بذلك، ولجهره بالمهدي وان أنصاره الاخيار من أهل زمانه، وان اسم أنصاره مشتق من الكتمان ولم يعيّنه، واجتمع لمناظرته كثير من أهل كتامة فأبى ثم أطاعوه بعد فِتَنٍ وحروب . واجتمعوا على دعوته وكانوا يسمونه أبا عبدالله المشرقي والشيعي .

ولما اختلف كتامة عليه واجتمع كثير منهم على قتله قام بنصرته الحسن بن هارون، وسار به الى جبل ايكجان وأنزله مدينة تاصروت من بلد زرارة، وقاتل من لم يتبعه بمن تبعه حتى استقاموا جميعاً على طاعته . وبلغ خبره ابراهيم بن أحمد بن الاغلب عامل افريقية بالقيروان، فأرسل الى عامل ميلة يسأله عن أمره فحقره وذكر انه رجل يلبس الخشن، ويأمر بالعبادة والخير، فأعرض عنه حتى اذا اجتمع لابي عبدالله أمره زحف في قبائل كتامة الى بلد ميلة فملكها على الامان بعد الحصار، فبعث ابراهيم ابن أحمد بن الاغلب ابنه الاحول في عسكرهم يجاوز عشرين ألفاً، فهزم كتامة وامتنع أبو عبد الله بجبل ايكجان، واحرق الاحول مدينة تاصروت ومدينة ميلة، وعاد الى افريقية وبنى أبو عبد الله بجبل ايكجان مدينة سماها دار الهجرة . ثم توفي ابراهيم ابن الاغلب صاحب افريقية وولى ابنه أبو العباس، وقتل واستقرّ الامر لزيادة

الله، وكان الاحول حمل العساكر لحضوره فأستقدمه زيادة الله وقتله .

وفاة الحبيب وايصاؤه لابنه عبيد الله

ولما توفي محمد الحبيب وأوصى لابنه عبيدالله، وقال له أنت المهدي، وتهاجر بعدي هجرةً بعيدةً، وترى مِحَناً شديدةً. فقام عُبَيْدُالله بالأمر وانتشرت دعوته. وأرسل اليه أبو عبدالله الشيعي رجالاً من كتامة يخبرونه بما فتح الله عليهم، وانهم في انتظاره. وشاع خبره وطلبه المكتفي فهرب هو وولده نزار الذي ولي بعده، وتلقب بالقائم. وخرج معه خاصته ومواليه يريد المغرب. وانتهى الى مِصْرَ وعليها يومئذ عيسى النَوْشَرِيّ، فلبس عُبَيْدالله زِيّ التجّار يتستّر به. وجاء كتاب المكتفي للنوشري بالقبض عليه، وفيه صفته وحليته، فبعث العيون في طلبه. ونمي الخبر بذلك الى عبيد الله من بعض خواص النوشري فخرج في رفقة ورآه النوشري وأحضره ودعاه للمؤاكلة، فاعتذر بالصوم. ثم امتحنة فلم تشهد له أحواله بشيء مما ذكر له عنه .

وقارن ذلك رجوع ابنه أبي القاسم يسأل عن كلب للصيد ضاع له، فلما رآه النوشري وأخبر أنّه ولد عبد الله علم أنّ هذه الدالة في طلب الضائع منافية للرقْبَةِ والخوف، فخلّى سبيله . وجدّ المهدي في السير وكان له كتب من الملاحم ورثها منقولة عن أبيه سرقت من رحله في تلك الطريق . ويقال : انّ ابنه أبا القاسم

لما زحف الى مصر أخذها من بلاد بَرْقَةَ . ولما انتهى المهدي وابنه الى طرابُلس وفارقه التجار أهل الرفقة قدّم أبا العبّاس أخا أبي عبيدالله الشيعي الى أخيه بكتامة ، ومرّ بالقَيْرَوان ، وقد سبق خبرهم الى زيادة الله وهو يسأل عنهم ، فقبض على أبي العباس وسأله فأنكر فحبسه ، وكتب الى عامل طرابلس بالقبض على المهدي ففاته وسار الى قُسَنْطِينَةَ فعدل عنها خشيةً على أبي العباس أخي الشيعيّ المعتقل بالقيروان ، وذهب الى سجلماسة وبها إليشع ابن مدرار فأكرمه .

ثم جاءه كتاب زيادة الله ، ويقال كتاب المكتفي بانه المهدي الذي داعيه في كتامة فحبسه، وبعث زيادة الله العساكر الى كتامة مع قريبه ابراهيم بن حبش ، وكانوا أربعين ألفاً ، فأنتهى الى قُسَنْطِينَةَ فأقام بها وهم متحصّنون بجبلهم ستة أشهر . ثم زحف اليهم ودافعهم عند مدينة بلزمة ، فانهزم الى القيروان . وكتب أبو عبد الله بالفتح الى المهدي وهو في محبسه . ثم زحف الى مدينة طبنة فحاصرها وملكها بالامان، ثم الى مدينة بلزمة فلكها عَنوَةً، فبعث زيادة الله العساكر مع هارون الطبني فانتهوا الى مدينة دار ملوك ، وكانوا قد أطاعوا الشيعي فهدمها هارون، وقتل أهلها، وسار الى الشيعي فانهزم من غير قتال وقتل .

وفتح الشيعي مدينة عيسى فزحف زيادة الله في العساكر سنة خمس وتسعين ، ونزل الاربس . ثم أشار عليه أصحابه بالرجوع الى

القيروان ليكون رِدْءاً للعساكر . فبعث الجيوش مع ابراهيم بن أبي الاغلب من قرابته . ورجع وزحف أبو عبد الله الى باغاية فهرب عاملها وملكها، ثم الى مدينة مرماجنة فافتتحها عَنْوَةً وقتل عاملها ثم الى مدينة تيفاش، فملكها على الامان، واستأمن اليه القبائل من كل جهة، فأمّنهم وسار بنفسه الى مسلبابة، ثم الى تبسة، ثم الى مجانة ففتحها على الامان . ثم سار الى القصرين من قمودة وأمّن أهلها وسار يريد رقادة . وبلغ الخبر الى ابراهيم بن أبي الاغلب وهو بالاربس أميراً على الجيش، فخشي على زيادة الله برقادة لقلة عسكره، وارتحل ذاهباً اليه . وسار أبو عبد الله الى قسنطينة فحاصرها وافتتحها على الامان . ورجع الى باغاية فأنزل بها عسكراً . وعاد الى ايكجان، فسار ابراهيم بن ابي الاغلب الى باغاية وحاصر أصحاب أبي عبد الله بها . فبعث أبو عبد الله عساكره الى مرج العرعار فألفوا ابراهيم قد عاد عنها الى الاربس، ثم زحف أبو عبد الله الى ابراهيم سنة ست وتسعين في مائة ألف مقاتل . وبعث من عسكره من يأتي ابراهيم من خلفه، وسار اليه فانهزم، واثخن فيهم أبو عبد الله بالقتل والاسر، وغنم أموالهم وخيلهم وظهرهم . ودخل الاربس فاستباحها، ثم سار فنزل قمودة، وبلغ الخبر الى زيادة الله فهرب الى مصر .

وافترق أهل مدينة رقادة الى القيروان وسوسة، ونهب قصور بني الاغلب ووصل ابراهيم بن أبي الاغلب الى القيروان، فنزل

قصر الامارة وجمع الناس ووعدهم الحماية، وطلب المساعدة بطاعتهم وأموالهم، فاعتذروا وخرجوا الى الناس فأخبروهم، فثاروا به وأخرجوه. وبلغ أبا عبدالله الشيعي هربُ زيادة الله وهو يشبِّه [1]، فدخل الى رقادة وقدم بين يديه عروبة بن يوسف وحسن بن أبي خنزير فساروا وأمّنوا الناس. وخرج أهل القيروان للقاء أبي عبدالله فأكرمهم وأمّنهم، ودخل رقادة في رجب سنة ست وتسعين، ونزل قصورها، وفرّق دورها على كتامة، ونادى بالامان. وتراجع الناس فأخرج العمال، وطلب أهل الشرّ فهربوا، وجمع أموال زيادة الله وسلاحه وأمر بحفظها وبحفظ جواريه، واستأذنه الخطباء لمن يخطبون فلم يعين لهم أحد، ونقش على السِكّة من أحد الوجهين بلغت حجة الله، ومن الآخر تفرّق أعداء الله، وعلى السلاح عدّة في سبيل الله، ووسم أفخاذ الخيل بالملك لله.

بيعة المهدي بسجلماسة

ولما ملك ابو عبد الله افريقية لقيه اخوه ابو العباس منطلقاً من اعتِقاله، فاستخلفه عليها وترك معه ابا زاكي تمام بن معارك من قوّاد كتامة. وسار الى المغرب ففرّق القبائل من طريقه، وخافته زَناتة فدخلوا في طاعته. ولما قرب من سجلماسة الى المهدي بمحبسه يسأله عن خاله فأنكر، ثم سأل ولده كذلك فأنكر، وضرب رجاله فانكروا، ونمي الخبر الى ابي عبد الله فخشي عليهم، وارسل

(١) كذا في الأصل يشبه: أي من المشبهة. ولعلها: وهو يشبهه.

الى اليسع يتلطفه فقتل الرسل فأغذ ابو عبد الله السير وحاصره يوماً، وهرب اليسع من الليل هو واصحابه وبنو عمه. وخرج اهل البلد الى ابي عبد الله فجاء الى مجلس المهدي فأخرجه هو وابنه ابا القاسم واركبهما ومشى مع رؤساء القبائل بين يديهما وهو يقول: هذا مولاكم ويبكي من شدّة الفرح، ثم انزله بالمُخَيَّم وبعث في اثر اليسع فجيء به فجلد، ثم قتل، واقام بسجلماسة اربعين يوماً ورجع الى افريقية، ووصل الى رقادة في ربيع من سنة ست وتسعين، وجدّد البيعة المهدى واستولى على ملك بني الاغلب بافريقية. وملك مدوار سجلماسة، ونزل برقادة، وتلقب بالمهدي أمير المؤمنين. وبعث دعاته في الناس فحملوهم على مذهبهم، فأجابوا إلّا قليلا عرض عليهم السيف، وقسم الاموال والجواري في رجال كتامة، واقطعهم الاموال والاعمال، ودوّن الدواوين وجبى الاموال، وبعث العمال على البلاد، فبعث على صِقِلِّيَةَ الحسن ابن احمد بن ابي خنزير فوصل الى مازر في عيد الاضحى من سنة تسع وتسعين، فاستقضى بها اسحاق بن المنهال، واجاز البحر سنة ثمان وتسعين الى بسط [1] قلورية، فأثخن فيها وعاد وثار به اهل صقلية سنة تسع وتسعين فحبسوه واعتذروا الى المهدي لسوء سيرته، فعذرهم وولى عليهم علي بن عمر البلوي فوصل اليهم خاتمة السنة المذكورة.

(١) كذا ولا معنى لها بشكلها الحالي ولعلها ـ وسط.

اخبار ابن الليث بفارس

قد ذكرنا من قبل استيلاء الليث بن علي بن الليث، وسيكري[(١)] مولى عمر بن الليث على فارس من يد طاهر بن محمد. ثم اخرج سيكري بعد ذلك الليث وانفرد بها، وسار إليه طاهر بن محمد بن عمرو، فواقعه وانهزم طاهر وأسر سيكري وأسر أخاه يعقوب، وبعث بهما الى المقتدر مع كاتبه عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي، وقد أمّره على ما يحمله وذلك سنة ست وتسعين. ثم سار اليه الليث بن علي من سجستان سنة سبع وتسعين، فغلبه وملك فارس، وهرب سيكري الى أرّجان وأمدّه المقتدر بمؤنس الخادم في العساكر، فجاء الى أرجان، وجاء الحسين بن حمدان من قُمّ الى البيضاء في اعانته، فسار لملاقاته وأضلّ الطريق الى مسالك صعبة أشرف على عسكر مؤنس. وكان سيكري قد بعث أخاه الى شيراز ليحفظها، فلما أشرف على العسكر ظنه عسكر أخيه، فثاروا اليه واقتتلوا وانهزم عسكر الليث وأخذ أسيراً. وأشار عليه أصحابه أن يقبض على سيكري ويطلب من المقتدر ولاية فارس مكانه، فوافقهم طاهر ودسّ اليه، فلحق بشيراز، وعاد مؤنس الى بغداد بالليث اسيراً والحسين بن حمدان الى عمله بقمّ.

ثم ان عبد الرحمن بن جعفر كاتب سيكري استولى على

(١) كذا في الأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٦ ص ١٣٦ والطبري ج ١٢ ص ١٧ سبكري بضم السين.

امره، وحسده اصحابه واكثروا السعاية فيه عند سيكري، فحبسه واستكتب مكانه اسماعيل بن ابراهيم اليمن، فحمله على العصيان، ومنع الحمل ودس عبد الرحمن بن جعفر من محبسه الى الوزير ابن الفرات بذلك، فكتب الى مؤنس وهو بواسط يأمره بالعود الى فارس، فسار وأرسله سيكري وأنسه وسأل منه الوساطة في امره وشعر ابن الفرات بميل مؤنس الى بغداد، وسار محمد بن جعفر فهزم سيكري على شيراز، فخلص الى قمّ وتحصّن بها، وحاصره محمد بن جعفر. ثم خرج اليه فهزمه ثانيةً ودخل مفازة خُراسان فلقيته عساكر اسماعيل الى بغداد، فحبسا هنالك. واستولى محمد ابن جعفر من القوّاد على فارس وولى عليها قبيجا خادم الافشين. ثم صارت ولايتها لبدر ابن عبدالله الحمامي (١)

وفي آخر سنة تسع وتسعين ومائتين قبض حرمه وقامت الهيعة ببغداد ثلاثة ايام، ثم سكنت وذلك لثلاث سنين وثلاثة اشهر من وزارته. فاستوزر مكانه ابا عليّ محمد بن يحيى بن عُبَيْدالله بن يحيى، فرتب الامور وولى على الدواوين. ثم زاد قرفه لضيق صدره وطيشه وعدوله عن مذاهب الرياسة الى الوضاعة، ومراجعة اصحاب الحاجات والحقوق الى ما يريد قضاءه منها، وكثرة التولية والعزل وتبجح اصحابه عليه في اطلاق الاموال

(١) كذا بياض في الأصل وفي الطبري ج ١٢ ص ١٩ : وفيها خالف سيكرى والتوى بما عليه فندب لمحاربته وصيف كامه غلام الموفق وشخص معه وجوه القواد وفيهم الحسين بن حمدان وبدر غلام النوشري وبدر الكبير المعروف بالحمامي فواقعوا سيكرى في باب شيراز وهزموه.

وانبساط الجاه بافساد الاحوال . واعتزم المقتدر على عزله بأبي الحسين بن ابي الفضل، فاستدعاه من اصبهان . ثم قبض عليه وعلى ابي الحسن ببغداد، وأهمل رأي الوزراء وصار يرجع الى قول النساء والخدم، فطمع العمال في الاطراف ثم اخرج ابن الفرات من محبسه وجعله في بعض الحجر، واحسن اليه وصار يعرض عليه مطالعات العمال، واراد ان يستوزره . ثم بدا له واستدعى علي ابن عيسى من مكة فاستوزره لاول سنة احدى وثلثمائة، وقبض على الخاقاني وحبسه وعين حرسياً عليه. وقام علي بن عيسى بالوزارة واصلح ما افسده الخاقاني واستقامت الامور .

قيام اهل صقلية بدعوة المقتدر ثم رجوعهم الى طاعة المهدي

قد ذكرنا ولاية عليّ بن عمر على صِقِلّيّة من عبد الله المهدي سنة تسع وتسعين . ثم انّ أهل صقلية انتقضوا عليه وولوا عليهم أحمد بن وهب . ثم انتقضوا عليه وأرادوا قتله، فدعا الى طاعة المقتدر، وخُطِبَ له بصقلية، وقطع خطبة المهديّ، وبعث أسطولًا الى ناحية ساحل افريقية، فلقوا أسطول المهدي، وعليه الحسن بن أبي خنزير، فأحرقوه وقتلوا الحسن، ووصلت خِلَعُ السواد وألويته لابن وهب من بغداد . ثم جاءت أساطيل المهديّ في البحر، وفسد أمر ابن وهب. ثم ثارت أهل صقلية به سنة ثلثمائة، وأسروه وبعثوا به الى المهديّ مع جماعة من اصحابه فأمرهم بقتلهم على قبر ابن أبي خنزير.

ولاية العهد

وفي سنة احدى وثلثمائة ولّي المقتدر ابنه أبا العباس العهد، وهو الذي وَلِيَ الخلافة بعد القاهر وسُمِّيَ بالراضي، فولاه أبوه المقتدر العهد وهو ابن سنين[1] وقلده مصر والمغرب، واستخلف له عليها مؤنساً الخادم، وولّي ابنه الآخر علياً على الريّ ودنباوند وقزوين وأذْرَبِيْجان وأبهر.

ظهور الاطروش وملكه خراسان

كان هذا الأطروش من وُلْدِ عمر بن عليٍّ زين العابدين وهو الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن عمر، وكان قد دخل الى الديلم بعد قتل محمد بن زيد، ولبث فيهم ثلاث عشرة سنة يدعوهم الى الاسلام، ويأخذ منهم العُشر ويدافع عنهم ملكهم ابن حسّان، فأسلم على يديه منهم خلق كثير، وبنى لهم المساجد، وزحف بهم الى ثغور المسلمين، أراهم مثل قزوين وسالوس فأطاعوه، وهدم حصن سالوس. ثم دعاهم الى غزو طبرستان وهي في طاعة ابن سامان، وكان اسماعيل بن أحمد لما انتقض بها محمد بن هارون، وقبض عليه اسماعيل ولى عليها أبا العباس عبدالله بن محمد بن نوح، فأحسن السيرة وأظهر العدل، وبالغ في الاحسان الى العلوية الذين بها، واستمال الديلم بالمهاداة والاحسان، فاشتمل الناس عليه.

فلما دعاهم الحسن الى غزو طبرستان. لم يجيبوه من اجل

(١) كذا بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٤٤: في هـذه السنة خلع عـلي الأمير أبي العباس بن المقتدر بالله، وقلد أعمال مصر والمغرب وعمره أربع سنين.

ابن نوح . ثم انّ أحمد بن اسماعيل عزل ابن نوح عنها، وولى عليها سلاماً فأساء السيرة ولم يحسن سياسة الديلم، فهاجوا عليه فقاتلهم وهزمهم، واستعفى من ولايتها . فعاد اليها ابن نوح وصلحت الحال كما كانت الى ان مات، فولى عليها محمد بن ابراهيم بن صعلوك، فأساء السيرة وتنكّر للدّيلم فصادف الحسنُ منها الفِرّةَ ودعاهم الى غزو طبرستان فأجابوه، وسار اليه ابن صعلوك على من يرحّله من سالوس بشاطىء البحر، فانهزم وقتل من أصحابه أربعة آلاف، ولجأ الباقون الى سالوس، فحاصرهم الاطروش حتى استأمنوا، ورجع عنهم الى آمد .

ثم جاء الحسن بن القاسم العلوي الداعي صهر الاطروش الى أولئك المستأمنين فقتلهم، واستولى الاطروش على طبرستان، ولحق ابن صعلوك بالري سنة احدى وثلثمائة ، وسار منها الى بغداد . وكان الاطروش زيديّ المذهب، وجميع الذين أسلموا على يـده فيما وراء اسعيد « ولى »[1] الى آمد كلهم على مذهب الشيعة. ثم ان الاطروش العلوي تنحّى عن آمد الى سالوس بعد أن غلب عليها، فبعث اليه صعلوك الريّ من قبل ابن سامان جيشاً فهزمهم وعاد الى آمد . ثم زحفت اليه عساكر السعيد [2] صاحب

(١) يظهر أنها زائدة.

(٢) هنا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ١٥٥ : وجمع العساكر وسار إلى الري وبها محمد بن علي صعلوك يتولى أمرها لصاحب خرسان وهو الأمير نصر بن أحمد بن إسماعيل الساماني.

خراسان سنة اربع وثلثمائة فقتلوه .

وكان هذا الاطروش عادلا حسن السيرة لم ير مثله في أيامه وأصابه الصمم من ضربة في رأسه بالسيف في الحرب . وقال ابن مَسْكَوَيْه في كتاب تجارب الأمم، ويقال فيه الحسن بن علي الداعي وليس به، وانما الداعي الحسن بن القاسم صهره، وسنذكره فيما بعد . وكان له من الولد أبو الحسن، وكان قوّاده من الديلم جماعة منهم ابن النعمان وكانت له ولاية جرجان، وما كان بن كالي، وكان على استراباذ ومعرا . ثم كان من قوّاد ولده من الديلم جماعة آخرون منهم اسفار بن شيرويه من أصحاب ما كان ابن كالي ومرداويج بن زياد من اصحاب اسفار واسكرى من اصحابه ايضاً، وبنو بُوَيه من أصحاب مرداويج، وسيأتي الخبر عن جميعهم ان شاء الله تعالى .

غلب المهدي على الاسكندرية ومسير مؤنس الى مصر

وفي سنة اثنتين وثلثمائة بعث عبيدالله المهدي عساكره من افريقية الى الاسكندرية مع قائده خفاشة الكتامي، فغلب عليها وسار الى مصر، وبلغ المقتدر فبعث مؤنساً الخادم في العساكر لمحاربته، وأمدّه بالاموال والسلاح . وسار اليهم وقاتلهم فهزمهم بعد وقائع متعدّدة، قتل فيها من الفريقين، وبلغ القتل والاسر من المغاربة سبعة آلاف ورجعوا الى المغرب .

انتقاض الحسين على ابن حمدان بديار ربيعة واسره

كان الحسين بن حمدان والياً على ديار ربيعة، وطالبه الوزير علي

ابن عيسي بالمال، فدافعه وأمره بتسليم البلاد الى عمال السلطان، فامتنع وكان مؤنس الخادم بمصر في محاربة عساكر المهدي صاحب افريقية، فجهز الوزير الى ابن حمدان، رائقاً الكبير في عسكر سنة ثلاث وثلثمائة، وكتب الى مؤنس ان يسير الى الجزيرة لقتاله بعد فراغه من اصحاب العلوي بمصر فسار رائق اولاً وهزمه الحسين، ولحق بمؤنس فأمره بالمقام بالموصل. وسار نحو الحسين وتبعه أحمد بن كيغلغ، وانتهى الى جزيرة ابن عمر والحسين بأرمينية. ورجع الكثير من عسكره الى مؤنس. ثم بعث مؤنس عسكراً في أثره عليهم بليق ومعه سيما الجَزَرِيّ. وجاء الصفواني واتبعوه فادركوه، وقاتلوه فهزموه، وجاؤا به أسيراً ومعه ابنه عبد الوهاب وأهله وكثير من أصحابه. وعاد مؤنس الى بغداد على الموصل، فحبسه المقتدر، وأغار على أبي الهيجاء بن حمدان وجميع اخوته وحبسهم. ثم أطلق أبا الهيجاء سنة خمس وقتل الحسين سنة ست تقريباً كما نذكر ان شاء الله تعالى.

وزارة ابن الفرات الثانية

كان الوزير أبو الحسن بن الفرات محبوساً كما ذكرنا، وكان المقتدر يشاوره ويرجع الى رأيه، ويبغي بعض أصحاب المقتدر اعادته. وبلغ ذلك الوزير علي بن عيسي فاستعفى ومنعه المقتدر. ثم جاءت في بعض الايام قهرمانة القصر تناظره في نفقات الحرم والحاشية وكسوتهم، فألفته نائماً فلم يوقظه لها أحد. فرجعت

وشكت الى المقتدر وأمه، فقبض عليه في ذي القعدة من سنة أربع وثلثمائة، وأعاد ابن الفرات على أن يحمل الى بيت المال ألف دينار وخمسمائة دينار في كل يوم. وقبض على الوزير من قبله علي ابن عيسى والخاقاني وأصحابهما، وصادرهم أبو علي بن مقلة وكان مختفياً منذ قبض على ابن الفرات فقدمه الآن واستخلصه.

خبر ابن ابي الساج باذربيجان

قد ذكرنا استقرار يوسف بن أبي الساج على ارمينية وأذرَبيْجَان منذ مهلك أخيه محمد سنة ثمان وثمانين ومائتين، وكان على الحرب والصلاة والاحكام، وكان عليه مال يؤدّيه. فلما ولي الخاقانيّ وعليّ بن عيسى الوزارة، والتأمت أمور يوسف في الاستبداد، وأخر بعض المال، واجتمع له ما يريده لذلك، وبلغته نكبة الوزير عليّ بن عيسى، فأظهر أنّ العهد وصل اليه بولاية الريّ على يد علي ابن عيسى. وكان حميد بن صعلوك من قوّاد بن سامان قد بعث على الريّ وما يليها، وقاطع عليها بمال يحمله فسار اليه يوسف سنة أربع وثلثمائة، فهرب الى خراسان واستولى يوسف على الريّ وقزوين وزنجان، وكتب الى الوزير ابن الفرات بالفتح ويعتذر بأنه طرد المتغلبين، ويذكر كثرة ما انفق من ذلك وانه كان بأمر الوزير علي بن عيسى وعهده اليه بذلك، فاستعظم المقتدر ذلك وسئل عليّ بن عيسى فأنكره وقال سلوا الكتاب والحاشية والعهد واللواء اللذين كان يسير بهما مع بعض القرّاد والخدّام.

فكتب ابن الفرات بالنكير على يوسف، وجهز العساكر لحربه مع خاقان المفلحي، ومعه أحمد بن مسرور البلخيّ، وسيما الخزري، ونحرير الصغير، وساروا سنة خمس وثلثمائة، فهزمهم يوسف وأسر منهم جماعة. فبعث المقتدر مؤنساً الخادم في جيش كثيف لمحاربته. وعزل خاقان المفلحي عن أعمال الجبل، وولاها نحريراً الصغير. وسار مؤنس واستأمن له أحمد بن علي أخو صعلوك فأمّنه وأكرمه، وبعث ابن أبي الساج في المقاطعة على أعمال الريّ بسبعمائة ألف دينار سوى أرزاق الجند والخدم، فأبى له المقتدر من ذلك عقوبة على ما أقدم عليه، وولى على ذلك العمل وصيفاً البكتمري، وطلب ابن أبي الساج أن يقاطعه على ما كان بيده قبل الريّ من أَذْرَبِيْجَان وارمينية، فأبى المقتدر الا أن يحضر في خدمته.

فلما يئس ابن أبي الساج زحف الى مؤنس وقاتله، فانهزم مؤنس الى زنجان وقتل من قوّاده جماعة، وأسر هلال بن بدر وغيره فحبسهم يوسف في أردبيل، وأقام مؤنس بزنجان بجميع العساكر، يستمدّ من المقتدر وابن أبي الساج يراسله في الصلح، والمقتدر لا يجيب الى ذلك. ثم قاتله مؤنس في فاتح سنة سبع وثلثمائة عند اردبيل، فهزمه وأسره وعاد به الى بغداد أسيراً، فحبسه المقتدر وولى مؤنس على الريّ ودَنْباوَنْد وقَزْوين وأبْهَر وزَنْجان عليّ بن وهشودان، وجعل أموالها لرجاله، وولى مؤنس

على اصبهان وقم وقاشان أحمد بن عليّ بن صعلوك، وسار عن أذربيجان فوثب سبك مولى يوسف بن أبي الساج فملكها واجتمع عليه عسكر فولى مؤنس بن محمد بن عبيد الفارقي، وسار بمحاربة سبك، فانهزم وعاد الى بغداد.

وتمكن سبك في أذربيجان، وسأل المقاطعة على مائتي ألف وعشرين ألف دينار في كل سنة، فأجيب وعقد له عليها، وكان مقيماً بقزوين، فقتله على مراسة ولحق ببلده، فولى المقتدر وصيفاً البكتمري مكانه على أعمال الريّ، وولّى محمد بن سليمان صاحب الجيش على الخوارج بها، ثم وثب أحمد بن علي بن صعلوك صاحب أصبهان وقم على الري، فملكها وكتب اليه المقتدر بالنكير، وأن يعود الى قم، فعاد ثم اظهر الخلاف واجمع المسير الى الري، وسار وصيف البكتمري لحربه. وامر نحرير الصغير ان يسير مدداً لبكتمري، فسبقهم احمد بن صعلوك الى الري. وملكها، وقتل محمد بن سليمان صاحب الخوارج، وبعث الى نصر الحاجب ليصلح امره بالمقاطعة على اعمال الري بمائة وستين الف دينار، وينزل عن قم فكتب له بذلك وولي غيره على قُم.

خبر سجستان وكرمان

وكانت سِجِسّتان قد صارت لابن سامان منذ سنة ثمان وتسعين ومائتين، ثم تغلب عليها كُثَيّر بن أحمد بن صَهفود من يده، فكتب المقتدر الى عامل فارس وهو بدر بن عبد الله الحامي أن يرسل

العساكر لمحاربته ، ويُؤثِّر عليهم تركاً ، ويحمل على الخراج بها زيد بن ابراهيم . فسارت العساكر وحاربوا أهل سجستان فهزموهم وأسروا زيد بن ابراهيم ، وكتب كثير الى المقتدر بالبراءة من ذلك ، وطوية أهل سجستان . وأرسل المقتدر أن يسير لقتاله بنفسه ، فخاف كثير وطلب المقاطعة على خمسمائة ألف دينار في كل سنة فأجيب وقرّرت البلاد عليه . وذلك سنة أربع وثلثمائة. وانتقض في هذه السنة بكرمان صاحب الخوارج بها أبو زيد خالد ابن محمد المارداني، وسار منها الى شيراز يروم التغلُّب على فارس ، فسار اليه بدر الحامي العامل، وحاربه فقتله وحمل رأسه الى بغداد.

وزارة حامد بن العباس

وفي سنة ست وثلثمائة قبض المقتدر على وزيره أبي الحسن ابن الفرات ، بسبب شكوى الجند بمطله أرزاقهم، وأعتذر بضيق الاموال للنفقة في حروب ابن أبي الساج، ونقص الارتياع بخروج الريّ عن ملكه . فشغب الجند وركبوا، وطلب ابن الفرات من الخليفة اطلاق مائتي ألف دينار من خاصته يستمين بها ، فنكر ذلك عليه لانه كان ضمن القيام بارزاق الاحشاد، وجميع النفقات المرتبة : فاحتج بنقص الارتياع وبالنفقة في الحرب كما تقدّم ، فلم يقبل . ويقال : سعى فيه عند المُقتَدر بأنّه يروم ارسال الحسين ابن حَمْدان الى أبي الساج فيحاربه ، واذا سار عنده اتفقا على المقتدر ، فقتل المقتدر ابن حمدان ، وقبض على ابن الفرات في

جمادى الآخرة، وكان حامد بن العبّاس على الاعمال بواسط، وكان منافراً لابن الفرات، وسعى به عنده بزيادة ارتياعه على ضمانه، فخشيه حامد على نفسه.

وكتب الى نصر الحاجب والى والده المقتدر سعة نفسه وكثرة اتباعه، وذلك عند استيحاشه من ابن الفرات. فاستقدمه من واسط، وقبض على ابن الفرات وابنه المحسن واتباعهما، واستوزر حامداً فلم يوف حقوق الوزارة ولا سياستها، وتحاشى عليه الدواوين، فأطلق المقتدر علي بن عيسى وأقامه على الدواوين كالنائب عن حامد. فكان يزاحمه واستبدّ بالامور دونه، ولم يبق لحامد أمر عليه. فأجابه ابن الفرات بأسفه منه. وقال لشفيع اللؤلؤي: قل لامير المؤمنين حامد، انما حمله على طلب الوزارة أني طالبته بأكثر من ألفي ألف دينار من فضل ضمانه، فاستشاط حامد وزاد في السفه، فأنفذ المقتدر من ردّ ابن الفرات الى محبسه، ثم صودر وضرب ابنه المحسن وأصحابه وأخذت منهم الاموال. ثم ان حامداً لما رأى استطالة عليّ بن عيسى عليه، وكثرة تصرّفه في الوزارة دونه، ضمن للمقتدر أعمال الخوارج والضياع الخاصة والمستحدثة والقرارية، بسواد بغداد والكوفة وواسط والبصرة والاهواز وأصبهان، واستأذنه في الانحدار الى واسط لاستخراج ذلك، فانحدر واسم الوزارة له، وأقام عليّ بن عيسى يدبر الامور، فأظهر حامد سوء تصرف في الاموال، وبسط المقتدر يده حتى

خافه علي بن عيسى . ثم تحرك السعر ببغداد فشغبت العامة ونهبوا الغلال، لان حامداً وغيره من القوّاد كانوا يخزنون الغلال . وأحضر حامد لمنعهم فحضر فقاتلوه، وفتقوا السجون، ونهبوا دار الشرطة . وأنفذ المقتدر غريب الخال في العسكر، فسكن الفتنة وعاقب المتصدّين للشرّ، وأمر بفتح المخازن التي للحنطة وبيعها، فرخص السعر، وسكن الى منع الناس من بيع الغلال في البيادر وخزنها، فرفع الضمان عن حامد، وصرف عماله عن السواد، وردّ ذلك لعلي ابن عيسى وسكن الناس .

وصول ابن المهدي وهو ابو القاسم الى ابنه

وفي سنة سبع وثلثمائة بعث المهدي صاحب افريقية أبا القاسم في العساكر الى مصر ، فوصل الى الاسكندرية في ربيع الآخر وملكها ، ثم سار إلى مصر ونزل بالجيزة واستولى على الصعيد ، وكتب إلى أهل مكة في طاعته فلم يجيبوا . وبعث المقتدر مؤنساً الخادم الى مصر لمدافعته ، فكانت بينهم حروب كثر فيها القتلى من الجانبين ، وكان الظهور لمؤنس ولقب يومئذ بالمظفر . ووصل من افريقية اسطول من ثمانين مركباً مدداً للقائم، وعليهم سليمان الخادم ويعقوب الكتامي ، وأمر المقتدر بأن يسير اليهم اسطول طرسوس فسار في خمسة وعشرين مركباً وعليهم أبو اليمن، ومعهم المدد والانفاط ، فغلبوا اسطول افريقية وأحرقوا أكثر مراكبه . وأسر سليمان الخادم ويعقوب الكتامي في جماعة قتل أكثرهم ،

وحبس سليمان بمصر، وحمل يعقوب الى بغداد. ثم هرب وعاد الى افريقية، وانقطع المدد عن عسكر المغاربة، فوقع الغلاء عندهم، وكثر الموتان في الناس والخيل، فارتحلوا راجعين الى بلادهم وسار عساكر مصر في أثرهم حتى ابعدوا.

بقية خبر ابن ابي الساج

قد تقدّم لنا أنّ مؤنساً حارب يوسف بن أبي السّاج عامل أذْرَبَيْجَان، فأسره وحمله الى بغداد فحبس بها، واستقرّ بعده في عمله سبك مولاه. ثم ان مؤنساً شفع فيه سنة عشر، فأطلقه المقتدر وخلع عليه. ثم عقد له على اذربيجان وعلى الري وقزوين وابهروزنجان وعلى خمسمائة الف دينار في كل سنة سوى ارزاق العساكر. وسار يوسف الى اذربيجان ومعه وصيف البكتمري في العساكر، ومر بالموصل فنظر في اعمالها وأعمال ديار ربيعة. وقد كان المقتدر تقدم اليه بذلك. ثم سار الى أذربيجان وقد مات مولاه سبك، فاستولى عليها. وسار سنة احدى عشرة الى الري، وكان عليها أحمد بن علي اخو صعلوك، وقد اقتطعها كما قدمنا. ثم انتقض على المقتدر، وهادن ما كان بن كالي من قواد الدَيْلَم القائم بدعوة اولاد الاطروش في طبرستان وجرجان.

فلما جاء يوسف الى الري حاربه أحمد، فقتله يوسف وأنفذ رأسه الى بغداد، واستولى على الري في ذي الحجة وأقام بها مدة، ثم سار عنها الى همذان فاتح [1] ثلاث عشرة، واستخلف بها مولاه

(١) كذا، وأظن أنه يعني بها أول سنة ثلاث عشرة.

مفلحاً وأخرجه أهل الري عنهم ، فعاد يوسف اليهم في جمادى من سنته ، واستولى عليها ثانيـة . ثم قلده المقتدر سنة أربع عشرة نواحي المشرق ، وأذن له في صرف أموالها في قواده واجناده ، وأمره بالمسير الى واسط ، ثم منها الى هجر لمحاربة أبي طاهر القرمطي ، فسار يوسف الى طاهر وكان بها مؤنس المظفر ، فرجع الى بغداد وجعل له أموال الخراج بنواحي همذان وساوة وقم وقاشان وماه[1] البصرة وماه الكوفة وماسبذان لينفقها في عسكره ، ويستعين بها على حرب القرامطة .

ولما سار من الري كتب المقتدر الى السعيد نصر بن سامان بولاية الري ، وأمره بالمسير اليها وأخذها من فاتك مولى يوسف ، فسار اليها فاتح أربع عشرة ، فلما انتهى الى جبل قارن منعه ابو نصر الطبري من العبور ، وبذل له ثلاثين الف دينار ، فترك سبيله وسار الى الري فملكها من يد فاتك ، واقام بها شهرين ، وولى عليها سيمجور الدواني وعاد الى بخارى . ثم استعمل على الري محمد بن ابي صعلوك ، فأقام بها الى شعبان سنة ست عشرة واصابه مرض ، وكاتَبَ الحسن بن القاسم الداعي وما كان بن كالي اميري الديلم في تسليم الري اليهما ، فقدما وسار عنها ومات في طريقه ، واستولى الداعي والديلم عليها .

بقية الخبر عن وزراء المقتدر

قد تقدم الكلام في وزارة حامد بن العباس ، وان علي بن

(١) بمعنى الماء . والنسبة إليه : ما هي .

عيسى كان مستبداً عليه في وزارته، وكان كثيراً ما يطرح جانبه ويسيء في توقعاته على عماله. واذا اشتكى اليه احد من نوّابه يوقع على القصة انما عقد الضمان على الحقوق الواجبة فليكف الظالم عن الرعية. فأنف حامد من ذلك، واستأذن في المسير الى واسط للنظر في ضمانة، فأذن له. ثم كثرت استغاثة الخدم والحاشية من تأخر أرزاقهم وفسادها، فانّ علي بن عيسى كان يؤخرها، واذا اجتمعت عدّة شهور أسقطوا بعضها، وكثرت السعاية واستغاث العمال وجميع أصحاب الارزاق بأنه حط من أرزاقهم شهرين من كل سنة، فكثرت الفتنة على حامد. وكان الحسن ابن الوزير ابن الفرات متعلقاً بمفلح الاسود خالصة[1] الخليفة المقتدر وكان شقيقه لابيه، وجرى بينه وبين حامد يوماً كلام، فأساء عليه حامد وحقد له.

وكتب ابن الفرات الى المقتدر وضمن له أموالًا فأطلقه واستوزره، وقبض على عليّ بن عيسى وحبسه في مكانه، وذلك سنة احدى عشرة وجاء حامد من واسط فبعث ابن الفرات من يقبض عليه، فهرب من طريقه واختفى ببغداد. ثم مضى الى نصر ابن الحاجب سرّاً وسأل ايصاله الى المقتدر، وان يحبسه بدار الخلافة، ولا يمكن ابن الفرات منه. فاستدعى نصر الحاجب مفلحاً الخادم حتى وقفه على أمره وشفع له في رفع المؤاخذة بما كان منه، فمضى الى المقتدر وفاوضه بما أحب، وأمر المقتدر باسلامه لابن الفرات،

(١) هي كلمة عامية بلغة المغرب بمعنى: الصديق الحميم.

فحبسه مدّة ثم أحضره وأحضر له القضاة والعمال، وناظره فيما وصل اليه من الجهات فأقرّ بنحو ألف ألف دينار . وضمنه المحسن بن الفرات بخمسمائة ألف دينار فسلم اليه وعذبه أنواعاً من العذاب، وبعثه الى واسط ليبيع امواله هنالك، فهلك في طريقه باسهال أصابه.

ثم صودر عليّ بن عيسى على ثلثمائة ألف دينار، وعذبه المحسن بعد ذلك عليها فلم يستخرج منه شيئاً، وسيره ابن الفرات أيام عطلته وحبسه بعد ان كان رباه وأحسن اليه، فقبض عليه مدّة ثم أطلقه، وقبض على ابن الجوزي وسلمه الى ابنه المحسن، فعذبه ثم بعثه الى الاهواز لاستخراج الاموال، فضربه الموكل به حتى مات. وقبض ايضاً على الحسين بن أحمد، وكان تولى مصر والشام وعلى محمد بن علي الماذراني وصادرهما على ألف ألف وسبعمائة ألف دينار، وصادر جماعة من الكتاب سواهم ونكبهم. وجاء مؤنس من غزاته فانهي اليه أفعال ابن الفرات، وما يعتمده من المصادرات والنكايات وتعذيب ابنه للناس، فخافه ابن الفرات وخوّف المقتدر منه. وأشار بسيره الى الشام ليقيم هنالك بالثغر، فبعثه المقتدر وأبعده.

ثم سعى ابن الفرات بنصر الحاجب وأغراه به وأطمعه في ماله وكان مكثرًا. واستجار نصر بأمّ المقتدر. ثم كثر الارجاف بابن الفرات، فخاف وأنهى الى المقتدر بأنّ الناس عادوه لنصحه للسلطان واستيفاء حقوقه، وركب هو وابنه المحسن الى المقتدر

فأوصلها اليه وأسهمها ، وخرجا من عنده فمنعها نصر الحاجب ، ودخل مفلح على المقتدر وأشار اليه بعزله ، فأسرّ اليه ووافقه على ذلك ، وأمر بتخلية سبيلها . واختفى المحسن من يومه . وجاء نازوك وبليق من الغد في جماعة من الجند الى دار ابن الفرات فاخرجوه حافياً حاسراً . وحمل الى مؤنس المظفر ومعه هلال بن بدر، ثم سلم الى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده وصودر على ألف ألف دينار ، وذلك سنة اثنتي عشرة .

وكان عبدالله أبو القاسم بن علي بن محمد بن عبيدالله بن يحيى ابن خاقان لما تغير حال ابن الفرات سعى في الوزارة وضمن في ابن الفرات وأصحابه ألفي ألف دينار على يد مؤنس الخادم وهارون ابن غريب الخال ونصر الحاجب، فاستوزره المقتدر على كراهية فيه ، ومات أبوه عليّ على وزارته . وشفع اليه مؤنس الخادم في اعادة علي بن عيسى من صنعاء ، فكتب له في العود وبمشارفة أعمال مصر والشام ، وأقام المُحسِنُ بن الفرات مختفياً مدة . ثم جاءت أمرأة الى دار المقتدر تنادي بالنصيحة ، فأحضرها نصر الحاجب فدلت على المحسن ، فأحضره نازوك صاحب الشرطة، فسلم للوزير وعذب، بأنواع العذاب، فلم يستخرج منه شيء فأمر المقتدر بحمله الى أبيه بدار الخلافة ، وجاء الوزير أبو القاسم الخاقاني الى مؤنس وهارون ، ونصر فحذرهم شأن ابن الفرات وعائلته بدار الخلافة ، واغراهم به ، فوضعوا القواد والجند وقالوا لا بد من

قتل ابن الفرات وولده . ووافق هؤلاء على ذلك ، فأمر نازوك بقتلها فذبحها .

وجاء هارون الى الوزير الخاقاني يهنئه بذلك فأغمي عليه، ثم افاق واخذ منه الفي دينار، وشفع مؤنس المظفر في ابنيه عبد الله وابي نصر فأطلقهما ووصلهما بعشرين الف دينار . ثم عزل الخاقاني سنة ثلاث عشرة لانه اصابه المرض وطال به ، وشغب الجند في طلب أرزاقهم فوقفت به الاحوال ، وعزله المقتدر وولى مكانه ابا العباس الخصي وكان كاتباً لامه فقام بالامر، واقر عَليّ بن عيسى على اعمال مصر والشام، فكان يتردّد اليها من مكة ثم ان الخَصيّ اضطربت أموره وضاقت الجباية، وكان مدمناً للسكر مهملاً للامور، ووكل من يقوم عنه فآثروا مصالحهم وأضاعوا مصلحته . وأشار مؤنس المظفر بعزله وولاية ابن عيسى، فعزل لسنة وشهرين .

واستقدم علي بن عيسى من دمشق، وأبو القاسم عبدالله بن محمد الكلواذي بالنيابة عنه الى أن يحضر، فحضر أوّل سنة خمس عشرة واستقل بأمر الوزارة، وطلب كفالات المصادرين والعمال ، وما ضمن من الاموال بالسواد والاهواز وفارس والمغرب، فاستحضرها شيئاً بعد شيء، وأدرّ الارزاق وبسط العطاء وأسقط أرزاق المغنين والمسامرة والندمان والصفاعنة . وأسقط من الجند اصاغر الاولاد ومن ليس له سلاح والهرمى والزمنى، وباشر الامور بنفسه، واستعمل الكفاة . وطلب ابا العباس الخصي في المناظرة،

واحضر له الفقهاء والقضاة والكتاب، وسأله عن اموال الخوارج والنواحي والمصادرات وكفالاتها، وما حصل من ذلك وما الواصل والبواقي، فقال لا أعلم. فسأله عن المال الذي سلمه لابن أبي الساج كيف سلمه بلا مصرف ولا منفق، وكيف سلم اليه أعمال المشرق، وكيف بعثه لبلاد الصحراء بهجر هو وأصحابه من أهل الفلول والخصب، فقال ظننت منهم القدرة على ذلك.

وامتنع ابن ابي الساج من المنفق فقال: وكيف استجزت ضرب حرم المصادرين، فسكت ثم سئل عن الخراج فخلط فقال انت غررت أمير المؤمنين من نفسك، فهلا استعذرت بعدم المعرفة. ثم أعيد الى محبسه واستمرّ علي بن عيسى في ولايته. ثم اضطربت عليه الاحوال واختلفت الاعمال، ونقص الارتياع نقصاً فاحشاً، وزادت النفقات، وزاد المقتدر تلك الايام في نفقات الخدم والحرم ما لا يحصى، وعاد الجند من الانبار فزادهم في أرزاقهم مائتين وأربعين ألف دينار. فلما رأى ذلك علي بن عيسى ويئس من انقطاعه او توقفه، وخشي من نصر الحاجب، فقد كان انحرف عنه لميل مؤنس اليه وما بينهما من المنافرة في الدولة، فاستعفى من الوزارة وألحّ في ذلك وسكنه مؤنس فقال له أنت سائر الى الرقّة، وأخشى على نفسي بعدك.

ثم فاوض المقتدر نصراً الحاجب بعد مسير مؤنس فأشار بوزارة أبي عليّ بن مقلة، فاستوزره المقتدر سنة ست عشرة وقبض

على عليّ بن عيسى وأخيه عبد الرحمن، وأقام ابن مقلة بالوزارة وأعانه فيها أبو عبدالله البريدي لمودّة كانت بينهما، واستمرّت حاله على ذلك. ثم عزله المقتدر ونكبه بعد سنتين وأربعة أشهر حين استوحش من مؤنس كما نذكره، وكان ابن مقلة متهماً بالميل اليه، فاتفق مغيبه في بعض الوجوه فقبض عليه المقتدر. فلما جاء مؤنس سأل في اعادته فلم يجبه المقتدر وأراد قتله فمنعه، واستوزر المقتدر سليمان بن الحسن، وأمر علي بن عيسى بمشاركته في الاطلاع على الدواوين، وصودر ابن مقلة على مائتي ألف دينار، وأقام سليمان في وزارته سنة وشهرين، وعلي ابن عيسى يشاركه في الدواوين. وضاقت عليه الاحوال اضاقة شديدة، وكثرت المطالبات ووقفت وظائف السلطان.

ثم أفرد السواد بالولاية، فانقطعت مواد الوزير لانه كان يقيم من قبله من يشتري توقعات الارزاق ممن لا يقدر على السعي في تحصيلها من العمال والفقهاء وأرباب البيوت، فيشتريها بنصف المبلغ فيتعرّض بعض من كان ينتمي لمفلح الخادم لتحصيل ذلك للخليفة، وتوسط له مفلح فدافع لذلك وجاهر في تحصيله من العمال، فاختلت الاحوال بذلك وفضح الديوان ودفعت الاحوال لقطع منافع الوزراء والعمال التي كانوا يرتفقون بها، واهمالهم أمور الناس بسبب ذلك. وعاد الخلل على الدولة وتحرّك المرشحون للوزارة في السعاية وضمان القيام بالوظائف وأرزاق الجند. وأشار مؤنس بوزارة أبي

القاسم الكلواذي، فاستوزره المقتدر في رجب من سنة تسع عشرة وأقام في وزارته شهرين .

وكان ببغداد رجل من المخرّفين يسمى الدانيالي، وكان وراقاً ذكياً محتالًا يكتب الخطوط في الورق ويداويها حتى تتمّ بالبلى . وقد أودعها ذكر من يراه من أهل الدولة برموز واشارات، ويقسم له فيها من حظوظ الملك والجاه والتمكين قسمة من عالم الغيب، يوهم أنها من الحدثان القديم المأثور عن دانيال وغيره، وأنها من الملاحم المتوارثة عن آبائه، ففعل مثل ذلك بمفلح . وكتب له في الاوراق مممم بأن يكون له كذا وكذا، وسأله مفلح عن الميم فقال هو كناية عنك لانك مفلح مولى المقتدر . وناسب بينه وبين علامات مذكورة في تلك الاوراق حتى طبقها عليه، فشغف به مؤنس وأغناه . وكان يداخل الحسين بن القاسم بن عبدالله ابن وهب، فرمز اسمه في كتاب وذكر بعض علاماته المنطبقة عليه، وذكر انه يستوزره الخليفة الثامن عشر من بني العباس، وتستقيم الامور على يديه، ويقهر الاعادي وتعمر الدنيا في أيامه. وخلط ذلك في الكتاب بحدثان كثير وقع بعضه ولم يقع الآخر .

وقرأ الكتاب علي مفلح فأعجبه، وجاء بالكتاب الى المقتدر فأعجب به الآخر، وقال لمفلح من تعلم بهذه القصة؟ فقال لا أراه الا الحسين بن القاسم . قال صدقت واني لاميل اليه، وقد كان المقتدر اراد ولايته قبل ابن مقلة وقبل الكلواذي، فامتنع

مؤنس . ثم قال المقتدر لمفلح ان جاءتك رقعة منه بالسعي في الوزارة فأعرضهـا عليّ . ثم سأل مفلح الدانيالي من اين لك الكتاب ؟ قال وراثة من آبائي وهو من ملاحم دانيال . فانهى ذلك الى المقتدر، واغتبطوا بالحسين وبلغ الخبر اليه ، فكتب الى مفلح بالسعي في الوزارة، فعرض كتابه على المقتدر فأمره باصلاح مؤنس .

واتفق أنّ الكلواذي عمل حساباً بما يحتاج اليه من النفقات الزائدة على الحاصل، فكانت سبعمائة ألف دينار ، وكتب عليه اهل الديوان خطوطهم ، وقال ليس لهذه جهة الا ما يطلقه أمير المؤمنين . فعظم ذلك على المقتدر ، وأمر الحسين بن القاسم ان يضمن جميع النفقات وزيادة ألف ألف دينار لبيت المال . وعرض كتابه على الكلواذي فاستقال، وأذن للكلواذي لشهرين من وزارته ، وولى الحسين بن القاسم ، واشترط ان لا يشاركه علي ابن عيسى في شيء من أموره، واخراجه الصافية . واختص به الحسين بن اليزيدي وابن الفرات . ولما ولي واطلع على نقصان الارتياع وكثرة الانفاق، وضاق عليه الامر فتعجل الجباية المستقبلة، وصرفها في الماضية . وبلغ ذلك هارون بن غريب الخال فأنهاه الى المقتدر، فرتب معه الخصيّ واطلع على حسابه ، فألقى له حسبة ليس فيها رمزه . فأظهر ذلك للمقتدر وجميع الكتاب، واطلعوا عليها وقابلوا الوزير بتصديق الخصي فيما قاله، وقبض على الحسين

ابن القاسم في شهر ربيع من سنة عشرين لسبعة أشهر من ولايته. واستوزر أبا الفتح الفضل بن جعفر وسلم اليه الحسين فلم يؤاخذه باساءته ولم يزل على وزارته.

القرامطة

اخبار القرامطة في البصرة والكوفة

كان القرامطة قد استبدّ طائفة منهم بالبحرين، وعليهم أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد الجنابي، ورث ذلك عن أبيه واقتطعوا ذلك العمل باسره عن الدولة، كما يذكر في أخبار دولتهم عند افرادها بالذكر. فقصد أبو طاهر البصرة سنة احدى عشرة ومائتين، وبها سبط مفلح، فكبسها ليلاً في ألفين وسبعمائة، وتسنموا الاسوار بالحبال، وركب سبك فقتلوه ووضعوا السيف في الناس، فافحشوا في القتل، وغرق كثير في الماء، وأقام أبو طاهر بها سبعة عشر يوماً، وحمل ما قدر عليه من الاموال والامتعة والنساء والصبيان وعاد الى هجر. وولى المُقتَدِرُ على البصرة محمد بن عبدالله الفارِقيّ فانحدر اليها بعد انصرافهم عنها. ثم سار ابو طاهر القَرْمِطِيّ سنة اثنتي عشرة معترضاً للحاج في رجوعهم من مكة، فاعترض أوائلهم ونهبهم، وجاء الخبر الى الحاج وهم بعيد، وقد فنيت أزوادهم وكان معهم أبو الهَيْجَاء بن حَمدان صاحب طريق الكوفة. ثم أغار عليهم أبو طاهر فأوقع بهم، وأسر أبا الهيجاء أحمد بن بدر من أخوال

المُقْتَدِر، ونهب الامتعة، وسبى النساء والصبيان، ورجع الى هجر .

وبقي الحجاج ضاحين في القفر الى أن هلكوا، ورجع كثير من الحرم الى بغداد، وأشغبوا واجتمع معهم حرم المنكوبين ايام ابن الفرات، فكان ذلك من أسباب نكبته . ثم أطلق أبو طاهر الاسرى الذي عنده ابن حمـدان وأصحابه، وأرسل الى المقتدر يطلب البصرة والاهواز، فلم يجبه وسار من هجر لاعتراض الحاج، وقد سار بين أيديهم جعفر بن ورقاء الشيباني في ألف رجل من قومه، وكان صاحب أعمال الكوفة وعلى الحاج بمثل صاحب البحر وجنا الصفواني وطريف اليشكري وغيرهم في ستة آلاف رجل، فقاتل جعفر الشيباني أوّلا وهزمه . ثم اتبع الحاج الى الكوفة فهزم عسكرهم وفتك فيهم، وأسر جنا الصفواني، وهرب الباقون . وملك الكوفة وأقام بظاهرها ستة أيام يقيم في المسجد الى الليل، ويبيت في عسكره . وحمل مـا قدر عليه من الأموال والمتاع ورجع الى هجر .

ووصل المنهزمون الى بغداد فتقدّم المقتدر الى مؤنس بالخروج الى الكوفة، فسار اليها بعد خروجهم عنها، واستخلف عليها ياقوتا، ومضى الى واسط ليمانع أبا طاهر دونها، ولم يحج أحد هذه السنة، وبعث المقتدر سنة اربع عشرة عـن يوسف بن أبي الساج من أَذْرَبَيْجَان، وسيره الى واسط لحرب أبي طاهر . ورجع مؤنس الى بغداد، وخرج ابو طاهر سنة خمس عشرة وقصد الكوفة، وجاء

الخبر الى ابن أبي الساج فخرج من واسط آخر رمضان يسابق أبا طاهر اليها، فسبقه أبو طاهر، وهرب العمال عنها واستولى على الاتراك والعلوفات التي أعدّت بها . ووصل ابن أبي الساج ثامن شوّال بعد وصول أبي طاهر بيوم، وبعث يدعوه الى الطاعة للمقتدر، فقال لا طاعة الا لله، فآذنه بالحرب وتزاحفوا يوماً الى الليل .

ثم انهزم أصحاب ابن أبي الساج وأسروا ووكل أبو طاهر طبيباً يعالج جراحته، ووصل المنهزمون ببغداد فأرجفوا بالهرب، وبرز مؤنس المظفر لقصد الكوفة . وقد سار القرامطة الى عين التمر فبعث مؤنس من بغداد خمسمائة سرية ليمنعهم من عبور الفرات . ثم قصد القرامطة الانبار ونزلوا غربي الفرات، وجاؤوا بالسفن من الحُدَيْثَةِ، فأجاز فيهم ثلثمائة منهم، وقاتلوا عسكر الخليفة فهزموهم واستولوا على مدينة الانبار . وجاء الخبر الى بغداد فخرج الحاجب في العساكر، ولحق بمؤنس المظفر واجتمعوا في نيف وأربعين الف مقاتل الى عسكر القرامطة ليخلصوا ابن أبي الساج، فقاتلهم القرامطة وهزموهم . وكان أبو طاهر قد نظر الى ابن أبي الساج وهو يستشرف الى الخلاص، وأصحابه يشيرونه، فأحضره وقتله وقتل جميع الاسرى من أصحابه، وكثر الهرج ببغداد، واتخذوا السفن بالانحدار الى واسط ومنهم من نقل متاعه الى حلوان . وكان نازوك صاحب الشرطة فأكثر التطواف بالليل والنهار، وقتل بعض

الدعار فاقصروا عن (١).

ثم سار القرامطة عن الانبار فاتحة سنة ست عشرة، ورجع مؤنس الى بغداد، وسار أبو طاهر الى الرَحبَةِ فلكها واستباحها، واستأمن اليه أهل قرقيسيا فأمّنهم، وبعث السرايا الى الأعراب بالجزيرة فنهبوهم وهربوا بين يديه، وقدر اليهم الأتاوة في كل سنة يحملونها الى هجر. ثم سار أبو طاهر الى الرقة وقاتلها ثلاثاً وبعث السرايا الى رأس عين وكفر توثا وسنجار فاستأمنوا اليهم، وخرج مؤنس المظفر من بغداد في العسكر وقصد الرقة، فسار أبو طاهر عنها الى الرحبة ووصلها مؤنس، وسار القرامطة الى هيت، فامتنعت عليهم فساروا الى الكوفة. وخرج من بغداد نصر الحاجب وهارون بن غريب وبُنى بن قيس في العساكر اليها، ووصلت جند القرامِطَةِ الى قصرابن هُبَيْرَةَ. ثم مرض نصر الحاجب واستخلف على عسكره أحمد بن كيغلغ، وعاد فمات في طريقه وولى مكانه على عسكره هارون بن عريب، وولى مكانه في الحجة ابنه احمد. ثم انصرف القرامطة الى بلادهم، ورجع هارون الى بغداد في شوّال من السنة. ثم اجتمع بالسواد جماعات من اهل هذا المذهب بواسط وعين التمر، وولى كل جماعة عليهم رجلًا منهم، فولى جماعة واسط حريث بن مسعود، وجماعة عين التمر عيسى بن موسى وسار

(١) هنا بياض في الأصل وفي الكامل لابن الأثيرج ٦ ص ١٨٨ : وسلمت بغداد من نهب العيارين لأن نازوك كان يطوف هو وأصحابه ليلاً ونهاراً، ومن وجدوه بعد العتمة قتلوه فامتنع العيارون.

الى الكوفة ونزل بظاهرها وصرف العمال عن السواد، وجبى الخراج . وسار حُرَيْثُ الى اعمال المُوَفَّقِ وبنى بها داراً سماها دار الهجرة، واستولى على تلك الناحية، وكان صاحب الحرب بواسط بني بن قيس، فهزموه، فبعث اليه المقتدر هارون بن غريب في العساكر، والى قرامطة الكوفة صافياً البصري، فهزموهم من كل جانب وجاؤوا بأعلامهم بيضاء، عليها مكتوب : ونُرِيد أنْ نَمُنَّ على الذين استُضعِفُوا في الأَرْضِ الآية، وأدخلت الى بغداد منكوسة، واضمحلّ امر القرامطة بالسواد .

استيلاء القرامطة على مكة وقلعهم الحجر الاسود

ثم سار أبو طاهر القرمطي سنة تسع عشرة الى مكة، وحج بالناس منصور الديلمي، فلما كان يوم الترويةِ نهب ابو طاهر أموال الحجاج، وفتك فيهم بالقتل حتى في المسجد والكعبة، واقتلع الحجرَ الأَسود وحمله الى هجر، وخرج اليه ابو مخلب أمير مكة في جماعة من الاشراف، وسألوه فلم يُشَفِّعهم، وقاتلوه فقتلهم وقلع باب البيت، وأصعد رجلاً يقتلع الميزاب فسقط فمات، وطرح القتلى في زمزم، ودفن الباقين في المسجد حيث قتلوا، ولم يغسلوا ولا صلى عليهم ولا كفنوا . وقسم كسوة البيت على أصحابه، ونهب بيوت أهل مكة، وبلغ الخبر الى المهدي عبيدالله بافريقية، وكانوا يظهرون الدعاء له، فكتب اليه بالنكير واللعن ويتهدّده على الحجر الاسود، فردّه وما أمكنه من أموال الناس واعتذر

عن بقية ما أخذوه بافتراقه في الناس .

خلع المقتدر وعوده

كان من أوّل الاسباب الداعية لذلك ان فتنة وقعت بين ماجوريه هارون الخال، ونازوك صاحب الشرطة في بعض مذاهب الفواحش، فحبس نازوك ماجوريه هرون، وجاء اصحابه الى محبس الشرطة، ووثبوا بنائبه واخذوا اصحابهم من الحبس. ورفع نازوك الامر الى المقتدر فلم يعدِ احدا منهما لمكانهما منه، فعاد الأمر بينهما الى المقاتلة. وبعث المقتدر اليهما بالنكير فاقصرا، واستوحش هارون، وخرج باصحابه ونزل البستان النجمي وبعث اليه المقتدر يسترضيه، فأرجف الناس ان المقتدر جعله امير الامراء، فشق ذلك على اصحاب مؤنس . وكان بالرقّة فكتبوا اليه فأسرع العود الى بغداد، ونزل بالشماسية مستوحشاً من المقتدر ولم يلقه، وبعث ابنه ابا العباس ووزيره ابن مقلة لتلقيه وايناسه فلم يقبل، وتمكنت الوحشة واسكن المقتدر ابن خاله هارون معه في داره فازداد نفور مؤنس .

وجاء ابو العباس بن حمدان من بلاده في عسكر كبير، فنزل عند مؤنس وتردد الامراء بين المقتدر ومؤنس، وسار اليه نازوك صاحب الشرطة، وجاءه بنى بن قيس . وكان المقتدر قد اخذ منه الدينور، واعادها اليه مؤنس، واشتمل عليه. وجمع المقتدر في داره هارون بن عريب واحمد بن كيغلغ، والغلمان الحجرية، والرجال المصافية . ثم انتقض اصحاب المقتدر وجاؤوا الى مؤنس وذلك في فتح سنة سبع عشرة . فكتب مؤنس الى

المقتدر بأن الناس ينكرون سرفه فيما اقطع الحرم والخدم من الاموال والضياع، ورجوعه اليهم في تدبير ملكه، ويطالبه باخراجهم من الدار، واخراج هارون بن غريب معهم، وانتزاع ما في ايديهم من الاموال والاملاك. فأجاب المقتدرُ الى ذلك وكتب يستعطفه ويذكره البيعة ويخوّفه عاقبة النكث، واخرج هارون الى الثغور الشاميّة والجزريّة، فسكن مؤنس ودخل الى بغداد ومعه ابن حمدان ونازوك والناس يرجفون بأنه خلع المقتدر.

فلما كان عشر محرم من هذه السنة ركب مؤنس الى باب الشماسية وتشاور مع أصحابه قليلاً، ثم رجعوا الى دار الخليفة بأسرهم، وكان المقتدر قد صرف احمد بن نصر القسوري عن الحجابة وقلّدها ياقوتاً، وكان على حرب فارس، فاستخلف مكانه ابنه أبا الفتح المظفر. فلما جاء مؤنس الى الدار هرب ابن ياقوت وسائر الحجبة والخدم والوزير وكل من بالدار، ودخل مؤنس فأخرج المقتدر وامه وولده وخواص جواريه فنقلهم الى داره واعتقلهم بها، وبلغ الخبر هارون ابن غريب بقطربل، فدخل الى بغداد واستتر، ومضى ابن حمدان الى دار ابن طاهر فأحضر محمد ابن المعتضد، وبايعوه ولقبوه القاهر بالله. وأحضروا القاضي أبا عمر المالكي عند المقتدر للشهادة عليه بالخلع، وقام ابن حمدان يتأسف له ويبكي ويقول: كنت أخشى عليك مثل هذا ونصحتك فلم تقبل، وآثرت قول الخدم والنساء على قولي، ومع هذا فنحن

عبيدك وخدمك، وأودع كتاب الخلع عند القاضي أبي عمر، ولم يظهر عليه أحداً حتى سلمه الى المقتدر بعد عوده، فحسن موقع ذلك منه وولاه القضاء، ولما تمّ الخلع عمد مؤنس الى دار الخليفة فنهبها، ومضى ابن نفيس الى تربة أمّ المقتدر فاستخرج من بعض قبورها ستمائة ألف دينار وحملها الى القاهر .

وأخرج مؤنس علي بن عيسى الوزير من الحبس وولّى عليّ بن مقلة الوزارة، وأضاف الى نازوك الحجابة مع الشرطة، وأقطع ابن حمدان حلوانَ والدينور وهمذان وكرمان والصيْمَرةَ ونهاوند وشيراز وماسبذان مضافاً الى ما بيده من اعمال طريق خراسان، وكان ذلك منتصف المحرّم . ولما تقلد نازوك الحجابةَ أمر الرّجالةَ بتقويض خيامهم من الدار وأدالهم ابن جالة من أصحابه فأسفهم بذلك، وتقدّموا الى خلفاء الحجّاب بان يمنعوا الناس من الدخول الا اصحاب المراتب، فاضطربت الحجرية لذلك، فلما كان سابع عشر المحرّم وهو يوم الاثنين بكر الناس الى الخليفة لحضور الموكب، وامتلأت الرحاب وشاطيء دجلة بالناس، وجاء الرجالة المصافية شاكي السلاح يطالبون بحق البيعة ورزق سنة، وقد بلغ منهم الحنق على نازوك مبالغه . وقعد مؤنس عن الحضور ذلك اليوم، وزعق الرجالة المصافية، فنهى نازوك أصحابه ان يعرضوا لهم، فزاد شغبهم وهجموا على الصحن المنيمي ودخل معهم من كان على الشط من العامة بالسلاح، والقاهر جالس وعنده علي بن مقلة

الوزير ونازوك . فقال لنازوك اخرج اليهم فسكنهم، فخرج وهو متحامل من الخمار، فتقدّم الى الرجالة للشكوى بحالهم ورأى السيوف في أيديهم فهرب، فحدث لهم الطمع فيه وفي الدولة واتبعوه فقتلوه وخادمه عجيفاً، ونادوا بشعار المقتدر .

وهرب كل من في الديار من سائر الطَبَقات وصلبوا نازوك وعجيفاً على شاطىء دجلة . ثم ساروا الى دار مؤنس يطلبون المقتدر، وأغلق الخادم أبواب دار الخليفة، وكانوا كلهم صنائع المقتدر . وقصد أبو الهيجاء حمدان الفرات فتعلق به القاهر واستقدم به فقال له اخرج معي الى عشيرتى أقتل دونك، فوجد الابواب مغلقة فقال له ابن حمدان : قف حتى أعود اليك، ونزع ثيابه ولبس بعض الخلقان، وجاء الى الباب فوجده مغلقاً والناس من ورائه، فرجع الى القاهر وتالا بعض الخدّام على قتله، فقاتلهم حتى كشفهم ودخل في بعض مسارب البستان، فجاؤه فخرج اليهم فقتلوه وحملوا رأسه .

وانتهى الرَّجالة الى دار مؤنس يطلبون المقتدر، فسلمه اليهم وحملوه على رقابهم الى دار الخلافة، فلما توسط الصحن المنيمي اطمأنّ وسأل عن أخيه القاهر وابن حمدان، وكتب لهما الامان بخطه، وبعث فيهما فقيل له ان ابن حمدان قد قتل، فعظم عليه وقال والله ما كان أحمد [١] بسيف في هذه الايام غيره، وأحضر القاهر

(١) كذا ولعلها: أجدر.

فاستدناه وقبّل رأسه، وقال له لا ذنب لك ولو لقبوك المقهور لكان أولى من القاهر، وهو يبكي ويتطارح عليه حتى حلف له على الامان، فانبسط وسكن. وطيف برأس نازوك وابن حمدان، وخرج أبو نفيس هارباً من مكان استتاره الى الموصل، ثم الى أرمينية، ولحق بالقُسْطَنْطِينِيّةِ فتنصّرَ، وهرب أبو السرَايا أخو أبي الهيجاء الى الموصل، وأعاد المقتدر أبا عليّ بن مقلة الى الوزارة، وأطلق للجند أرزاقهم وزادهم. وبيع ما في الخزائن بأرخص الاثمان، وأذن في بيع الاملاك لتتمة الاعطيات، وأعاد مؤنساً الى محلّه من تدبير الدولة والتعويل عليه في أموره. ويقال إنّه كان مقاطعاً للمُقْتَدِرِ وانه الذي دسّ الى المُصَافِيَة والحَجَرِيّة بما فعلوه، ولذلك قعد عن الحضور الى القاهر. ثم ان المقتدر حبس أخاه القاهر عند أمّه فبالغَت في الاحسان اليه، والتوسعة عليه في النفقة والسراري.

اخبار قواد الديلم وتغلبهم على اعمال الخليفة

قد تقدّم لنا الخبر عن الدَيْلَمِ في غير موضع من الكتاب، وخبر افتتاح بلادهم بالجبال والامصار التي تليها، مثل طَبَرَسْتان وجَرْجَان وسارِيَة وآمد واستراباذ، وخبر إسلامهم على يد الاطروش، وأنه جمهم وملك بهم بلاد طبرستان سنة احدى وثلثمائة، وملك من بعده أولاده والحسن بن القاسم الداعي صهره، واستعمل منهم القوّاد على ثغورها. فكان منهم ليلى بن النُعمان، كانت اليه ولاية جرجان عن الحسن بن القاسم الداعي سنة ثمان وثلاثين. وكانت بين

بني سامان وبين بني الاطروش والحسن بن القاسم الداعي وقوّاد الديلم حروب هلك فيها ليلى بن النعمان سنة تسع وثلثمائة، لانّ أمر الخلفاء كان قد انقطع عن خراسان، وولوها لبني سامان. فكانت بسبب ذلك بينهم وبين أهل طبرستان من الحروب ما أشرنا اليه.

ثم كانت بعد ذلك حرب مع بني سامان فولاها من قوّاد الديلم شرخاب بن بهبودان، وهو ابن عمّ ماكان بن كالي، وصاحب جيش أبي الحسن الاطروش وقاتله سيمجور صاحب جيش بني سامان، فهزمه وهلك شرخاب وولى ابن الاطروش ما كان ابن كالي على استراباذ. فاجتمع اليه الديلم وقدّموه على انفسهم، واستولى على جرجان كما يذكر ذلك كله في اخبار العَلَويّة. وكان من اصحاب ما كان هذا أسفار ابن شيرويّه من قوّاد الديلم عن ماكان الى قوّاد بني سامان. فاتصل ببكر بن محمد ابن اليَسَع بنيسابور، وبعثه في الجنود لافتتاح جرجان، وبها أبو الحسن بن كالي نائباً عن أخيه ماكان وهو بطبرستان. فقتل أبو الحسن وقام بامر جرجان علي بن خرشيد. ودعا اسفار ابن شيرويه الى حمايتها من ماكان، فزحف اليهم من طبرستان فهزموه وغلبوه عليها ونصبوا أبا الحسن وعلي بن خرشيد. فزحف ماكان الى اسفار وهزمه وغلبه على طبرستان، ورجع الى بكر بن محمد بن اليسع بجرجان.

ثم توفي بكر سنة خمس عشرة، فولى نصر بن أحمد بن سامان أسفار بن شيرويه مكانه على جرجان، وبعث أسفار عن مَرْداويج ابن زَيّار الجبلي وقدّمه على جيشه، وقصدوا طبرستان فملكوها. وكان الحسن بن القاسم الداعي قد استولى على الريّ وأعمالها من يد نصر بن سامان، ومعه قائده ماكان بن كالي. فلما غلب اسفار على طبرستان زحف اليه الداعي وقائده ماكان فانهزما وقتل الداعي ورجع ماكان الى الريّ واستولى أسفار بن شيرويه على طبرستان وجرجان. ودعا لنصر بن أحمد بن سامان، ونزل سارية واستعمل على آمد هارون بن بهرام. ثم سار اسفار الى الريّ فأخذها من يد ماكان بن كالي وسار ماكان الى طبرستان واستولى اسفار على سائر أعمال الريّ وقَزوين وزَنْجان وأبهروُقُم والكرخ، وعظمت جيوشه وحدثته نفسه بالملك، فانتقض على نصر بن سامان صاحب خراسان، واعتزم على حربه وحرب الخليفة.

وبعث المقتدر هارون بن غريب الحال في عسكر الى قزوين، فحاربه اسفار وهزمه وقتل كثيراً من أصحابه. ثم زحف اليه نصر بن سامان من بخارى فراسله في الصلح وضمان أموال الجباية، فأجابه وولاه ورجع الى بخارى، فعظم أمر اسفار وكثر عيثه وعسف جنده، وكان قائده مرداويج من اكبر قوّاده قد بعثه اسفار الى سلار صاحب سميرم، والطرم يدعوه الى طاعته. فاتفق

مع سلار على الوثوب باسفار، وقد باطن في ذلك جماعة من قوّاد اسفار ووزيره محمد بن مطرف الجرجاني. ونمى الخبر الى اسفار، وثار به الجند فهرب الى بيَهق. وجاء مرداويج من قزوين الى الريّ، وكتب الى ماكان بن كالي يستدعيه من طبرستان ليظاهره على اسفار، فقصد ماكان اسفار، فهرب اسفار الى الريّ ليتصل بأهله وماله، وقد كان أنزلهم بقلعة المرت، وركب المفازة اليها ونمى الخبر الى مرداويج، فسار لاعتراضه. وقدّم بعض قوّاده أمامه، فلحقه القائد وجاء به الى مرداويج، فقتله ورجع الى الري ثم الى قزوين، وتمكن في الملك وافتتح البلاد وأخذ همذان والدينور وقم وقاشان وأصبهان، وأساء السيرة في أهل اصبهان وصنع سريراً من ذهب لجلوسه. فلما قوي أمره نازع ماكان في طبرستان فغلبه عليها. ثم سار الى جرجان فملكها وعاد الى اصبهان ظافراً.

وسار ماكان على الديلم مستنجداً بأبي الفضل الثائر بها، وسار معه الى طبرستان فقاتلهم عاملها من قبل مرداويج بالقسم ابن بايجين وهزمهم، ورجع الثائر الى الديلم. وسار ماكان الى نيسابور، ثم سار الى الدامغان فصدّه عنها القسم فعاد الى خراسان. وعظم أمر مرداويج واستولى على بلد الريّ والجبل، واجتمع اليه الديلم، وكثرت جموعه وعظم خرجه. فلم يكفِ ما في يده من الاعمال فسما الى التغلب على النواحي، فبعث الى همذان الجيوش

مع ابن أخته، وكانت بها عساكر الخليفة مع محمد بن خلَف، فحاربهم وهزمهم وقتل ابن اخت مرداويج. فسار من الريّ الى همذان، وهرب عسكر الخليفة عنها وملكها مرداويج عَنْوَةً واستباحها. ثم أمن بقيتهم.

وأنفذ المقتدر هارون بن غريب الحال في العساكر، فلقيه مرداويج وهزمهم واستولى على بلاد الجبل وما وراء همذان، وبعث قائده الى الدينور ففتحها عنوة، وانتهت عساكره الى حُلوان، فقتل وسبى. وسار هارون الى قرقيسيا فأقام بها واستمدّ المقتدر وكان معه اليشكري من قوّاد اسفار، وكان قد استأمن بعد اسفار الى الخليفة، وسار في جملته. وجاء مع هارون في هذه الغزاة الى نهاوند لحمل المال اليه منها. فلما دخلها استمدّت[1] عينه الى ثروة أهلها فصادرهم على ثلاثة آلاف ألف دينار، واستخرجها في مدّة اسبوع، وجند بها جنداً ومضى الى اصبهان، وبها يومئذ ابن كيغلغ قبل أستيلاء مرداويج عليها، فقاتله أحمد وانهزم وملك اليشكري اصبهان، ودخل اليها أصحابه، وقام بظاهرها.

وسار أحمد بن كيغلغ في ثلاثين فارساً الى بعض قرى اصبهان وركب اليشكري ليتطوّف على السور، فنظر اليهم فسار نحوهم فقاتلوه، وضربه أحمد بن كيغلغ على رأسه بالسيف فقدّ المغفر وتجاوزه الى دماغه فسقط ميتاً. وقصد أحمد المدينة ففرّ أصحاب اليشكري

(١) كذا. والأنسب: امتدت.

ودخل أحمد الى أصبهان وذلك قبل استيلاء عسكر مرداويج عليها، فأستولى عليها وجدّدوا له فيها مساكن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي وبساتينه، وجاء مرداويج في أربعين أو خمسين ألفاً، فنزلها وبعث جمعاً الى الأهواز فاستولوا عليها، والى خوزستان كذلك، وجبى أموالها وقسم الكثير منها في أصحابه وادّخر الباقي، وبعث الى المقتدر يطلب ولاية هذه الاعمال واضافة همذان وماه الكوفة اليها على مائتي ألف دينار كل سنة، فأجابه وقاطعه وولاه، وذلك سنة تسع عشرة . ثم دعا مرداويج سنة عشرين أخاه وشكمير من بلاد كيلان، فجاء اليه بدوياً حافياً بما كان يعاني من أحوال البداوة والتَبَذُّل في المعاش، ينكر كل ما يراه من أحوال الترف ورقة العيش . ثم صار لى ترف الملك وأحوال الرياسة، فرقت حاشيته وعظم ترفه، وأصبح من عظماء الملوك وأعرفهم بالتدبير والسياسة .

ابتداء حال ابي عبد الله البريدي

كان بداية أمره عاملاً على الاهواز، وضبط ابن ماكرلان هذا الاسم بالموحدة والراء المهملة نسبة الى البريد . وضبطه ابن مسكوية بالياء المثناة التحتانية والزاي نسبة الى يزيد بن عبدالله بن المنصور الحِمْيَرِيّ، كان جدّه يخدمه ولما ولي علي بن عيسى الوزارة واستعمل العمال، وكان أبو عبدالله قد ضمن الخاصة بالاهواز وأخوه أبو يوسف على سوق فائق من الاقتصارية، وأخوه علي هذا .

فلما وزر أبو علي بن مقلة بذل له عشرين ألف دينار على ان يقلده أعمالاً فائقة، فقلده الاهواز جميعها غير السوس وجناسبور، وقلد أخاه أبا الحسن القرانية، وأخاهما أبا يوسف الخاصة والاسافل، وضمن المال أبا يوسف السمسار وجعل الحسين بن محمد الماردانى مشرفاً على أبي عبدالله، فلم يلتفت اليه، وكتب اليه الوزير ابن مقلة بالقبض على بعض العمال ومصادرته. فأخذ منه عشرة الاف دينار واستأثر بها على الوزير، فلما نكب ابن مقلة كتب المقتدر بخطه الى الحاجب أحمد بن نصر القسوري بالقبض على أولاد البريدي وأن لا يطلقهم الا بكتابه، فقبض عليهم، وجاء أبو عبدالله بكتاب المقتدر بخطه باطلاقهم. وظهر تزويره فأحضرهم الى بغداد وصودروا على أربعمائة ألف دينار فأعطوها.

الصوائف ايام المقتدر

سار مؤنس المظفر سنة ست وتسعين في العساكر من بغداد الى الفرات، ودخل من ناحية مَلْطِيَة ومعه أبو الأَغَرّ السَلَمِيّ، فظفر وغنم وأسر جماعة. وفي سنة سبع وتسعين بعث المقتدر أبا القاسم ابن سيا لغزو الصائفة سنة ثمان وتسعين. وفي سنة تسع وتسعين غزا بالصائفة رستم أمير الثغور، ودخل من ناحية طرسوس ومعه دميانة، وحاصر حصن مليح الارمني ففتحه وأحرقه. وفي سنة ثلثمائة مات اسكندروس بن لاور ملك الروم، وملك بعده ابنه قُسْطَنْطين ابن اثنتي عشرة سنة. وفي سنة اثنتين وثلثمائة سار علي بن عيسى

الوزير في ألف فارس لغزو الصائفة مدداً لبسر الخادم عامل طرسوس، ولم يتيسر لهم الدخول في المصيف، فدخلوا شاتية في كَلَب البرد وشدّته، وغنموا وسبوا .

وفي سنة اثنتين وثلثمائة غزا بسر الخادم والي طرسوس بلاد الروم، ففتح وغنم وسبى وأسر مائة وخمسين، وكان السَّبيّ نحواً من ألفي رأس . وفي سنة ثلاث وثلثمائة أغارت الروم على ثغور الجزيرة ونهبوا حصن منصور وسبوا أهله بتشاغل عسكر الجزيرة بطلب الحسين بن حمدان مع مؤنس، حتى قبض عليه كما مرّ . وفي هذه السنة خرج الروم الى ناحية طرسوس والفرات . فقاتلوا وقتلوا نحواً من ستمائة فارس . وجاء مليح الارمني الى مرعش فعاث في نواحيها . ولم يكن للمسلمين في هذه السنة صائفة .

وفي سنة أربع بعدها سار مؤنس المظفر بالصائفة ومرّ بالموصل، فقلد سبكا المفلحي باريدي وقردي من أعمال الفرات، وقلّد عثمان العبودي مدينة بلد وسنجار، ووصيفاً البكتمري باقي بلاد ربيعة، وسار الى ملطية، فدخل منها وكتب الى أبي القاسم علي بن أحمد بن بسطام أن يدخل من طرسوس في أهلها، ففتح مؤنس حصوناً كثيرة وغنم وسبى ورجع الى بغداد، فأكرمه المعتضد وخلع عليه.

وفي سنة خمس وثلثمائة وصل رسولان من ملك الروم الى المقتدر في المهادنة والفداء، فتلقيا بالاكرام وجلس لهما الوزير في الابهة، وصف الاجناد بالسلاح العظيم الشأن والزينة الكاملة، فأديا

اليه الرسالة وأدخلهما من الغد على المقتدر وقد احتفل في الابهة ما شاء. فأجابهما الى ما طلب ملكهم. وبعث مؤنساً الخادم للفداء وجعله أميراً على كل بلد يدخله الى أن ينصرف. وأطلق الارزاق الواسعة لمن سار معه من الجنود، وأنفذ معه مائة وعشرين ألف دينار للفدية. وفيها غزا الصائفة جنا الصفواني، فغنم وغزا وسير ثمالي الخادم في الاسطول فغنم. وفي السنة بعدها غزا ثمالي في البحر كذلك، وجنا الصفواني، فظفر وفتح وعاد وغزا بشر الافشين بلاد الروم، ففتح عدّة حصون وغنم وسبى.

وفي سنة سبع غزا ثمالي في البحر فلقي مراكب المهديّ صاحب افريقية فغلبهم وقتل جماعة منهم، وأسر خادماً للمهدي. وفي سنة عشرة وثلثمائة غزا محمد بن نصر الحاجب من الموصل على قاليقلا، فأصاب من الروم. وسار أهل طرسوس من ملطية فظفروا واستباحوا وعادوا. وفي سنة احدى عشرة غزا مؤنس المظفر بلاد الروم، فغنم وفتح حصوناً. وغزا ثمالي في البحر فغنم ألف رأس من السُبيّ وثمانية آلاف من الظهر ومائة ألف من الغنم وشيئاً كثيراً من الذهب والفضة.

وفي سنة اثنتي عشرة جاء رسول ملك الروم بالهدايا ومعه أبو عمر بن عبد الباقي يطلبان المدنة وتقرير الفداء، فاجيبا الى ذلك. ثم غدروا بالصائفة فدخل المسلمون بلاد الروم فأثخنوا ورجعوا. وفي سنة أربع عشرة خرجت الروم الى ملطية

ونواحيها من الدمستق، ومليح الارمني صاحب الدروب، وحاصروا ملطية وهربوا الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا. وغزا أهل طرسوس بالصائفة فغنموا ورجعوا.

وفي سنة خمس عشرة دخلت سرية من طرسوس الى بلاد الروم، فأوقع بهم الروم وقتلوا أربعمائة رجل صبراً، وجاء الدمستق في عساكر من الروم الى مدينة دبيل، وبها نصر السبكي فحاصرها وضيّق مخنقها واشتدّ في قتالها حتى نقب سورها ودخل الروم اليها، ودفعهم المسلمون فأخرجوهم وقتلوا منهم بعد أن غنموا ما لا يحصى وعاثوا في أنعامهم، فغنموا من الغنم ثلثمائة ألف رأس فأكلوها. وكان رجل من رؤساء الاكراد يعرف بالضحاك في حصن له يعرف بالجعبري، فتنصر وخدم ملك الروم فلقيه المسلمون في سنة الغزاة فأسروه وقتلوا من معه. وفي سنة ست عشرة وثلثمائة خرج الدمستق في عساكر الروم، فحاصر خلاط وملكها صلحاً وجعل الصليب في جامعها ورحل الى تدنيس ففعل بها كذلك. وهرب أهل أردن الى بغداد واستغاثوا فلم يغاثوا.

وفيها ظهر أهل ملطية على سبعمائة رجل من الروم والارمن دخلوا بلدهم خفية وقدّمهم مليح الارمني ليكونوا لهم عوناً اذا حاصروها، فقاتلهم أهل ملطية عن آخرهم. وفي سنة سبع عشرة بعث أهل الثغور الجزرية مثل ملطية وفارقين وآمد وارزا يستمدّون المقتدر في العساكر، والا فيعطوا الاتاوة للروم فلم يمدّهم، فصالحوا

الروم وملكوا البلاد . وفيها دخل مفلح الساجي بلاد الروم . وفي سنة عشرين غزا ثمالي بلاد الروم من طرسوس، ولقي الروم فهزمهم وقتل منهم ثلثمائة وأسر ثلاثة آلاف، وغنم من الفِضَّةِ والذهب شيئاً كثيراً وعاد بالصائفة في سنته في حشد كثير، وبلغ عمورية فهرب عنها من كان تجمع اليها من الروم، ودخلها المسلمون فوجدوا من الامتعة والاطعمة كثيراً، فغنموا وأحرقوا وتوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويكسحون ويُخَرِّبون حتى بلغوا انكمورية التي مصرها أهده، وعادوا سالمين . وبلغت قيمة السُبِيّ مائة ألف وستة وثلاثين الف دينار .

وفي هذه السنة راسل ابن الريداني وغيره من الارمن في نواحي أرمينية وحثّوا الروم، على قصد بلاد الاسلام، فساروا وخربوا نواحي خلاط، وقتلوا وأسروا فسار اليهم مفلح غلام يوسف ابن أبي الساج من أذربيجان في جوع من الجند والمتطوعة، فأثخن في بلاد الروم حتى يقال انّ القتلى بلغوا مائة الف وخرب بلاد ابن الريداني ومن وافقه، وقتل ونهب . ثم جاءت الروم الى سميساط فحصروها وأمدّهم سعيد بن حمدان، وكان المقتدر ولاه الموصل وديار ربيعة على أن يسترجع ملطية من الروم . فلما جاء رسول أهل سميساط اليهم فأجفل الروم عنها فسار الى ملطية وبها عساكر الروم ومليح الارمني صاحب الثغور الرومية، وبنى ابن قيس صاحب المقتدر الذي تنصر . فلما أحسوا باقبال سعيد هربوا وتركوها

خشية أن يثب بهم أهلها، وملكها سعيد فاستخلف عليها وعاد الى الموصل .

الولايات على النواحي ايام المقتدر

كان باصبهان عبدالله بن ابراهيم المسمعي عاملًا عليها، خالف لاول ولاية المقتدر وجمع من الاكراد عشرة آلاف، وأمر المقتدر بدراً الحمامي عامل اصبهان بالمسير اليه . فسار اليه في خمسة آلاف من الجند وأرسل من يخوّفه عاقبة المعصية، فراجع الطاعة وسار الى بغداد واستخلف على اصبهان . وكان على اليمن المظفر بن هاج . ففتح ما كان غلب عليه الحرثي باليمن وأخذ الحاتمي من أصحابه . وكان على الموصل أبو الهيجاء بن حمدان، وسار أخوه الحسين بن حمدان وأوقع باعراب كلب وطيء، وأسر سنة أربع وتسعين . ثم سار الى الاكراد المتغلبين على نواحي الموصل سنة خمس وتسعين فاستباحهم وهربوا الى رؤوس الجبال . وخرج بالحاج في سنة أربع وتسعين رصيف بن سوارتكين فحصره أعراب طيء بالقتال وأوقعهم فهزمهم، ومضى الى وجهه . ثم أوقع بهم هنالك الحسن بن موسى فأثخن فيهم .

وكان على فارس سنة ست وتسعين اليشكري غلام عمرو بن الليث، فلما تغلب وكان على الثغور الشامية أحمد بن كيغلغ في سنة سبع وتسعين ملك الليث فارس من يد اليشكري، ثم جاءه مؤنس فغلبه وأسره ورجع اليشكري الى عمله كما مرّ في خبره .

وفي سنة ست وتسعين وصل ناسر[١] موسى بن سامان وقلد ديار ربيعة وقد مرّ ذكره . وفيها رجع الحسين بن حمدان من الخلاف وعقد له على قم وقاشان، فسار اليها ونزل عنها العباس بن عمر الغنوي .

وفي سنة سبع وتسعين توفي عيسى النوشري عامل مصر، وولي المقتدر مكانه تكين الخادم . وفي سنة ثمان وتسعين توفي منيح خادم الافشين وهو عامل فارس، وكان معه محمد بن جعفر الفريابي فماتا معاً، وولى على فارس عبدالله بن ابراهيم المسمعي وأضيفت اليه كرمان . وفيها وليت أمّ موسى الهاشمية قهرمة دار المقتدر، وكانت تؤدّي الرسائل عن المقتدر وأمه الى الوزراء، وعن الوزراء اليهما .

وفي سنة تسع وتسعين كان على البصرة محمد بن إسحاق بن كنداج، وجاء اليه القرامطة فقاتلهم فهربوا . وفي سنة ثلثمائة عزل ابراهيم بن عبدالله المسمعي عن فارس وكرمان ونقل اليها بدر الحامي عامل اصبهان، وولى على اصبهان علي بن وهشودان . وفيها ولى بشير الافشين طرسوس، وفيها قلد ابو العباس بن المقتدر مصر والمغرب وهو ابن أربع سنين، واستخلف له على مصر مؤنس المظفر وقلد معين الطولوني المعونة بالموصل . ثم عزل واستعمل مكانه نحرير الصغير . وفيها خالف ابو الهيجاء عبدالله بن حمدان

(١) كذا ولعلها اسم بلد .

بالموصل، فسار اليه مؤنس وجاء به على الامان . ثم قلد الموصل سنة اثنتين وثلثمائة فاستخلف عليها وهو ببغداد . ثم خالف أخوه الحسين سنة ثلثمائة وسار اليه مؤنس وجاء به أسيراً، فحبس . وقبض المقتدر على أبي الهيجاء واخوته جميعاً فحبسوا . وفيها ولى الحسين بن محمد بن عينونة عامل الخراج والضياع بديار ربيعة بعد وفاة أبيه محمد بن أبي بكر . وفي سنة أربع عزل علي بن وهشودان صاحب الحرب باصبهان بمنافرة وقعت بينه وبين أحمد بن شاه صاحب الخراج، وولى مكانه أحمد بن مسرور البلخي . وأقام ابن وهشودان بنواحي الجبل . ثم تغلب يوسف بن أبي الساج عليها كما مرّ، وسار اليه مؤنس سنة سبع فهزمه وأسره، وولى على اصبهان وقم وقاشان وساوة أحمد بن علي بن صعلوك، وعلى الريّ ودنباوند وقزوين وأبهر وزنجان عليّ بن وهشودان، استدعاه من الجبل فولاه، ووثب به عمه أحمد بن مسافر صاحب الكرم فقتله بقزوين . فاستعمل مكانه على الحرب وصيفاً البكتمري، وعلى الخراج محمد بن سليمان .

ثم سار أحمد بن صعلوك اليها فقتل محمد بن سليمان وطرد وصيفاً، ثم قاطع على الاعمال بمال معلوم كما مر . وكان على اعمال سجستان كُثَيِّر بن أحمد مفور متغلباً عليها، فسار اليه ابو الحامي عامل فارس، فخافه كثيراً وقاطع على البلاد وعقد له عليها . وكان على كرمان سنة أربع وثلثمائة أبو زيد خالد بن محمد المارداني،

فانتقض وسار الى شيراز، فقاتله بدر الحامي وقتله . وفي هذه السنة قُتِل مؤنس المظفر عند مسيره الى الصائفة وانتهائه الى الموصل، فولوا على بلد باريدى وقردى سبكاً المفلحي ، وعلى مدينة بَلَد وسنجار وباكرى عثمان العبودي صاحب الحرب بديار مصر، فولى مكانه وصيف البكتمري فعجز عن القيام بها، فعزل وولى مكانه جنا الصفواني . وكان على البصرة في هذه السنة الحسن بن الخليل، تولاها منذ سنين ووقعت فتن بينه وبين العامة في مضر وربيعة ، واتصلت وقتل منهم خلق . ثم اضطروه الى الالتحاق بواسط ، فاستعمل عليها أبا دلف هاشم بن محمد الخزاعي، ثم عزل لسنة، وولى سبكا المفلحي نيابة عن شفيع المقتدري .

وفي سنة ست وثلثمائة عزل عن الشرطة نزار وجعل فيها نجيح الطولوني، فأقام في الارباع فقهاء يعمل أهل الشرطة بفتواهم، فضعفت الهيبة بذلك، وكثر اللصوص والعيارون، وكبست دور التجار ، واختطفت ثياب الناس . وفي سنة سبع وثلثمائة ولى ابراهيم بن حمدان ديار ربيعة، وولى بُنى بن قيس بلاد شهرزور، واتسعت عليه فاستمدّ المقتدر وحاصرها . ثم قلد الحرب بالموصل وأعمالها ، وكان على الموصل قبله محمد بن اسحاق بن كنداج، وكان قد سار لاصلاح البلاد، فوقعت فتنة بالموصل فرجع اليها فمنعوه الدخول فحاصرهم . وعزله المقتدر سنة ثلاث وثلثمائة وولى مكانه عبدالله بن محمد الغساني .

وفي سنة ثمان وثلثمائة ولى المقتدر أبا الهيجاء عبدالله بن حمدان على طريق خراسان والدينور، وفيها ولى على دقوقا وعكبرا وطريق الموصل بدراً الشرابي. وفي سنة تسع ولى المقتدر على حرب الموصل ومعونتها محمد بن نصر الحاجب، فسار اليها واوقع بالمخالفين من الاكراد المادرانية. وفيها ولى داود بن حمدان على ديار ربيعة. وفي سنة عشر عقد ليوسف بن أبي الساج على الري وقزوين وأبهر وزنجان وأذربيجان على تقدير العلوية كما مرّ. وفيها قبض المقتدر على أمّ موسى، القَهْرَمانة لانها كانت كثيرة المال، وزوّجت بنت أختها من بعض وُلد المتوكل، كان مرشّحاً للخلافة، وكان محسناً. فلما صاهرته أوسمت في الشوار[1] واليسار والعرس، وسعى بها الى المقتدر انها استخلصت القوّاد، فقبض عليها وصادرها على أموال عظيمة، وجواهر نفيسة. وفيها قتل خليفة نصر بن محمد الحاجب بالموصل، قتله العامة، فجهز العساكر من بغداد، وسار اليها.

وفي سنة احدى عشرة ملك يوسف بن أبي الساج الريّ من يد أحمد بن علي صعلوك، وقتله المقتدر، وقد مرّ خبره. وفيها ولى المقتدر بُنى بن قيس على حرب أصبهان، وولى محمد بن بدر المعتضدي على فارس مكان ابنه بدر عندما هلك. وفي سنة اثنتي عشرة ولى على اصبهان يحيى الطولوني، وعلى المعاون والحرب

(١) جهاز العروس.

بنهاوند سعيد بن حمدان . وفيها توفي محمد بن نصر الحاجب صاحب الموصل، وتوفي شفيع اللؤلؤي صاحب البريد، فولى مكانه شفيع المقتدري .

وفي سنة ثلاث عشرة فتح ابراهيم المسمعي عامل فارس ناحية القفص من حدود كرمان، وأسر منهم خمسة آلاف . وكان في هذه السنة ولى على الموصل أبا الهَيْجاء عبدالله بن حمدان، وابنه ناصر الدولة خليفة فيها، فأفسد الاكراد والعرب بأرض الموصل وطريق خراسان وكانت اليه، فكتب اليه ابنه ناصر الدولة سنة أربع عشرة بالانحدار الى تكريت للقائه، فجاءه في الحشد وأوقع بالعرب والاكراد الجلالية وحسم علتهم . وفيها قلد المقتدر يوسف بن أبي الساج أعمال الشرق وعزله عن أذربيجان وولاه واسط، وأمدّه بالسير اليها لحرب القرامطة، وأقطعه همذان وساوة وقم وقاشان وماه البصرة وماه الكوفة وماسبذان للنفقة في الحرب، وجعل على الريّ من أعماله نصر بن سامان، فوليها وصار من عماله كما مر .

وفيها ولى أعمال الجزيرة والضياع بالموصل أبا الهيجاء عبدالله ابن حمدان، وأضيف اليه باريدى وقردى وما اليهما . وفيها قتل ابن أبي الساج كما مرّ . وفي سنة خمس عشرة مات ابراهيم المسمعي بالنوبَنْدَجان، وولى المقتدر على مكانه ياقوت، وعلى كرمان أبا طاهر محمد بن عبد الصمد . وفي سنة ست عشرة عزل أحمد بن نصر القسوري عن حجبة الخليفة ووليها ياقوت وهو على الحرب بفارس

واستخلف عليها ابنه أبا الفتح المظفر. وفيها ولى على الموصل وأعمالها يونس المؤنسي، وكان على الحرب بالموصل ابن عبدالله بن حمدان، وهو ناصر الدولة فغضب وعاد الى الخلافة. وقتل في تلك الفتنة نازوك، وأقرّ على اعمال قردى وباريدى التي كانت بيد أبي الهيجاء ابنه ناصر الدولة الحسن، وعلى أعمال الموصل نحريراً الصغير.

ثم ولى عليها سعيداً ونصراً ابني حمدان، وهما أخوا أبي الهيجاء. وولى ناصر الدولة على ديار ربيعة ونصيبين وسنجار والخابور ورأس عين وميافارقين من ديار بكر وأرزن على مقاطعة معلومة. وفي سنة ثمان عشرة صرف ابنا رائق عن الشرطة، ووليها أبو بكر محمد ابن ياقوت عن الحجبة، وقلد أعمال فارس وكرمان. وقلد ابنه المظفر اصبهان، وابنه ابا بكر محمداً سجستان، وجعل مكان ياقوت وولده في الحجبة والشرطة ابراهيم ومحمد ابنا رائق، فأقام ياقوت بشيراز، وكان علي بن خلف ابن طيان على الخوارج، فتعاقدا على قطع الحمل عن المقتدر الى أن ملك علي ابن بويه بلاد فارس سنة ثلاث وعشرين وفي هذه السنة غلب مرداويج على اصبهان وهمذان والريّ وحلوان، وقاطع عليها بمال معلوم وصارت في ولايته.

استيحاش مؤنس من المقتدر ومسيره الى الموصل

كان الحسين بن القاسم بن عبدالله بن وهب وزيراً للمقتدر، وكان مؤنس منحرفاً عنه قبل الوزارة حتى أصلح بليق حاله عند

مؤنس، فوزر واختص به بنو البريدي وابن الفرات . ثم بلغ مؤنساً أن الحسين قد واطأ جماعة من القواد في التدبير عليه، فتنكر له مؤنس وضاقت الدنيا على الحسين وبلغه انّ مؤنساً يكبسه، فانتقل الى دار الخلافة وكتب الحسين الى هارون بن غريب الخال يستقدمه وكان مقيماً بدير العاقول بعد انهزامه من مرداويج كتب إلى محمد بن ياقوت يستقدمه من الأهواز فاستوحش مؤنس. ثم جمع الحسين الرجال والغلمان الحجرية في دار الخلافة، وأنفق فيهم فعظمت نفرة مؤنس، وقدم هارون من الاهواز فخرج مؤنس مغاضباً للمقتدر وقصد الموصل، وكتب الحسين الى القواد الذين معه بالرجوع فرجع منهم جماعة، وسار مؤنس في أصحابه ومواليه ومعه من الساجية ثمانمائة من رجالهم، وتقدّم الوزير بقبض أملاكه وأملاك من معه وأقطاعهم، فحصل منه مال كثير، واغتبط المقتدر به لذلك ولقبه عميد الدولة ورسم اسمه في السكة وأطلق يده في الولاية والعزل، فولى على البصرة وأعمالها أبا يوسف يعقوب بن محمد البريدي على مبلغ ضمنه، وكتب الى سعيد وداود ابني حمدان وابن أخيهما ناصر الدولة الحسين بن عبدالله بمحاربة مؤنس، فاجتمعوا على حربه إلاّ داود فانه توقف لاحسان مؤنس اليه وتربيته اياه .

ثم غلبوا عليه فوافقهم على حربه، وجمع مؤنس في طريقه رؤساء العرب، وأوهمهم أن الخليفة ولاه الموصل وديار ربيعة، فنفر معه

بعضهم واجتمع له من العسكر ثمانمائة وزحف اليه بنو حمدان في ثلاثين ألفاً فهزمهم، وملك مؤنس الموصل في صفر من سنة عشرين، وجاءته العساكر من بغداد والشام ومصر رغبة في احسانه. وعاد ناصر الدولة بن حمدان الى خدمته وأقام معه بالموصل ولحق سعد ببغداد.

مقتل المقتدر وبيعة القاهر

ولما ملك مؤنس الموصل أقام بها تسعة واجتمعت العساكر، فانحدر الى بغداد لقتال المقتدر، وبعث المقتدر الجنود مع أبي بكر محمد بن ياقوت وسعد بن حمدان، فرجع عنهم العسكر الى بغداد ورجعوا. وجاء مؤنس فنزل بباب الشماسية والقوّاد قبالته، وندب المقتدر ابن خاله هارون بن غريب الى الخوارج لقتاله، فاعتذر ثم خرج، وطالبوا المقتدر بالمال لنفقات الجند، فاعتذر وأراد ان ينحدر الى واسط ويستدعي العساكر من البصرة والاهواز وفارس وكرمان، فردّه ابن ياقوت عن ذلك وأخرجه للحرب وبين يديه الفقهاء والقواد والمصاحف مشهورة وعليه البردة والناس يحدقون به، فانهزم أصحابه ولقيه علي بن بليق من أصحاب مؤنس، فعظمه وأشار عليه بالرجوع ولحقه قوم من المغاربة والبربر فقتلوه وحملوا رأسه وتركوه بالعراء، فدفن هنالك. ويقال: ان علي بن بليق أشار اليهم بقتله. ولما رأى مؤنس ذلك ندم وسقط في يده، وقال والله لنقتلنّ جميعاً، وتقدم الى الشماسية وبعث من يحتاط

على دار الخلافة، وكان ذلك لخمس وعشرين سنة من خلافة المقتدر.

فاتسع الخرق وطمع أهل القاصية في الاستبداد، وكان مهملًا لامور خلافته مُحَكِّماً للنساء والخدم في دولته، مبذِّراً لامواله. ولما قتل لحق ابنه عبد الواحد بالمدائن ومعه هارون بن غريب الخال ومحمد بن ياقوت وابراهيم بن رائق. ثم اعتزم مؤنس على البيعة لولده أبي العباس وكان صغيراً، فعزله وزيره أبو يعقوب اسماعيل النوبختي في ولاية صغير في حجر أمه، وأشار بأخيه ابي منصور محمد بن المعتضد، فأجاب مؤنس الى ذلك على كره، واحضروه وبويع آخر شوال من سنة عشرين، ولقبوه القاهر بالله. واستحلفه مؤنس لنفسه ولحاجبه بليق وابنه علي، واستقدم ابا علي بن مقلة من فارس فاستوزره، واستحجب علي بن بليق. ثم قبض على ام المقتدر وضربها على الاموال، فحلفت فأمرها بحل اوقافها فامتنعت، فأحضر هو القضاة وأشهد بحلّ أوقافها ووكل في بيعها، فاشتراها الجند من ارزاقهم وصادر جميع حاشية المقتدر، واشتدّ في البحث عن ولده وكبس عليهم المنازل الى أن ظفر بأبي العباس الراضي وجماعة من اخوته وصادرهم وسلمهم علي ابن بليق الى كاتبه الحسين بن هارون، فأحسن صحبتهم وقبض الوزير ابن مقلة على البريدي واخوته واصحابه وصادرهم على جملة من المال.

خبر ابن المقتدر واصحابه

قد ذكرنا انّ عبد الواحد بن المقتدر لحق بعد مقتل ابيه

بالمدائن، ومعه هارون بن غريب الخال ومفلح ومحمد بن ياقوت وابنا رائق، ثم انحدروا منها الى واسط وأقاموا بها، وخشيهم القاهر على أمره واستأمن هارون بن غريب على أن يبذل ثلثمائة ألف دينار وتطلق له أملاكه، فأمنه القاهر ومؤنس وكتب له بذلك وعقد له على أعمال ماه الكوفة وماسبذان ومهروبان، وسار الى بغداد، وسار عبد الواحد بن المقتدر فيمن معه من واسط، ثم الى السوس وسوق الاهواز، وطردوا العمال وجبوا الاموال.

وبعث مؤنس اليهم بايقاً في العساكر، وبذل أبو عبدالله البريدي في ولاية الاهواز خمسين ألف دينار فأنفقت في العساكر. وسار معهم وانتهوا الى واسط ثم الى السوس، فجاز عبدالواحد ومن معه من الاهواز الى تستر، ثم فارقه جميع القوّاد واستأمنوا الى بليق إلاّ ابن ياقوت ومفلحاً ومسروراً الخادم، وكان محمد بن ياقوت مستبداً على جميعهم في الاموال والتصرف، فنفروا لذلك واستأمنوا لانفسهم ولابن المقتدر الى بليق، فأمنهم بعد ان استأمنوا محمد بن ياقوت وأذن لهم. ثم استأمن هو على بليق الى أمان القاهر ومؤنس، وساروا الى بغداد جميعهم فوفى لهم القاهر وأطلق لعبد الواحد أملاكه وترك لامه المصادرة التي صادرها، واستولى أبو عبدالله البريدي على أعمال فارس، وأعاد اخوته الى أعمالهم.

مقتل مؤنس وبليق وابنه

لما رجع محمد بن ياقوت من الاهواز واستخلصه القاهر واختصه

لحلواته وشوراه، وكانت بينه وبين الوزير ابن علي بن مقلة عداوة، فاستوحش لذلك ودس الى مؤنس ان محمد بن ياقوت يسعي به عند القاهر، وان عيسى الطبيب سفيره في ذلك، فبعث مؤنس علي بن بليق لاحضار عيسى، وتقدم علي بن بليق بالاحتياط على القاهر، فوكل به أحمد بن زيرك وضيق على القاهر وكشف وجوه النساء المختلفات الى القصر خشية ايصالهم الرقاع الى القاهر حتى كشفت أواني الطعام، ونقل بليق المحابيس من دار الخلافة الى داره وفيهم أم المقتدر، فأكرمها علي بن بليق وانزلها عند امه فماتت في جمادى من سنة احدى وعشرين. وعلم القاهر ان ذلك من مؤنس وابن مقلة، فشرع في التدبير عليهم. وكان طريف السبكري ونشرى من خدم مؤنس قد استوحشا مؤنس لتقدم بليق وابنه عليهما. وكان اعتماد مؤنس على الساجية وقد جاؤا معه من الموصل ولم يوف لهم فاستوحشوا لذلك، فداخلهم القاهر جميعاً وأغراهم بمؤنس وبليق وبعث الى ابي جعفر محمد بن القاسم بن عبدالله وكان مختصاً بابن مقلة وصاحب رأيه، فوعده بالوزارة، فكان يطالعه بالاخبار. وشعر ابن مقلة بذلك فأبلغوا الى مؤنس وبليق، واجمعوا على خلع القاهر، واتفق بليق وابنه علي وابن مقلة والحسن بن هارون على البيعة لابي احمد بن المكتفي فبايعوه، وحلفوا له واطلعوا مؤنساً على ذلك، فأشار بالمهل وتأنيس القاهر حتى يعرفوا من واطأه من

القوّاد والساجية [1] والحجرية، فأبوا وهونوا عليه الامر في استعجال خلعه فأذن لهم، فأشاعوا ان ابا طاهر القرمطي ورد الكوفة، وندبوا علي بن بليق للمسير اليه ليدخل للوداع ويقبض على القاهر، وابن مقلة كان نائماً فلما استيقظ اعاد الكتاب الى القاهر فاستراب. ثم جاءه طريف السبكري غلام مؤنس في زي امرأة مستنصحاً، فأحضره وأطلعه على تدبيرهم وبيْعتهم لابي أحمد بن المكتفي فأخذ القاهرُ حِذْرَه، وأكمن الساجية في دهاليز القصر وممرّاته، وجاء عليّ بن بليق في خف من اصحابه، واستأذن فلم يؤذن له، وكان ذا خمار، فغضب وأفحش في القول فأخرج الساجية في السلاح وشتموه وردّوه، وفرّ عنه اصحابه، والقى بنفسه في الطيار وعبر الى الجانب الغربي.

واختفى الوزير ابن مقلة والحسن بن هارون، وركب طريف الى دار القاهر، فأنكر بليق ما جرى لابنه وشتم الساجية وقال: لا بدّ ان أستعدي الخليفة عليهم، وجاء الى القاهر ومعه قواد مؤنس، فلم يأذن له وقبض عليه وحبسه، وعلى أحمد بن زيرك صاحب الشرطة وجاء العسكر منكرين لذلك فاسترضاهم ووعدهم بالزيادة وباطلاق هؤلاء المحبوسين فافترقوا، وبعث الى مؤنس بالحضور عنده ليطالعه برأيه فأبى فعزله، وولى طريف السبكري مكانه وأعطاه

---

(١) الساجية أو الساجة فرقة من عسكر الخلافة مسماة بهذا الاسم، على ما هو اصطلاح الملوك في تلقيب كل جماعة من العسكر تمييزاً لهم عمن عداهم اهـ . من خط الشيخ العطار.

خاتمه وقال : قد فوضت الى ابني عبد الصمد ما كان المقتدر فوّضه إلى ابنه محمد، وقلدتك خلافته ورياسة الجيش وامارة الامراء وبيوت الاموال كما كان مؤنس وامضِ اليه وأحمله الى دار الخلافة مرفّهاً عليه لئلا يجتمع اليه أهل الشر ويفسد ما بيننا وبينه. فسار طريف الى مؤنس وأخبره بأمان القاهر له ولاصحابه، وحمله على الحضور عنده وهون عليه أمره، وأن القاهر لا يقدر على مكروهة .

فركب وحضر فقبض عليه القاهر وحبسه قبل أن يراه، وندم طريف على ما فعل، واستوحش . واستوزر القاهر أبا جعفر محمد ابن القاسم بن عبيد الله، ووكل بدور مؤنس وبليق وابنه علي وابن مقلة وابن زيرك وابن هارون ونقل ما فيها، وأحرقت دار ابن مقلة، وجاء محمد بن ياقوت وقام بالحجبة، فتنكر له طريف السبكري والساجية فاختفى ولحق بابنه بفارس وكتب اليه القاهر بالعتب على ذلك وولاه الأهواز، وكان الذي دعا طريفاً السبكري الى الانحراف عن مؤنس وبليق أنّ مؤنساً رفع رتبة بليق وابنه عليه بعد ان كانا يخدمانه، فأهملا جانبه . ثم اعتزم بليق على أن يوليه مصر وفاوض في ذلك الوزير ابن مقلة، فوافق عليه ثم أراد عليّ ابن بليق عمل مصر لنفسه ومنع من ارسال طريف فتربص بهم . وأما الساجية فكانوا مع مؤنس بالموصل وكان يعدهم ويمنيهم . ولما ولي القاهر واستبدّ بأمره لم يف لهم . وكان من أعيانهم الخادم

صندل، وكان له بدار القاهر خادم اسمه مؤتمن باعه واتصل بالقاهر قبل الخلافة فلما شرع في التدبير على مؤنس وبليق بعث مؤنسا هذا الى صندل يمت اليه تقدمه ويدخله في أمر القاهر وازالة الحجر عنه . فقصد الى صندل وزوجته وتلطف ووصف القاهر بما شاء من محاسن الاخلاق، وحمل زوجته على الدخول الى دار القاهر حتى شافهها بما أراد ابلاغه الى صندل، وداخل صندل في ذلك سيما من قوّاد الساجية، واتفقوا على مداخلة طريف السبكري في ذلك لعلمهم باستيحاشه من مؤنس، فأجابهم على شريطة الابقاء على مؤنس وبليق وابنه وان لا يزال مؤنس من مرتبته وتحالفوا على ذلك من الجانبين .

وطلب طريف عهد القاهر بخطه فكتب وزاد فيه أنه يصلي بالناس ويخطب لهم ويحج بهم ويغزو معهم ويتّئد لكشف المظالم وغير ذلك من حسن السيرة وكان جماعة من الحجرية قد ابعدهم ابن بليق وأدال منهم بأصحابه، فداخلهم طريف في امر القاهر فأجابوه . ونمي الخبر بذلك الى ابن مقلة والى بليق، وأرادوا القبض على قوّاد الساجية والحجرية . ثم خشوا الفتنة ودبروا على القاهر فلم يصلوا اليه لاحتجابه عنهم بالمرض . فوضعوا أخبار القرامطة كما قدّمناه .

ولما قبض القاهر على مؤنس ولى الحجابة سلامة الطولوني .

وعلى الشرطة أحمد بن خاقان، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم ابن عبدالله مكان ابن مقلة، وأمر بالنداء على المتسترين والوعيد لمن أخفى وطلب ابا أحمد بن المكتفي فظفر به وبنى عليه حائطاً فمات. ثم ظفر بعليّ فقتله. ثم شغب الجند في شعبان ومعهم أصحاب مؤنس وثاروا ونادوا بشماره، وطلبوا اطلاقه وأحرقوا روشن دار الوزير أبي جعفر. فعمد القاهر الى بليق في محبسه وأمر به فذبح وحمل الرأسين الى مؤنس. فلما رآهما مؤنس استرجع ولعن قاتلهما فأمر به فذبح وطيف بالرؤس. ثم أودعت بالخزانة. وقيل ان قتل عليّ بن بليق تأخر عن قتل ابيه ومؤنس لانه كان مختفياً، فلما ظفر به بعدهما قتله. ثم بعث القاهر الى أبي يعقوب اسحاق بن اسماعيل اليوصحي فأخذ من مجلس الوزير محمد بن القاسم وحبسه، وارتاب الناس من شدّة القاهر، وندم الساجية والحجرية على مداخلته في ذلك الامر. ثم قبض القاهر على وزيره أبي جعفر وأولاده وأخيه عبيد الله وخدمه لثلاثة أشهر ونصف من ولايته، ومات لثمان عشرة ليلة من حبسه، واستوزروا مكانه أبا العباس أحمد بن عبيدالله بن سليمان الحصيبي. ثم استبد القاهر على طريف السيكري واستخف به فخافه وتنكّر ثم احضره بعد أن قبض على الوزير أبي جعفر فقبض عليه وأودعه السجن الى أن خلع القاهر.

دولة بني بويه

ابتداء دولة بني بويه

كان أبوهم أبو شجاع بويه من رجالات الديلم وكان له أولاد علي والحسن وأحمد، فعلي أبو الحسن عماد الدولة، والحسن أبو علي ركن الدولة، وأحمد أبو الحسن معز الدولة. ونسبهم ابن ماكولا في الساسانية الى بَهْرا بجور بن يَزْدَجُرْد، وابن مَسْكَوَيْه الى يزدجرد ابن شَهْرَيار، وهو نسب مدخول، لانّ الرياسة على قوم لا تكون في غير أهل بلدهم كما ذكرنا في مقدّمة الكتاب.

ولما أسلم الديلم على يد الاطروش وملك بهم طَبَرَسْتان وجَرْجان، وكان من قواده ماكان بن كالي وليلى بن النعمان واسفار بن شيرويه ومرداويح بن وزيار، وكانوا ملوكاً عظاماً وازدحموا في طبرستان، فساروا لملك الارض عند اختلاط الدولة العباسية وضعفها، وقصدوا الاستيلاء على الاعمال والاطراف. وكان بنو بويه من جملة قوّاد ماكان بن كالي. فلما وقع بينه وبين مرداويح من الفتنة والخلاف ما تقدم، وغلبه مرداويح على طبرستان وجرجان عادوا الى مرداويح لتخف عنه مؤنتهم على أن يرجعوا اليه اذا صلح أمره، فساروا الى مرداويح فقبلهم وأكرمهم. واستأمن اليه جماعة من قواد ماكان فقتلهم وأولادهم وولى علي بن بويه على الكرج وكان أكبر اخوته. وسار جميعهم الى الري، وعليها وشمكير

ابن وزيار اخو مرداويج، ومعه وزيره الحسين بن محمد الملقب بالعميد، فاتصل به علي بن بويه، وأهدى اليه بغلة كانت عنده ومتاعاً، وندم مرداويج على ولاية هؤلاء المستأمنة من قوّاد ماكان، فكتب الى أخيه وشمكير بالقبض على الباقين، وأراد أن يبعث في اثر علي بن بويه، فخشي الفتنة وتركه .

ولما وصل علي بن بويه الى الكرج استقام أمره، وفتح قلاعاً للخرمية ظفر منها بذخائر كثيرة واستمال الرجال، وعظم أمره وأحبه الناس، ومرداويج يومئذٍ بطبرستان . ثم عاد الى الريّ وأطلق مالاً لجماعة من القوّاد على الكرج فوصلوا الى علي بن بويه فأحسن اليهم واستمالهم، وبعث اليهم مرداويج فدافعه فندم على اطلاقهم، وبعث فيهم مرداويج أمراء الكرج فاستأمن اليه شيرازاد من أعيان قوّاد الديلم . فقويت نفسه وسار الى اصبهان وبها المظفر بن ياقوت على الحرب في عشرة آلاف مقاتل وأبو علي بن رستم على الخوارج، فارسل علي بن بويه يستعطفهما في الانحياز الى طاعة الخليفة وخدمته والمسير الى الحضرة فلم يجيباه . وكان أبو علي أشدّ كراهة له فمات تلك الايام .

وسار ابن ياقوت ثلاثة فراسخ عن اصبهان، وكان في اصحابه جَيْلٌ ودَيْلَمٌ، واستأمنوا الى ابن بويه، ثم اقتتلوا فانهزم ابن ياقوت واستولى علي بن بويه على اصبهان، وهو عماد الدولة، وكان عسكره نحواً من تسعمائة، وعسكر ابن ياقوت نحواً من عشرة آلاف .

وبلغ ذلك القاهر فاستعظمه وبلغ مرداويح فأقلقه وخاف على ما بيده . وبعث الى عماد الدولة يخادعه يطلب الطاعة منه ليطمئن للرسالة، ويخالفه أخوه وشمكير في العساكر وشعر ابن بويه بذلك فرحل عن أصبهان وقصد أرّجان، وبها أبو بكر بن ياقوت . فانهزم أبو بكر من غير قتال ولحق برامهرمز . واستولى ابن بويه على أرّجان وخالفه وشمكير أخو مرداويح الى اصبهان فملكها . وأرسل القاهر الى مرداويح بأن يسلم أصبهان لمحمد ابن ياقوت ففعل . وكتب أبو طالب يستدعيه ويهون عليه أمر ابن ياقوت ويُغْريه به، فخشي ابن بويه من كثرة عساكر ياقوت وأمواله وأن يحصل بينه وبين ابنه تأهبات فتوقف، فاعدى عليه ابو طالب وأراه ان مرداويح طلب الصلح من ابن ياقوت وخوفه اجتماعهما عليه . فسار ابن بويه الى ارجان في ربيع سنة احدى وعشرين ولقيتهم هنالك مقدمة ابن ياقوت فانهزمت، فزحف ابن ياقوت اليهم وبعث عماد الدولة أخاه ركن الدولة الحسن الى كازرون وغيرها من أعمال فارس، فجبي أموالها ولقي عسكر ابن ياقوت هنالك فهزمهم ورجع الى أخيه . وخشى عماد الدولة من اتفاق مرداويح مع ابن ياقوت فسار الى اصطخر واتبعه ابن ياقوت وشيعه الى قنطرة بطريق كرمان اضطروا الى الحرب عليها . فتزاحفوا هنالك واستأمن بعض قوّاده الى ابن ياقوت فقتلهم، فاستأمن اصحابه وانهزم ابن ياقوت

واتبعه ابن بويه واستباح معسكره، وذلك في جمادى سنة اثنتين وعشرين .

وأبلى أخوه معز الدولة أحمد في ذلك اليوم بلاء حسناً ولحق ابن ياقوت بواسط، وسار عماد الدولة الى شيراز فملكها وأمن الناس واستولى على بلاد فارس، وطلب الجند ارزاقهم فعجز عنها، وعثر على صناديق [1] من مخلف ابن ياقوت وذخائر بني الصفار فيها خمسمائة ألف دينار، فامتلأت خزائنه وثبت ملكه. واستقر ابن ياقوت بواسط وكاتبه أبو عبدالله اليزيدي حتى قتل مرداويج. عاد الى الاهواز ووصل عسكر مكرم، وكانت عساكر ابن بويه سبقته فالتقوا بنواحي أرّجان . وانهزم ابن ياقوت فأرسل أبو عبدالله اليزيدي في الصلح فأجابه ابن بويه واستقر ابن ياقوت بالاهواز ومعه ابن اليزيدي وابن بويه ببلاد فارس. ثم زحف مرداويج الى الاهواز وملكها من يد ابن ياقوت، ورجع الى واسط وكتب الى الراضي . وكان بعد القاهر كما نذكره والى وزيره أبي علي بن مقلة بالطاعة والمقاطعة فيما بيده من البلاد باعمال فارس على ألف ألف درهم، فأجيب الى ذلك وبعث اليه باللواء والخلع، وعظم شأنه في فارس وبلغ مرداويج شأنه فخاف غائلته، وكان أخوه

(١) قوله وعثر على صناديق، ذكر صاحب كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة في ذلك ملخصها أن الجند ضايقوه بطلب المال فنام في دار الامارة مستلقياً على قفاه مفكراً، فرأى حية دخلت في السقف، فاستدعى بعض الخدم ليكشف الحقيقة فرأى تلك الصناديق. وعثر أيضاً على مال كان وديعة وله حكاية أيضاً في ذلك الكتاب. اهـ . من خط الشيخ العطار.

وشمكير قد رجع الى اصبهان بعد خلع القاهر وصرف محمد بن ياقوت عنها فسار اليها مرداويج للتدبير على عماد الدولة، وبعث أخاه وشمكير على الري وأعمالها .

خلع القاهر وبيعة الراضي

ولما قتل القاهر مؤنساً وأصحابه أقام يتطلب الوزير أبا عليّ ابن مقلة والحسن بن هارون وهما مستتران ، وكانا يراسلان قُوّاد الساجية والحَجَرِيّة ويغريانهم بالقاهر ، فانهم غرّوه كما فعل بأصحابه قبلهم . وكان ابن مقلة يجتمع بالقواد ويراسلهم ويجيء اليهم متنكراً ويغريهم ، ووضعوا على سيما أن مُنَجِّماً أخبره أنه ينكب القاهر ويقتله ودسّوا الى معبر كان عنده أموال على أن يحذّره من القاهر، فنفر واستوحش ، وحفر القاهر مطامير في داره ، فقيل لسيما والقواد انما صنعت لكم فازدادوا نفرة . وكان سيما رئيس الساجية، فارتاب بالقاهر وجمع أصحابه وأعطاهم السلاح، وبعث الى الحجرية فجمعهم عنده وتحالفوا على خلع القاهر، وزحفوا الى الدور وهجموا عليه، فقام من النوم ووجد الابواب مشحونة بالرجال، فهرب الى السطح ودلهم عليه خادم فجاؤه واستدعوه للنزول فأبى فتهدّدوه بالرشق بالسهام، فنزل وجاؤا به الى محبس طريف السيكري، فحبسوه مكانه وأطلقوه حتى سمل بعد ذلك ، وذلك لسنة ونصف من خلافته .

وهرب الخصيبي وزيره وسلامة حاجبه . وقد قيل في خلعه

غير هذا، وهو أن القاهر لما تمكن من الخلافة اشتدّ على الساجية والحجرية واستهان بهم فتشاكوا ثم خافه حاجبه سلامة لانه كان يطالبه بالاموال ووزيره الخصيبي كذلك، وحفر المطامير في داره فارتابوا به كما ذكرنا . وأسر جماعة من القرامطة فحبسهم بتلك المطامير، وأراد أن يستظهر بهم على الحجرية والساجية فتنكروا ذلك وقالوا فيه للوزير وللحاجب، فأخرجهم من الدار وسلمهم لمحمد ابن ياقوت صاحب الشرطة وأوصاه اليهم، فازداد الساجية والحجرية ريبة . ثم تنكر لهم القاهر وصار يعلن بذّمِهم وكراهتهم فاجتمعوا لخلعه كما ذكرنا .

ولما قبض القاهر بعثوا عن أبي العباس بن المقتدر وكان محبوساً مع أمّه فأخرجوه وبايعوه في جمادى سنة اثنتين وعشرين، وبايعه القواد والناس وأحضر عليّ بن عيسى وأخاه عبد الرحمن وصدر عن رأيهما، وأراد عليّ بن عيسى على الوزارة فامتنع واعتذر بالكبر، وأشار بابن مقلة فأمنه واستوزره . وبعث القضاة الى القاهر ليخلع نفسه . فأبى فسمل وأمن ابن مقلة الخصيبي وولاه وولى الفضل بن جعفر بن الفرات نائباً عنه عن أعمال الموصل وقردى وباريدى وماردين وديار الجزيرة وديار بكر وطريق الفرات والثغور الجزرية والشاميّة وأجناد الشام وديار مصر يعزل ويولي من يراه في الخراج والمعادن والنفقات والبريد وغير ذلك .

وولى الراضي على الشرطة بدراً الحامي، وأرسل الى محمد بن

رائق يستدعيه وكان قد استولى على الاهواز ودفع عنها ابن ياقوت من تلك الولاية الى السوس وجنديسابور، وقد ولى على أصبهان وهو يروم المسير اليها . فلما ولي الراضي استدعاه للحجابة فسار الى واسط ، وطلب محمد بن ياقوت الحجابة فأجيب اليها فسار في اثر بن رائق ، وبلغ ابن رائق الخبر فسار من واسط مسابقاً لابن ياقوت بالمدائن توقيع الراضي بالحرب ، والمعادن في واسط، مضافاً الى ما بيده من البصرة والمعادن . فعاد منحدراً في دجلة ولقيه ابن ياقوت مصعداً، ودخل بغداد وولي الحجبة وصارت اليه رياسة الجيش ونظر في أمر الدواوين وأمرهم بحضور مجلسه، وأن لا ينفذوا توقيعاً في ولاية أو عزل أو اطلاق إلّا بخطِّه، وصار نظر الوزير في الحقيقة له وابن مقلة مكابر مجلسه مع جملتهم ومتميز عنهم في الايثار والمجلس فقط .

مقتل هارون

كان هارون بن غريب الخال على ماه الكوفة والدينور وماسبذان وسائر الاعمال التي ولاها القاهر اياه، فلما خلع القاهر واستخلف الراضي رأى هارون أنه أحق بالدولة من غيره لانه ابن خال المقتدر، فكاتب القواد ووعدهم وسار من الدينور الى خانقين وشكا ابن مقلة وابن ياقوت والحجرية والساجية الى الراضي فأذن لهم في منعه، فراسلوه أوّلا بالممانعة والزيادة على ما في يده من الاعمال، فلم يلتفت اليهم، وشرع في الجباية فقويت شوكته . فسار

اليه محمد بن ياقوت في العساكر وهرب عنه بعض أصحابه الى هارون، وكتب الى هارون يستميله فلم يجب، وقال لا بدّ من دخول بغداد. ثم تزاحفوا لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين فانهزم أوّلا أصحاب ابن ياقوت، ونهب سوادهم. وسار محمد حتى قطع قنطرة تبريز، وسار هارون منفرداً لاعتراضه، فدخل في بعض المياه وسقط عن فرسه، ولحقه غلام لمحمد بن ياقوت فقطع رأسه وانهزم أصحابه وقتل قواده وأسر بعضهم، ورجع ابن ياقوت الى بغداد ظافراً.

نكبة ابن ياقوت

قد ذكرنا أنه كان نظر في أمر الدواوين، وصير ابن مقلة كالعاطل، فسعى به عند القاضي وأوهمه خلافه حتى أجمع القبض عليه في جمادى سنة ثلاث وعشرين، فجلس الخليفة على عادته، وحضر الوزير وسائر الناس على طبقاتهم يريد تقليد جماعة من القواد للاعمال، واستدعى ابن ياقوت للخدمة في الحجبة على عادته، فبادر، وعدل به الى حجرة فحبس فيها وخمّار. وبعث الوزير ابن مقلة الى دار محمد من يحفظها من النهب، وأطلق يده في أمور الدولة واستبد بها وكان ياقوت مقيماً بواسط، فلما بلغه القبض على ابنه انحدر الى فارس لمحاربة ابن بويه، وكتب يستعطف الراضي ويسأله ابقاء ابنه ليساعده على شأنه. ولم يزل محمد محبوساً الى أن هلك سنة أربع عشرة في محبسه.

خبر البريدي

كان أبو عبدالله البريدي أيام ابن ياقوت ضامناً للاهواز، فلما استولى عليها مرداويج، وانهزم ابن ياقوت كما مرّ، رجع البريدي الى البصرة وصار يتصرف في أسافل الاهواز مع كنانة ياقوت. ثم سار الى ياقوت فأقام معه بواسط، فلما قبض على ابن ياقوت وكتب ابن مقلة اليه والى ياقوت يعتذر عن قبض ابن ياقوت ويأمرهما بالمسير لفتح فارس، فسار ياقوت على السوس، والبريدي على طريق الماء حتى انتهيا الى الاهواز . وكان الى أخويه أبي الحسن وأبي يوسف ضمان السوس وجندي سابور، وادعيا ان دَخْل البلاد أخذه مرداويج . وبعث ابن مقلة ثانياً لتحقق ذلك فواقاهم وكتب بصدقهم، فاستولى ابن البريدي ما بين ذلك على أربعة آلاف ألف دينار . ثم اشار أبو عبدالله بن علي بن ياقوت بالمسير لفتح فارس، واقام هو لجباية الاموال فحصل منها بغيته . وسار ياقوت فلقيه ابن بويه على أرّجان فهزمه، وسار الى عسكر مكرم. واتبعه ابن بويه الى رامهرمز واقام بها الى ان اصطلحا .

مقتل ياقوت

قد تقدم لنا انهزام ياقوت من فارس أمام عماد الدولة ابن بويه الى عسكر مكرم، واستيلاء ابن بويه على فارس . وكان أبو عبدالله البريدي بالاهواز ضامناً كما تقدم . وكان مع ذلك كاتباً لياقوت . وكان ياقوت يستنيم اليه ويثق به . وكان

مغفلاً ضعيف السياسة فخادعه أبو عبدالله البريدي وأشار عليه بالمقام بعسكر مكرم، وان يبعث اليه بعض جنده الواصلين من بغداد تخفيفاً للمؤنة وتحذيراً من شغبهم . وبعث اليه أخاه بذلك أبا يوسف ودفع له من مال الاهواز خمسين ألف دينار . ثم قطع عنه فضاق الحال عليه وعلى جنده، وكان قد نزع إليه من اصحاب ابن بويه طاهر الجمل، وكاتبه أبو جعفر الصهيري، ثم انصرف عنه لضيق حاله الى غربي تستر ليتغلب على ماه البصرة، فكبسه ابن بويه وغنم معسكره واسر الصهيري، فشفع فيه وزيره وأطلقه، فلحق بكرمان، واتصل بعد ذلك بمعزّ الدولة ابن بويه واستكتبه .

ولما انصرف طاهر عن ياقوت كتب الى البريدي يشكو ضعفه واستطالة اصحابه، فأشار عليه بارسالهم الى الأهواز متمرّفين لقومهم . فلما وصلوا اليه انتقى خيارهم ورد الباقين، وأحسن الى من عنده . وبعث ياقوت اليه في طلب المعز فلم يبعث اليه، فجاءه بنفسه فتلقاه وترجل اليه وقبل يده، وأنزله بداره، وقام في خدمته احسن مقام، ووضع الجند على الباب يشغبون ويرومون قتله، [1] فأشار اليه بالنجاة . فعاد الى عسكر مكرم، فكتب اليه يحذره اتباعهم، وان عسكر مكرم على ثمانية فراسخ من الاهواز، وأرى ان تتأخر بتستر فتتحصن بها . وكتب له على

---

(١) كذا بالأصل، ومقتضى السياق: فاجتمع الجند على الباب يشغبون الخ .

عامل تستر بخمسين ألف دينار، وعذله خادمه مؤنس في شأن ابن البريدي واراه خديعته . وأشار اليه باللحاق ببغداد، وأنه شيخ الحجرية، وقد كاتبوك فسر الى رياسة بغداد والا فتعاجل الى البريدي وتخرجه عن الاهواز فصم عن نصيحته وأبى من قبول السعاية فيه، وتسايل اصحابه الى ابن البريدي حتى لم يبق معه الا نحو الثلثمائة .

وجاءه ابنه المظفر ناجياً من حبس الراضي بعد اسبوع، فأطلقه وبعثه الى ابيه فأشار عليه بالمسير الى بغداد، فان حصل على ما يريد والا فالى الموصل وديار ربيعة ويتملكها، فأبى عليه أبوه ففارقه الى ابن البريدي فأكرمه ووكل به . ثم حذر ابن البريدي غائله ياقوت، فبعث اليه بأن الخليفة امره بازعاجه من البلاد اما الى بغداد واما الى بلاد الجبل ليوليه بعض أعمالها، فكتب يستمهله فأبى من المهلة، وبعث العساكر من الاهواز . وسار ياقوت الى عسكر مكرم ليكبس ابن البريدي هنالك فصبح البلد ولم يجده، وجاءت عساكر ابن البريدي مع قائد ابي جعفر الجمال، فقاتله من امامه واكمن آخرين من خلفه فانهزم وافترق اصحابه وحسا الى حائط متنكراً فمر به قوم ابن البريدي فكشفوا وجهه وعرفوه فقتلوه وحملوا رأسه الى العسكر فدفنه الجمال وبعث البريدي الى تستر فحمل ما كان لياقوت هنالك، وقبض على ابنه المظفر وبعثه الى بغداد واستبدّ بتلك الاعمال وذلك سنة أربع وعشرين .

مسير ابن مقلة الى الموصل واستقرارها لابن حمدان

كان ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن ابي الهيجاء عبدالله ابن حمدان عاملًا على الموصل، فجاء عمه أبو العلاء سعيد فضمن الموصل وديار ربيعة سرًّا وسار اليها فظهر انه في طلب المال من ابن اخيه . وشعر ناصر الدولة بذلك فخرج لتلقيه، فخالفه الى بيته فبعث من قبله واهتم الراضي بذلك وأمر الوزير أبا علي بن مقلة بالمسير الى الموصل، فسار في العساكر من شعبان سنة ثلاث وعشرين، فرحل عنها ناصر الدولة ودخل الزوران واتبعه الوزير الى جبل السنّ . ثم عاد عنها الى الموصل وأقام في جبايتها، وبعث ناصر الدولة الى بغداد بعشرة آلاف دينار لابن الوزير ليستحث أباه في القدوم، فكتب اليه بما أزعجه، فسار من الموصل واستخلف عليها علي بن خلف بن طياب وماترد الديلمي من الساجية . ودخل بغداد منتصف شوّال ، وجمع ناصر الدولة ولقي ماترد الديلمي على نصيبين، الى الرقة وانحدر منها الى بغداد ولحقه ابن طياب، واستولى ناصر الدولة حمدان على الموصل وكتب في الرضا وضمان البلاد فأجيب وتعذرت عليه .

نكبة ابن مقلة وخبر الوزارة

كان الوزير ابن مقلة قد بعث سنة ثلاث وعشرين الى محمد ابن رائق بواسط يطالبه بارتفاع اعمال واسط والبصرة، وكان قد قطع الجبل . فلما جاءه كتاب ابن مقلة كتب اليه جوابه يغالطه

وكتب الى الراضي بالسعي في الوزارة، وانه يقوم بنفقات الدار وأرزاق الجند، فجهز الوزير ابنه سنة اربع وعشرين لقصده ووری بالاهواز، وانفذ رسوله الى ابن رائق بهذه التورية يؤنسه بها، وباكر القصر لانفاذ الرسول فقبض عليه المظفر بن ياقوت والحجرية. وكان المظفر قد أُطلِقَ من محبسِهِ وأُعيد الى الحجبة، فاستحسن الراضي فعلهم. واختفى ابو الحسين ابن الوزير وسائر أولاده وحرمه وأصحابه، وأشار الى الحجرية والساجية بوزارة علي بن عيسى، فامتنع وسار باخيه عبد الرحمن، فاستوزره الراضي وصادر ابن مقلة. ثم عجز عن تمشية الامور وضاقت عليه الجباية، فاستعفى من الوزارة فقبض عليه الراضي وعلى أخيه على ثلاثة أشهر من وزارته، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي، فصادر عليّ بن عيسى على مائة ألف دينار. ثم عجز عن الوزارة وضاقت الاموال وانقطعت. وطمع أهل الاعمال فيها بأيديهم، فقطع ابن رائق حمل واسط والبصرة، وقطع ابن البريدي حمل الاهواز وأعمالها، وانقطع حمل فارس لتغلب ابن بويه عليها ولم يبق غير هذه الاعمال ونطاق الدولة قد تضايق الى الغاية، وأهل الدولة مستَبِدُّون على الخلافة، والاحوال متلاشية. فتحيَّر أبو جعفر، وكثرت عليه المطالبات، وذهبت هيبته. فاختفى لثلاثة أشهر ونصف من وزارته، واستوزر الراضي مكانه أبا القاسم سليمان ابن الحسن، فكان حاله مثل حال من قبله في قلة المال ووقوف الحال.

استيلاء ابن رائق على الخليفة

ولما رأى الراضي وقوف الحال من الوزراء استدعى أبا بكر محمد بن رائق من واسط وكاتبه بأنه قد اجابه الى ما عرض من السعي في الوزارة على القيام بالنفقات وارزاق الجند، فسر ابن رائق بذلك وشرع يتجهز للمسير . ثم انفذ اليه الراضي الساجية وقلّده امارة الجيش، وجعله أمير الامراء، وفوض اليه الخراج والدواوين والمعادن في جميع البلاد، وأمر بالخطبة له على المنابر، وانحدر اليه أرباب الدواوين والكتاب والحجاب . ولما جاءه الساجية قبض عليهم بواسط في ذي الحجة من سنة أربع وعشرين، ونهب رجالهم ودوابهم ومتاعهم ليوفر أرزاقهم على الحجرية، فاستوحشوا لذلك وخيّموا بدار الخلافة، وأصعد ابن رائق الى بغداد وفوض الخليفة اليه أمرهم . وأمر الحَجَرِيّة بتقويض خيامهم والرجوع الى منازلهم، وأبطل الدواوين وصيّر النظر اليه، فلم يكن الوزير ينظر في شيء من الامور .

وبقي ابن رائق وكتابه ينظرون في جميع الامور، فبطلت الدواوين وبيوت الاموال من يومئذ وصارت لامير لامراء، والاموال تحمل الى خزانته، ويتصرف فيها كما يريد، ويطلب من الخليفة ما يريد . وتغلب اصحاب الاطراف وزال عنهم الطاعة . ولم يبقَ للخليفة إلّا بغداد وأعمالها، وابن رائق مستبد عليه . وأمّا باقي الاعمال فكانت البصرة في يد ابن رائق، وخوزستان والاهواز

في يد ابن البريدي، وفارس في يد عماد الدولة ابن بويه، وكرمان في يد علي ابن الياس، والريّ وأصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه، وشمكير أخو مرداويج ينازعه في هذه الاعمال، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد حمدان ومصر والشام في يد ابن طَغْج، والمغرب وأفريقية في يد العُبَيْدِيّين، والاندَلُس في يد عبدالرحمن ابن الناصر من ولد عبدالرحمن الداخل، وما وراء النهر في يد بني سامان، وطبرستان في يد الديلم، والبحرين واليمامة في يد أبي طاهر القرمطي. ولم يبق لنا من الاخبار إلا ما يتعلق بالخلافة فقط في نطاقها المتضايق أخيراً، وان كانت مغلبة. وهي أخبار ابن رائق والبريدي، واما غير ذلك من الاعمال التي اقتطعت كما ذكرناه فنذكر أخبارها منفردة، ونسوق المستبدين دولاً كما شرطناه أول الكتاب. ثم كتب ابن رائق عن الراضي إلى أبي الفضل بن جعفر بن الفرات. وكان على الخراج بمصر والشام، وظن أنه بوزارته تكون له تلك الجباية، فوصل الى بغداد وولي وزارة الراضي وابن رائق جميعاً.

وصول بحكم مع ابن رائق

كان بحكم هذا من جملة مرداويج قائد الديلم ببلاد الجبل، وكان قبله في جملة ما كان ابن كالي ومن مواليه، وهبه له وزيره أبو عليّ الفارض، ثم فارق ما كان مع من فارقه الى مرداويج. وكان مرداويج قد ملك الري وأصبهان والاهواز، وضخم ملكه وصنع

كراسي من ذهب وفضة للجلوس عليها هو وقواده، ووضع على رأسه تاجاً تطلّه تاج كسرى . وأمر أن يخاطب بشاهنشاه، واعتزم على قصد العراق والاستيلاء عليه، وتجديد قصور كسرى بالمدائن . وكان في خدمته جماعة من الترك ومنهم بجكم . فأساء ملكهم وعسكرهم فقتلوه سنة ثلاث وعشرين بظاهر أصبهان كما نذكره في أخبارهم . واجتمع الديلم والجبل بعده على أخيه وشمكير بن زيار وهو والد قابوس، ولما قتل مرداويج افترق الاتراك فرقتين ففرقة سارت الى عماد الدولة بن بويه بفارس، والاخرى وهي الاكثر سارت نحو الجبل عند بجكم فجبوا خراج الدينور وغيرها . ثم ساروا الى النهروان وكاتبوا الراضي في المسير إليه فأذن لهم وارتاب الحجرية بهم، فأمرهم الوزير بالرجوع الى بلد الجبل، فغضبوا واستدعاهم ابن رائق صاحب واسط والبصرة فمضوا اليه وقدم عليهم بجكم وكان الاتراك والديلم من اصحاب مرداويج، فجاءته جماعة منهم فأحسن اليهم والى بجكم وسماه الرائقي نسبة اليه وأذن له ان يكتبه في مخاطباته .

مسير الراضي وابن رائق لحرب ابن البريدي

ثم اعتزم ابن رائق سنة خمس وعشرين على الراضي في المسير إلى واسط لطلب ابن البريدي في المال ليكون أقرب لمناجزته، فانحدر في شهر محرم وارتاب الحجرية بفعله مع الساجية، فتخلفوا ثم تبعوه فاعترضهم وأسقط اكثرهم من الديوان، فاضطربوا وثاروا

فقاتلهم وهزمهم وقتل منهم جماعة وألجأهم الى بغداد، فأوقع بهم لؤلؤ صاحب الشرطة ونهبت دورهم وقطعت أرزاقهم وقبضت أملاكهم، وقتل ابن رائق من كان في حبسه من الساجية، وسار هو والراضي نحو الاهواز لاجلاء ابن البريدي منها. وقدم اليه في طلب الاستقامة، وتوعده فجدد ضمان الاهواز بألف دينار في كل شهر، ويحمل في كل يوم قسطه. وأجابه الى تسليم الجيش لمن يسير الى قتال ابن بويه لنفرتهم عن بغداد. وعرض ذلك على الراضي فأشار الحسين بن علي القونجي وزير ابن رائق بأن لا تقبل لانه خداع ومكر. وأشار أبو بكر بن مقاتل باجابته، وعقد الضمان على ابن البريدي، وعاد ابن رائق والراضي الى بغداد فدخلاها أوّل صفر، ولم يف ابن البريدي بحمل المال، وأنفذ ابن رائق جعفر بن ورقاء ليسير بالجيش الى فارس. ودسّ اليهم ابن البريدي أن يطلبوا منه المال ليتجهزوا به، فاعتذر فشتموه وتهددوه بالقتل. وأتى ابن البريدي فأشار عليه بالنجاء.

ثم سعى ابن مقاتل لابن البريدي في وزارة ابن رائق عوضاً عن الحسين القونجي وبذل عنه ثلاثين ألف دينار، فاعتذر له بسوابق القونجي عنده وسعيه له، وكان مريضاً. فقال له ابن مقاتل انه هالك، فقال ابن رائق قد أعلمني الطبيب أنه ناقه، فقال الطبيب يراجيك فيه لقربه منك، ولكن سل ابن أخيه عليّ بن حمدان. وكان القونجي قد استناب ابن أخيه في مرضه،

فأشار عليه ابن مقاتل أن يعرف الامير اذا بهلكه وأشار عليه ان يستوزره . فلما سأله ابن رائق أيأسه منه . فقال ابن رائق عند ذلك لابن مقاتل : اكتب لابن البريدي يرسل من ينوب عنه في الوزارة، فبعث أحمد بن الكوني واستولى مع مقاتل على ابن رائق وسموا لابن البريدي أبي يوسف في ضمان البصرة .

وكان عامل البصرة من قبل ابن رائق محمد بن يزداد وكان شديد الظلم والعسف بهم، فخادعه ابن البريدي وأنفذ أبو عبدالله مولاه اقبالا في ألفي رجل، واقاموا في حصن مهدي قريباً . فعلم ابن يزداد أنه يروم التغلب على البصرة، وأقاما على ذلك وأقام ابن رائق شأن هذا العسكر في حصن مهدي . وبلغه أيضاً أنه استخدم الحَجَرِيّين الذين أذن لهم في الانسياحِ في الارض، وأنهم اتفقوا مع عسكره على قطعِ الحمل، وكاتبه بطردهم عنه فلم يفعل . فأمر ابن السكوني ان يكتب الى ابن البريدي بالكتاب على ذلك . ويأمر باعادة العسكر من حصن مهدي، فأجاب باعدادهم للقرامطة وابن يزداد عاجز عن الحماية .

وكان القرامطة قد وصلوا الى الكوفة في ربيع الآخر، وخرج ابن رائق في العساكر الى حصن ابن هبيرة ولم يستقر بينهم أمر. وعاد القرمطي الى بلده وسار ابن رائق الى واسط، فكتب ابن البريدي الى عسكره بحصن مهدي ان يدخلوا البصرة ويملكوها من ابن يزداد، وأمدهم جماعة من الحجرية فقصدوا

البصرة وقاتلوا ابن يزداد فهزموه، ولحق بالكوفة وملك اقبال مولى ابن البريدي وأصحابه البصرة، وكتب ابن رائق الى البريدي يتهدده ويأمره باخراج أصحابه من البصرة فلم يفعل.

استيلاء يحكم على الاهواز

ولما امتنع ابن البريدي من الافراج عن البصرة بعث ابن رائق العساكر مع بدر الحريشي ويحكم [1] مولاه، وأمرهم بالمقام بالجامدة، فتقدم يحكم عن بدر وسار الى السوس وجاءته عساكر البريدي مع غلامه محمد الجمال في ثلاثة آلاف، ومع يحكم مائتان وسبعون من الترك، فهزمهم يحكم ورجع محمد بن الجمال الى ابن البريدي فعاقبه على انهزامه، وحشد له العسكر، فسار في ستة آلاف ولقيهم يحكم عند نهر تستر فانهزموا من غير قتال. وركب ابن البريدي السفن ومعه ثلثمائة ألف دينار، ففرق أصحابه وماله ونجا الى البصرة، وأقام بالأُبلّة، وبعث غلامه اقبالا فلقي جماعة من اصحاب ابن رائق فهزمهم، وبعث ابن رائق مع جماعة من أهل البصرة يستعطفه فأبى، فطلبوا البصرة فحلف ليَحْرِقَنَّها ويقتل كل من فيها، فرجعوا مستبصرين [2] في قتاله.

وأقام ابن البريدي بالبصرة، واستولى يحكم على الاهواز. ثم بعث ابن رائق جيشه في البحر والبر، فانهزم عسكر البر، واستولى عسكر الماء على الكلاء فهرب ابن البريدي في السفن

(١) كذا وفي الكامل ج ٦ ص ٢٧٣ «بحكم».
(٢) كذا ولعلها: مستبسلين.

الى جزيرة أوال، وترك أخاه أبا الحسين في عسكر بالبصرة، فدفع عسكر ابن رائق عن الكلاء فسار ابن رائق من واسط . واستولى بجكم على الاهواز وقاتلوا البصرة فامتنعت عليهم . وسار ابن عبدالله ابن البريدي من أوال الى عماد الدولة بن بويه بفارس، فاطمعه في العراق وبعث معه أخاه معز الدولة الى الاهواز، فسير اليها ابن رائق مولاه بجكم على ان يكون له الحرب والخراج، وأقام ابن البريدي على البصرة وزحفت اليه عساكرهم فاعجلوه عن تقويض خيامه فأحرقها وسار الى الاهواز مجرداً، وسبقته عساكره الى واسط، وأقام عند بجكم أياماً وأشير عليه بحبسه فلم يفعل ورجع ابن رائق الى واسط .

استيلاء معز الدولة على الاهواز

لما سار أبو عبدالله بن البريدي من جزيرة أوال الى عماد الدولة ابن بويه بفارس مستجيراً به من ابن رائق وبجكم ومستنجداً عليهم طمع عماد الدولة في الاستيلاء على العراق، فسير معه أخاه معز الدولة أحمد بن بويه في العسكر، ورهن ابن البريدي عنده ولديه أبا الحسين محمداً وأبا جعفر الفياض . وسار بجكم للقائهم فلقيهم بأرّجان . فانهزم امامهم وعاد الى الاهواز وخلّف جيشاً بعسكر مكرم . فقاتلهم معز الدولة ثلاثة عشر يوماً ثم انفضوا ولحقوا بتستر، وملك معز الدولة عسكر مكرم وذلك سنة ست وعشرين وسار بجكم من الاهواز الى تستر، وبلغ الخبر الى ابن رائق

بواسط، فسار الى بغداد وجاء يحكم من تستر الى واسط . ولما استولى معز الدولة وابن البريدي على عسكر مكرم، ولقيهم أهل الاهواز وسار معهم اليها، فأقاموا شهراً . ثم طلب معز الدولة من ابن البريدي عسكره الذي في البصرة ليسير بهم الى أخيه ركن الدولة بأصبهان لحرب وشمكير، فأحضر منهم اربعة آلاف . ثم طلب من عسكره الذين بحصن مهدي ليسير بهم في الماء الى واسط، فارتاب ابن البريدي وهرب الى البصرة . وبعث الى عسكرها الذين ساروا الى أصبهان وكانوا متوقفين بالسوس، فرجعوا اليه . ثم كتب الى معز الدولة ان يفرج له عن الاهواز ليتمكن من الجباية والوفاء بها لاخيه عماد الدولة، وكان قد ضمن له الاهواز والبصرة بثمانية عشر ألف ألف درهم . فرحل معز الدولة الى عسكر مكرم وأنفذ ابن البريدي عامله الى الاهواز .

ثم بعث الى معز الدولة بأن يتأخر الى السوس فأبى، وعلم يحكم بحالهم فبعث جيشاً استولوا على السوس وجندي سابور، وبقيت الاهواز بيد ابن البريدي ومعزّ الدولة بعسكر مكرم وقد ضاقت احوال جنده . ثم بعث اليه أخوه عماد الدولة بالمدد فسار الى الاهواز وملكها . ورجع ابن البريدي إلى البصرة ويحكم في ذلك مقيم بواسط، وقد صرف همه الى الاستيلاء على رتبة ابن رائق ببغداد . وقد أنفذ له ابن رائق عليّ بن خلف بن طيّاب ليسيروا الى الاهواز ويخرجوا ابن بويه . ويكون يحكم على الحرب وابن خلف على

الخراج، فلم يلتفت بجكم لذلك واستوزر عليّ بن خلف وبجكم في أحوال واسط . ولما رأى أبو الفتح الوزير ببغداد إدبار الاحوال أطمع ابن رائق في مصر والشام، وقال أنا أجبيهما لك، وعقد بينه وبين ابن طغج صهراً. وسار أبو الفتح الى الشام في ربيع الآخر، وشعر ابن رائق بمحاولة بجكم عليه، فبعث الى ابن البريدي بالاتفاق على بجكم على أن يضمن ابن البريدي واسط بستمائة الف، فنهض بجكم الى ابن البريدي قبل ابن رائق وسار الى البصرة، فبعث اليه ابن البريدي أبا جعفر الجمال في عشرة آلاف، فهزمهم بجكم وارتاع ابن البريدي لذلك، ولم يكن قصد بجكم الا الالفة فقط، والتضرع لابن رائق، فبعث اليه بالمسالمة وان يقلده واسط اذا تم أمره، فاتفقا على ذلك وصرف نظره الى امر بغداد .

وزارة ابن مقلة ونكبته

ولما انصرف أبو الفتح بن الفرات الى الشام استوزر الراضي أبا علي بن مقلة على سنن من قبله والامر لابن رائق، وابن مقلة كالعارية . وكتب له في أمواله واملاكه فلم يردّها . فشرع في التدبير عليه، فكتب الى ابن رائق بواسط ووشمكير بالريّ يطمع كلًّا منهما في مكانه، وكتب الراضي يشير بالقبض على ابن رائق وأصحابه، واستدعى بجكم لمكانه وأنه يستخرج منهم ثلاثة آلاف ألف دينار، فأطمعه الراضي على كره . فكتب هو الى بجكم يستحثّه . وطلب من الراضي أن ينتقل الى دار الخلافة حتى يتم

الامر، فأذن له وحضر متنكراً آخر ليلة من رمضان سنة ست وعشرين، فأمر الراضي باعتقاله واطلع ابن رائق من الغد على كتبه، فشكر ذلك له ابن رائق، وأمر بابن مقلة في منتصف شوال فقطع ثم عولج، وبريء وعاد الى السعي في الوزارة والتظلم من ابن رائق والدعاء عليه، فأمر بقطع لسانه وحبسه الى أن مات .

استيلاء بحكم على بغداد

لم يزل بحكم يظهر التبعيَّة لابن رائق ويكتب على أعلامه وتراسه بحكم الرائقي الى أن وصلته كتب ابن مقلة بأنّ الراضي قلده إمرة الأمراء، فطمع وكاشف ابن رائق ومحا نسبه اليه من اعلامه وسلاحه . وسار من واسط الى بغداد في ذي القعدة سنة ست وعشرين . وكتب اليه الراضي بالرجوع فأبى ووصل الى نهر ديالي وأصاب ابن رائق في غربيِّه، فانهزموا وعبروا النهر سبحاً . وسار ابن رائق الى عَكْبَرا، ودخل بحكم بغداد منتصف ذي القعدة ولقي الراضي من الغد، وولّاه أمير الامراء، وكتب عن الراضي الى القوّاد الذين مع ابن رائق بالرجوع عنه فرجعوا، وعاد ابن رائق الى بغداد فاختفى بها لسنة وأحد عشر شهراً من امارته، ونزل بحكم بدار مؤنس واستقرّ ببغداد متحكماً في الدولة مستبدًا على الخليفة .

دخول اذربيجان في طاعة وشمكير

كان من عمّال وشمكير على أعمال الجبل السيكري بن مردى،

وحشة البساسيري

كان أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المجلبان صاحبي قُريش بن بدران، وبعثهما الى القائم سرّاً من البساسيري بما فعل بالأنبار فانتقض البساسيرى لذلك، واستوحش من القائم ومن رئيس الرؤساء، وأسقط مشاهرتهم ومشاهرة حواشيهم وهمّ بهدم منازل بني المجلبان. ثم أقصر وسار الى الانبار، وبها أبو القاسم بن المجلبان، وجاءه دبيس ابن مزيد ممدًّا له فحاصر الأنبار وفتحها عَنْوَةً ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة، ومائة من بني خَفاجة وأسر أبا الغنائم وجاء به الى بغداد فأدخله على جمل، وشفع دبيس بن مزيد في قتله، وجاء الى مقابل التاج من دار الخليفة فقبل الارض وعاد الى منزله.

وصول الغزالي الى الدسكرة ونواحي بغداد

وفي شوّال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حُلوان من الغزّ وهو ابراهيم بن اسحاق الى الدسكرة فافتتحها ونهبها وصادر النساء. ثم سار الى رسغباد وقلعة البردان وهي لسعدي بن أبي الشوك، وبها أمواله فامتنعت عليه فخرب ما حولها من القرى ونهبها، وقوي طمع الغزّ في البلاد وضعف أمر الديلم والاتراك. ثم بعث طغرلبك أبا عليّ ابن أبي كاليجار الذي كان بالبصرة في جيش من الغزّ الى خوزستان فاستولى على الاهواز وملكها ونهب الغزّ الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عناء.

ظهور ابن رائق ومسيره الى الشام

وفي سنة سبع وعشرين وثلثمائة سار بجكم الى الموصل وديار ربيعة بسبب ان ناصر الدولة بن حمدان أخّر المال الذي عليه من ضمان البلاد، فأقام الراضي بتكريت وسار بجكم، ولقيه ناصر الدولة على ستة فراسخ من الموصل، فانهزم واتبعه بجكم الى نصيبين ثم الى آمد، وكتب الى الراضي بالفتح. فسار من تكريت في الماء الى الموصل وفارقه جماعة من القرامطة كانوا في عسكره، وكان ابن رائق يكاتبهم من مكان اكتفائه فلما وصلوا بغداد خرج ابن رائق اليهم واستولى، وطار الخبر الى الراضي فأصعد من الماء وسار الى الموصل وكتب الى بجكم بذلك. فرجع عن نصيبين بعد ان استولى عليها.

وشرع أهل العسكر يتسللون الى بغداد فأهمّ ذلك بجكم. ثم جاءت رسالة ابن حمدان في الصلح وتعجيل خمسمائة ألف درهم، فأجابوه وقرره ورجعوا الى بغداد، ولقيهم أبو جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد رسولا عن ابن رائق في الصلح على ان يقلده الراضي طريق الفرات وديار مضر حرّان والرها وما جاورها جندي قنسرين والعواصم. فأجابه الراضي وقلّده وسار الى ولايته في ربيع الآخر. وكان بجكم قد استناب بعض قواد الاتراك على الانبار واسمه بالبان، وطلب تقليد طريق الفرات فقلد وسار الى الرحبة. ثم انتقض وعاد لابن رائق وعصى على بجكم، فسار اليه

غازيا وكبسه بالرحبة على حين غفلة لخمسة أيام من مسيره، فظفر به وأدخله بغداد على جمل وحبسه وكان آخر العهد به .

وزارة ابن البريدي

قد تقدّم لنا مسير الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الى الشام، ولما سار استناب بالحضرة عبدالله بن علي البصري، وكان بجكم قد قبض على وزيره خلف بن طباب، واستوزر أبا جعفر محمد ابن يحيي بن شيرزاد، فسعى في وزارة ابن البريدي ليحكم حتى تمّ ذلك . ثم ضمن ابن البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار كل سنة . ثم جاء الخبر بموت أبي الفتح بن الفرات بالرملة . فسعى أبو جعفر بن شيرزاد في وزارة أبي عبدالله للخليفة، فعقد له الراضي بذلك واستخلف بالحضرة عبدالله بن علي البصري كما كان مع أبي الفتح .

مسير ركن الدولة الى واسط ورجوعه عنها

لما استقرّ ابن البريدي بواسط بعث جيشاً الى السوس، وبها أبو جعفر الطهيري وزير معزّ الدولة أحمد بن بويه، ومعزّ الدولة بالاهواز . فتحصن أبو جعفر بقلعة السوس، وعاث الجيش في نواحيها . وكتب معز الدولة الى أخيه ركن الدولة وهو على اصطَخْر قد جاء من أصبهان لما غلبه وشمكير عليها . فلما جاء كتاب أخيه معزّ الدولة سار محمد الى السوس وقد رجع عنه جيش ابن البريدي . ثم سار إلى واسط يحاول ملكها فنزل في جانبها الشرقي، وابن البريدي في

الجانب الغربي، واضطرب عسكر ابن بويه واستأمن جماعة منهم الى ابن البريدي . ثم سار الراضي ويحكم من بغداد الى واسط للامداد، فرجع ركن الدولة الى الاهواز ثم الى رامَهُرْمُز . وبلغه أن وشمكير قد أنفذ عسكره مدداً لماكان بن كالي وان أصبهان خالية، فسار اليها من رامهرمز وأخرج من بقي منها من أصحاب وشمكير وملكها فاستقرّ بها .

مسير يحكم الى بلد الجبل وعوده الى واسط واستيلاؤه عليها

كان يحكم قد أرسل ابن البريدي وصاهره واتفقا على أن يسير يحكم الى بلاد الجبل لفتحها من يد وشمكير، وأبو عبدالله بن البريدي الى الاهواز لأخذها من يد معزّ الدولة ابن بويه، فسار يحكم الى حُلوان وبعث اليه ابن البريدي بخمسمائة رجل مدداً . وبعث يحكم بعض أصحابه الى ابن البريدي يستحِثّه الى السوس والاهواز فأقام يماطله ويدافعه ويبين له أنه يريد مخالفة يحكم الى بغداد . فكتب اليه بذلك، فرجع عن قصده الى بغداد . وعزل ابن البريدي من الوزارة، وولى مكانه أبا القاسم بن سليمان بن الحسين بن مخلد، وقبض على ابن شيرزاد الذي كان ساعياً له، وتجهّز الى واسط، وانحدر في الماء آخر ذي الحجة سنة ثمان وعشرين . وبعث عسكراً في البر، وبلغ الخبر ابن البريدي فسار عن واسط الى البصرة واستولى عليها يحكم وملكها .

استيلاء ابن رائق على الشام

قد تقدّم لنا مسير ابن رائق الى ديار مضر وثغور قِنَّسرين والعواصم، فلما استقرّ بها حدّثته نفسه بملك الشام، فسار إلى حِمص فملكها. ثم سار الى دمشق وبها بدر بن عبدالله الاخشيدي، ويلقب بدير، فملكها من يده. ثم سار الى الرملة ومنها الى عريش مصر يريد ملك الديار المِصْرِيّة، ولقيه الاخشيذ[1] محمد بن طُغج، وانهزم أوّلا وملك أصحاب ابن رائق خيامه. ثم خرج كمين الاخشيذ فانهزم ابن رائق الى دمشق، وبعث الاخشيذ في أثره أخاه أبانصر ابن طغج، وسار اليهم ابن رائق من دمشق فهزمهم وقتل أبو نصر، فكفنه ابن رائق وحمله مع ابنه مزاحم الى أخيه الاخشيذ بمصر. وكتب يعزّيه ويعتذر. فأكرم الاخشيذ مزاحماً، واصطلح مع أبيه على أن تكون مصر للاخشيذ من حد الرملة وما وراءها من الشام لابن رائق، ويعطي الاخشيذ عن الرملة في كل سنة مائة وأربعين ألف دينار.

الصوائف ايام الراضي

وفي سنة اثنتين وعشرين سار الدمستق الى سميساط في خمسين ألفاً من الروم، ونازل ملطية وحاصرها مدّة طويلة حتى فتحها بالامان، وبعثهم الى مأمَنِهِم مع بطريق من بطارقته. وتنصَّر الكثير منهم محبةً في أهليهم وأموالهم. ثم افتتحوا سميساط وخرّبوا أعمالها

(١) كذا. وفي كتب التاريخ الأخرى: الأخشيد.

وأفحشوا في أسطوله في البحر. ففتحوا بلد جَنَوَة ومروا بسردانية فأوقعوا بأهلها، ثم مروا بقرقيسيا من ساحل الشام فأحرقوا مراكبها وعادوا سالمين. وفي سنة ست وعشرين كان الفداء بين المسلمين والروم في ذي القعدة على يد ابن ورقاء الشيباني البريدي في ستة آلاف وثلثمائة أسير.

الولايات ايام الراضي والقاهر قبله

قد تقدّم لنا أنه لم يبق من الاعمال في تصريف الخلافة لهذا العهد إلا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة، وذكرنا استيلاء بني بويه على فارس وأصبهان، ووشمكير على بلاد الجبل، وابن البريدي على البصرة، وابن رائق على واسط. وان عماد الدولة ابن بويه على فارس، وركن الدولة أخوه يتنازع مع وشمكير على أصبهان وهمذان وقمّ وقاشان والكُرْج والريّ وقزوين. واستولى معزّ الدولة أخوهما على الاهواز وعلى كرمان، واستولى ابن البريدي على واسط. وسار ابن رائق الى الشام فاستولى عليها. وفي سنة ثلاث وعشرين قلّد الراضي ابنيه أبا جعفر وأبا الفضل ناحية المشرق والمغرب. وفي سنة احدى وعشرين ورد الخبر بوفاة تكين الخاصكي بمصر وكان أميراً عليها، وولى القاهر مكانه ابنه محمداً وثار به الجند، فظفر بهم. وفيها وقعت الفتنة بين بني ثعلب وبني أسد ومعهم طيء، وركب ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان ومعه أبو الاعز بن سعيد بن حمدان ليصلح بينهم، فوقعت ملاحاة قتل فيها

أبو الاعز على يد رجل من ثعلب، فحمل عليهم ناصر الدولة واستباحهم الى الحديثة . فلقيهم يانس غلام مؤنس والياً على الموصل، فانضم اليه بنو ثعلب وبنو أسد وعادوا الى ديار ربيعة . وفي سنة أربع وعشرين قلّد الراضي محمد بن طغج أعمال مصر مضافاً الى ما بيده من الشام، وعزل عنها أحمد بن كيغلغ .

وفاة الراضي وبيعة المتقي

وفي سنة تسع وعشرين وثلثمائة توفي الراضي أبو العباس أحمد ابن المقتدر في ربيع الاول منها لسبع سنين غير شهر من خلافته . ولما مات أحضر بجكم ندماءه وجلساءه لينتفع بما عندهم من الحكمة فلم يفهم عنهم لعجمته . وكان آخر خليفة خطب على المنبر وان خطب غيره فنادر . وآخر خليفة جالس السمّر ووصل الندماء . ودولته آخر دول الخلفاء في ترتيب النفقات والجوائز والجرايات والمطابخ والخدم والحجاب . وكان بجكم يوم وفاته غائباً بواسط حين ملكها من يد ابن البريدي، فانتظر في الامور وصول مراسمه فورد كتابه مع كاتبه أبي عبدالله الكوفي يأمر فيه باجتماع الوزراء وأصحاب الدواوين، والقضاة والعلويين والعباسيين ووجوه البلد عند الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن، ويشاورهم الكوفي فيمن ينصب للخلافة ممن يرتضي مذهبه وطريقه، فاجتمعوا وذكروا ابراهيم بن المقتدر واتفقوا عليه وأحضروه من الغد، وبايعوا له آخر ربيع الاول من سنة تسع وعشرين . وعرضت عليه الالقاب

فاختار المتقي لله وأقرّ سليمان على وزارته كما كان، والتدبير كله للكوفي كاتب بجكم، وولى سلامة الطولوني على الحجبة.

مقتل بجكم

كان أبو عبدالله البريدي بعد هربه الى البصرة من واسط أنفذ جيشاً الى المدار، فبعث الى لقائهم جيشاً من واسط عليهم تورون انتخب له الكرة، فظفر بجيش ابن البريدي ولقي بجكم خبره في الطريق، فسرّ بذلك وذهب يتصيد فبلغ نهر جور وعثر في طريقه ببعض الاكراد فشره [1] لغزوهم وقصدهم في خفّ من أصحابه، وهربوا بين يديه وهو يرشقهم بسهامه. وجاءه غلام منهم من خلفه فطعنه فقتله. واختلف عسكره فمضى الديلم فكانوا ألفاً وخمسمائة الى ابن البريدي. وقد كان عزم على الهرب من البصرة فبعث لقدومهم وضاعف أرزاقهم وأدرّها عليهم. وذهب الاتراك الى واسط وأطلقوا بكتيك من حبسه وولوه عليهم. فسار بهم الى بغداد في خدمة المتقي وحصر ما كان في دار بجكم من الاموال والدواوين، فكانت ألف ألف ومائة ألف دينار ومدّة امارته سنتان وثمانيه أشهر.

امارة البريدي ببغداد وعوده الى واسط

لما قتل بجكم قدم الديلم عليهم بشكوار [2] بن ملك بن مسافر،

(١) كذا ولعلها: فشمر.

(٢) كذا وفي الكامل لابن الأثير ج ٦ ص ٢٧٩: بلسواز بن مالك، وفي تجارب الأمم بلسوار بالراء.

ومسافر هو ابن سلار صاحب الطرم الذي ملك ولده بعده اذربيجان، وقاتلهم الاتراك فقتلوه، فقدّم الديلم عليهم مكانه كورتكين منهم. وقدّم الاتراك عليهم بكتيك مولى بجكم. وانحدر الديلم الى أبي عبدالله بن البريدي فقوي بهم واصعدوا الى واسط. وأرسل المتقي اليهم مائة وخمسين ألف دينار على أن يرجعوا عنها. ثم قسم في الاتراك في أجناد بغداد أربعمائة ألف دينار من مال بجكم. وقدم عليهم سلامة الطولوني وبرز بهم المتقي الى نهر ديالي آخر شعبان سنة ست وعشرين. وسار ابن البريدي من واسط فأشفق أتراك بجكم ولحق بعضهم بابن البريدي وسار آخرون الى الموصل، منهم تورون وجحجح. واختفى سلامة الطولوني وأبو عبدالله الطولوني ودخل أبو عبدالله البريدي بغداد أول رمضان، ونزل بالشفيعي ولقيه الوزير أبو الحسين بن ميمون والكتاب والقضاة وأعيان الناس. وبعث اليه المتقي بالتهنئة والطعام، وكان يخاطب بالوزير. ثم قبض على الوزير أبي الحسين لشهرين من وزارته وحبسه بالبصرة وطلب من المتقي خمسمائة ألف دينار للجند، وهدّده بما وقع للمعتزّ والمستعين والمهتدي، فبعث بها اليه، ولم يلقه مدّة مقامه ببغداد. ولما وصله المال من المتقي شغب الجند عليه في طلبه، وجاء الديلم الى دار لاخيه ابي الحسين ثم انضم اليهم الترك وقصدوا دار أبي عبدالله، فقطع الجسر، ووثب العامة على أصحابه، وهرب هو وأخوه وابنه أبو القاسم وأصحابهم وانحدروا الى واسط، وذلك سلخ رمضان

لاربعة وعشرين يوماً من قدومه .

امارة كورتكين الديلمي

ولما هرب ابن البريدي استولى كورتكين على الامور ببغداد، ودخل الى المتقي فقلده امارة الامراء وأحضر عليّ بن عيسى وأخاه عبد الرحمن، فدبّر الامور ولم يسمهما بوزارة . واستوزر أبا اسحاق محمد بن أحمد الاسكافي القراريطي، وولى على الحجبة بدر الجواشيني . ثم قبض كورتكين على بكتبيك [1] مقدم الاتراك خامس شوّال وغرّقه، واقتتل الاتراك والديلم وقتل بينهما خلق، وانفرد كورتكين بالامر وقبض على الوزير أبي اسحاق القراريطي لشهر ونصف من وزارته، وولى مكانه أبا جعفر محمد بن القاسم الكرخي .

عودة ابن رائق الى بغداد

قد تقدّم لنا أن جماعة من أتراك بجكم لما انفضوا عن المتقي ساروا الى الموصل، ثم ساروا منها الى ابن رائق بالشام، وكان من قوّادهم تورون وجحجح وكورتكين وصيقوان [2] فأطمعوه في بغداد . ثم جاءته كتب المتقي يستدعيه، فسار آخر رمضان واستخلف بالشام أبا الحسن أحمد بن عليّ بن مقاتل وتنحّى ناصر الدولة بن حمدان على طريقه . ثم حمل اليه مائة ألف دينار وصالحه، وبلغ الخبر الى ابي عبدالله بن البريدي، فبعث اخوته الى واسط وأخرج الديلم عنها وخطبوا له بها . وخرج كورتكين عن بغداد

---

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٦ ص ٢٨٠ : تكينك التركي .

(٢) كذا وفي الكامل : وكان فيهم من القواد : توزون وخجخج ونوشتاكين وصيغون .

الى عكبرا، فقاتله ابن رائق أياماً ثم أسرى له ليلة عرفة، فأصبح ببغداد من الجانب الغربي ولقي الخليفة وركب معه في دجلة. ووصل كورتكين آخر النهار، فركب ابن رائق لقتاله وهو مرجل، واعتزم على العود الى الشام ثم طائفة من عسكره ليعبروا دجلة ويأتوا من ورائهم. وصاحت العامة مع ابن رائق بكورتكين وأصحابه ورجموهم، فانهزموا واستأمن منهم نحو أربعمائة فقتلوا وقتل قوّاده، وخلع المتقي عليّ ابن رائق وولاه أمير الامراء، وعزل الوزير أبا جعفر الكرخي لشهر من ولايته، وولى مكانه أحمد الكوفي وظفر بكورتكين فحبسه بدار الخلافة.

وزارة ابن البريد واستيلاؤه على بغداد وفرار المتقي الى الموصل

لما استقرّ ابن رائق في امارة الامراء ببغداد أخرّ ابن البريدي حمل المال من واسط، فانحدر اليه في العساكر في عاشوراء من سنة ثلاثين، وهرب بنو البريدي الى البصرة. ثم سعى أبو عبدالله الكوفي بينهم وبين ابن رائق، وضمن واسط بستمائة ألف دينار وبقاياها بمائتي ألف. ورجع ابن رائق الى بغداد فشغبت عليه الجند، وفيهم تورون وأصحابه. ثم انفضوا آخر ربيع الى ابي عبدالله بواسط، فقوي بهم وذهب ابن رائق الى مداراته فكاتبه بالوزارة، واستخلف عليها أبا عبدالله بن شيرزاد. ثم انتقض واعتزم على المسير الى بغداد في جميع الاتراك والديلم. وعزم ابن رائق على التحصن بدار الخلافة، ونصب عليها المجانيق والعرادات،

وجند العامة، فوقع الهرج، وخرج بالمتقي الى نهر ديالي منتصف جمادى الآخرة . وأتاهم أبو الحسين في الماء والبر فهزمهم، ودخل دار الخلافة، وهرب المتقي وابنه أبو منصور وابن رائق الى الموصل لستة أشهر من امارته

واختفى الوزير القراريطي، ونهبت دار الخليفة، ودور الحرم، وعظم الهرج، وأخذ كورتكين من محبسه فأنفذ الى واسط، ولم يتعرضوا للقاهر . وكان نزل أبو الحسين بدار الخلافة وجعل تورون على الشرطة بالجانب الغربي، وأخذ رهائن القواد تورون وغيره وبعث بنسائهم وأولادهم الى أخيه عبدالله بواسط . وعظم النهب ببغداد، وترك الناس دورهم وفرضت المكوس في الاسواق خمسة دنانير على الكرّ فغلت الاسعار، وانتهى الى ثلثمائة دينار الكرّ، وجاءت ميرة من الكوفة وأخذت فقيل انها لعامل الكوفة، وأخذها عامل بغداد، وكان معه جماعة من القرامطة، فقاتلهم الاتراك وهزموهم، ووقعت الحرب بين العامة والديلم، فقتل خلق من العامة، واختفى العمال لمطاولة الجند الى الضواحي ينتهبون الزرع بسنبله عند حصاده، وساءت أحوال بغداد وكثرت نقمات الله فيهم .

مقتل ابن رائق وولاية ابن حمدان مكانه

كان المتقي قد بعث الى ناصر الدولة بن حمدان يستمدّه على ابن البريدي عندما قصد بغداد، فأمده بعسكر مع أخيه سيف

الدولة، فلقيه بتكريت منهزماً، ورجع معه الى الموصل . وخرج ناصر الدولة عن الموصل حتى حلّف له ابن رائق واتفقا، فجاء وتركه شرقي دجلة، وعبر اليه أبو منصور بن المتقي وابن رائق، فبالغ في تكرمتهما . فلما ركب ابن المتقي قال لابن رائق : أقم نتحدث في رأينا فذهبا الى الاعتذار، وألح عليه ناصر الدولة فاستراب وجذب يده وقصد الركوب، فسقط فأمر ناصر الدولة بقتله والقائه في دجلة، وبعث الى المتقي بالعذر وأحسن القول وركب اليه، فولاه أمير الامراء ولقبه ناصر الدولة وذلك مستهل شعبان من سنة ثلاثين، وخلع على أخيه أبي الحسن ولقبه بسيف الدولة . فلما قتل ابن رائق سار الاخشيذ من مصر الى دمشق، وبها محمد بن يزداد من قبل ابن رائق فاستأمن اليه، وملك الاخشيذ دمشق وأقر ابن يزداد عليها ثم نقله الى شرطة مصر .

عود المتقي الى بغداد وفرار البريدي

لما استولى أبو الحسين البريدي على بغداد وأساء السيرة كما مرّ امتلأت القلوب منه نفرة، فلما قتل ابن رائق أخذ الجند في الفرار عنه والانتقاض عليه ففرّ جحجح الى المتقي واعتزم تورون وأنوش تكين والاتراك على كبس أبي الحسين البريدي . وزحف تورون لذلك في الديلم، فخالفه أنوش تكين في الاتراك، فذهب تورون الى الموصل فقوي بهم ابن حمدان والمتقي وانحدروا الى بغداد، وولى ابن حمدان على أعمال الخراج والضياع بديار مضر،

وهي الرها وحرّان، ولقيا أبا الحسن احمد بن عليّ بن مقاتل، فاقتتلوا وقتل ابن مقاتل، واستولى ابن طباب عليها . ولما وصل المتقي وابن حمدان الى بغداد هرب أبو الحسين ابن البريدي منها الى واسط لثلاثة أشهر وعشرين يوماً من دخوله، واضطربت العامة وكثر النهب، ودخل المتقي وابن حمدان في العساكر في شوّال من السنة . وأعاد أبا اسحاق القراريطي الى الوزارة، وولى تورون على الشرطة . ثم سار اليهم أبو الحسين البريدي، فخرج بنو حمدان للقائهم وانتهوا الى المدائن، فأقام بها ناصر الدولة، وبعث أخاه سيف الدولة وابن عمه أبا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان، فاقتتلوا عنده أياماً وانهزم سيف الدولة أوّلا . ثم أمدّهم ناصر الدولة بالقوّاد الذين كانوا معه وجحجح بالاتراك، وعاودوا القتال فانهزم أبو الحسين الى واسط، وأقصر سيف الدولة عن اتباعه لما أصاب أصحابه من الوهن والجراح . وعاد ناصر الدولة الى بغداد منتصف ذي الحجة . ثم سار سيف الدولة الى واسط وهرب بنو البريدي عنها الى البصرة فملكها وأقام بها .

استيلاء الديلم على اذربيجان

كانت اذربيجان بيد ديسم بن ابراهيم الكردي من أصحاب يوسف بن ابي الساج، وكان أبوه من أصحاب هارون الشاري من الخوارج . ولما قتل هارون لحق باذربيجان وشرد في الاكراد فولد له ديسم هذا فكبر وخدم ابن ابي الساج، وتقدّم عنده الى

أن ملك بعدهم أذربيجان . وجاء السيكري خليفة وشمكير في الجبل سنة ست وعشرين وغلبه على اذربيجان . ثم سار هو الى وشمكير وضمن له طاعة ومالًا، واستمدّه فأمدّه بعسكر من الديلم وساروا معه، فغلب السيكري وطرده وملك البلاد، وكان معظم جيشه الاكراد فتغلبوا على بعض قلاعه، فاستكثر من الديلم وفيهم صعلوك بن محمد بن مسافر بن الفضل وغيرهما، فاستظهر بهم وانتزع من الاكراد ما تغلبوا عليه، وقبض على جماعة من رؤسائهم . وكان وزيره أبو القاسم عليّ بن جعفر قد ارتاب منه، فهرب الى الطرم وبها محمد بن مسافر من أمراء الديلم، وقد انتقض عليه ابناه وهشودان والمرزبان، واستوليا على بعض قلاعه، ثم قبضا على أبيهما محمد وانتزعا أمواله وذخائره وتركاه في حصنه سليباً فريداً . فقصد عليّ بن جعفر المرزبان وأطمعه في أذربيجان، فقلده وزارته وكانت نحلتهما في التَشَيُّع واحدة، لانّ عليّ بن جعفر كان من الباطِنيَّةِ والمرزبان من الديلم وهم شيعة .

وكاتب عليّ بن جعفر أصحاب ديسم واستمالهم واستفسدهم عليه، وخصوصاً الديلم . ثم التفتوا للحرب وجاء الديلم الى المرزبان واستأمن معهم كثير من الاكراد، وهرب ديسم في فَلٍّ من أصحابه الى أرمينية واستجار بجاحق بن الديوانيّ فأجاره وأكرمه، وندم على ما فرط في ابعاد الاكراد وهم على مذهبه في الخارِجيَّة . وملك المرزبان أذْرَبَيْجان واستولى عليها . ثم استوحش منه عليّ

بن جعفر وزير ديسم وتنكّر له أصحاب المرزبان، فأطمعه المرزبان بأخذ أموالهم وحملهم على طاعة ديسم، وقتل الديلم عندهم من جند المرزبان ففعلوا . وجاء ديسم فلكها وفرّ اليه من كان عند المرزبان حتى اشتدّ عليه الحصار، واستصلح اثناء ذلك الوزير علي ابن جعفر . ثم خرجوا من توزير، ولحق ديسم بأردبيل، وجاء علي ابن جعفر الى المرزبان . ثم حاصر المرزبان اردبيل حتى نزل له ديسم علي الامان وملكها صلحاً . وملك توزير كذلك ووفى له، ثم طلب ديسم أن يبعثه الى قلعته بالطرم، فبعثه بأهله وولده وأقام هنالك .

خبر سيف الدولة بواسط

لما فرّ بنو البريدي عن واسط الى البصرة، ونزل بها سيف الدولة أراد الانحدار خلفهم لانتزاع البصرة منهم، واستمدّ أخاه ناصر الدولة فأمدّه بمال مع أبي عبدالله الكوفي . وكان تورون وجحجح يستطيلان عليه، فأراد الاستئثار بالمال فردّه سيف الدولة مع الكوفي الى أخيه وأذن لتورون في مال الجامدة، ولجحجح في مال المذار . وكان من قبل يراسل الاتراك وملك الشام ومصر معه فلا يجيبونه . ثم ثاروا عليه في شعبان من سنة احدى وثلاثين، فهرب من معسكره ونهب سواده وقتل جماعة من أصحابه . وكان ناصر الدولة لما أخبره أبو عبدالله الكوفي بخبر أخيه في واسط برز يسير الى الموصل وركب اليه المتقي يستمهله، فوقف حتى

عاد وأغذ السير لثلاثة عشر شهراً من امارته فثار الديلم والاتراك ونهبوا داره، ودبر الامور أبو اسحاق القراريطي من غير لقب الوزارة.

وعزل أبو العباس الاصبهاني لاحد وخمسين يوماً من وزارته. ثم تنازع الامارة بواسط بعد سيف الدولة تورون وجحجح، واستقرّ الحال ان يكون تورون أميراً وجحجح صاحب الجيش. ثم طمع ابن البريدي في واسط وأصعد اليها، وطلب من تورون أن يضمنه اياها فردّه ردّاً جميلا. وكان قد سار جحجح لمدافعته فمرّ به الرسول في طريقه وحادثه طويلًا، وسعى الى تورون بأنه لحق بابن البريدي فأسرى اليه وكبسه منتصف رمضان، فقبض عليه وجاء به الى واسط فسمله، وبلغ الخبر الى سيف الدولة، وكان لحق بأخيه، فعاد الى بغداد منتصف رمضان، وطلب المال من المتقي لمدافعه تورون. فبعث أربعمائة ألف درهم وفرّقها في أصحابه وظهر له من كان مستخفياً ببغداد. وجاء تورون من واسط بعد ان خلف بها كيغلغ. فلما أحس به سيف الدولة رحل فيمن انضم اليه من أجناد واسط وفيهم الحسن بن هارون، وسار الى الموصل ولم يعاود بنو حمدان بعدها بغداد.

امارة تورون ثم وحشته مع المتقي

لما سار سيف الدولة عن بغداد دخلها تورون آخر رمضان سنة احدى وثلاثين، فولاه المتقي أمير الامراء، وجعل النظر في

الوزارة لابي جعفر الكرخي، كما كان الكوفي . ولما سار تورون عن واسط خالفه اليها البريدي فملكها . ثم انحدر تورون أوّل ذي القعدة لقتل البريدي، وقد كان يوسف بن وجيه صاحب عُمان سار في المراكب الى البصرة، وحارب ابن البريدي حتى أشرفوا على الهلاك . ثم احترقت مراكب عُمان بحيلة دبّرها بعض الملّاحين، ونهب منها مال عظيم . ورجع يوسف بن وجيه مهزوماً في المحرم سنة اثنتين وثلاثين . وهرب في هذه الفتنة أبو جعفر بن شيرزاد من تورون فاشتمل عليه، وكان تورون عند اصعاده من بغداد استخلف مكانه محمد بن ينال الترجمان . ثم تنكر له فارتاب محمد وارتاب الوزير أبو الحسن بن مقلة بمكان ابن شيرزاد من تورون، وخافا غائلته وخوّفا المتقي كذلك، وأوهماه أن البريدي ضمنه من تورون بخمسمائة ألف دينار التي أخذها من تركة بجكم، وأنّ ابن شيرزاد جاء عن البريدي ليخلعه ويسلمه، فانزعج لذلك وعزم على المسير الى ابن حمدان، وكتبوا اليه أن ينفذ عسكراً يسير صحبته .

مسير المتقي الى الموصل

ولما تمت سعاية ابن مقلة وابن ينال بتورون مع المتقى اتفق وصول ابن شيرزاد الى بغداد أول اثنتين وثلاثين في ثلثمائة فارس، وأقام بدست الامر والنهي لايعرج على المتقى في شيء . وكان المتقي قد طلب من ناصر الدولة بن حمدان عسكراً يصحبه الى الموصل فبعثهم ابن عمه ابو عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان، فلما وصلوا بغداد اختفى ابن شيرزاد وخرج المتقي اليهم في حرمه

وولده، ومعه وزيره وأعيان دولته مثل سلامة الطولوني وأبي زكريا يحيى بن سعيد السوسي وابي محمد الماردانی وأبي اسحاق القراريطي وأبي عبدالله الموسوي وثابت بن سنان بن ثابت بن قرّة الطبيب، وأبي نصر بن محمد بن ينال الترجمان، وساروا الى تكريت وظهر ابن شيرزاد في بغداد، وظلم الناس وصادرهم وبعث الى تورون في واسط بخبر المتقي فعقد ضمان واسط على ابن البريدي، وزوّجه ابنته، وسار الى بغداد .

وجاء سيف الدولة الى المتقي بتكريت . ثم بعث المتقي إلى ناصر الدولة يستحثه، فوصل اليه في ربيع الآخر، وركب المتقي من تكريت الى الموصل، وأقام هو بتكريت . وسار تورون لحربه فتقدم اليه أخوه سيف الدولة فاقتتلوا أياما . ثم انهزم سيف الدولة، وغنم تورون سواده وسواد أخيه، ولحقوا بالموصل، وتورون في اتباعهم . ثم ساروا عنها مع المتقي الى نَصِيبين، ودخل تورون الموصل ولحق المتقي بالرقة، وراسل تورون بأنّ وحشته لاجل ابن البريدي، وان رضاه في اصلاح بني حمدان، فصالحهما تورون وعقد الضمان لناصر الدولة على ما بيده من البلاد لثلاث سنين بثلاثة آلاف وستمائة ألف درهم لكل سنة، وعاد تورون الى بغداد وأقام المتقي وبنو حمدان بالرقّة .

مسير ابن بويه الى واسط وعوده عنها ثم استيلاؤه عليها

كان معزّ الدولة بن بويه بالاهواز، وكان ابن البريدي يطمعه

في كل وقت في ملك العراق، وكان قد وعده أن يمده إلى واسط . فلما أصعد تورون الى الموصل خالفه معز الدولة الى واسط وأخلف ابن البريدي وعده في المدد . وعاد تورون من الموصل الى بغداد وانحدر منها للقاء معز الدولة منتصف ذي القعدة من سنة اثنتين وثلاثين، واقتتلوا بقباب حميد بضعة عشر يوماً . ثم تأخر تورون الى نهر ديالي فعبره ومنع الديلم من عبوره بمن كان معه من المقاتلة في الماء، وذهب ابن بويه ليصعد ويتمكن من الماء، فبعث تورون بعض أصحابه فعبروا ديالي وكمنوا له حتى اذا صار مصعداً خرجوا عليه على غير اهبه، فانهزم هو ووزيره الصهيري وأسر منهم أربعة عشر قائداً، واستأمن كثير من الديلم الى تورون، ولحق ابن بويه والصهيري بالسوس . ثم عاد الى واسط ثانية فملكها ولحق أصحاب بني البريدي بالبصرة .

قتل ابن البريدي اخاه ثم وفاته

كان أبو عبدالله بن البريدي قد استهلك أمواله في هذه النوائب التي تنوبه، واستقرض من أخيه أبي يوسف مرّة بعد مرّة، وكان أثرى منه ومال الجند اليه لثروته . وكان يعيب على أخيه تبذيره وسوء تدبيره. ثم نمي الخبر اليه أنه يريد المكر به والاستبداد بالامر . وتنكر كل واحد منهما للآخر، ثم أكمن أبو عبدالله غلمانه في طريق أبي يوسف فقتلوه، وشغب الجند لذلك فأراهم شلوه فافترقوا ودخل دار أخيه وأخذ ما فيها من الاموال، وجواهر

نفيسة كان باعها له بخمسين الف درهم، وكان أصلها ليحكم وهبها لبنته حين زوّجها له، وأخذها يحكم من دار الخلافة، فاحتاج اليها أبو عبدالله بعد فباعها له وبخسه أبو يوسف في قيمتها. وكان ذلك من دواعي العداوة بينهما. ثم هلك أبو عبدالله بعد مهلك أخيه بثمانية أشهر وقام بالامر بعده بالبصرة أخوهما أبو الحسن، فأساء السيرة في الجند فثاروا به ليقتلوه. فهرب منهم الى هجر مستجيراً بالقرامطة وولوا عليهم بالبصرة أبا القاسم ابن أخيه أبي عبدالله وأمدّ أبو طاهر القرمطي أبا الحسن، وبعث معه أخويه لحصار البصرة فامتنعت عليهم وأصلحوا بين أبي القاسم وعمه، ودخل البصرة وسار منها الى تورون ببغداد. ثم طمع يأنس مولى أبي عبدالله في الرياسة وداخل بعض قوّاد الديلم في الثورة بأبي القاسم. واجتمع الديلم الى القائد وبعث أبو القاسم واليه يأنس فهم به ليفرد بالامر، فهرب يأنس واختفى وتفرّق الديلم واختفى القائد. ثم قبض عليه ونفاه، وقبض على يأنس بعد أيامٍ وصادره على مائة ألف دينار وقتله. ولما قدم أبو الحسين البريدي الى بغداد مستأمناً الى تورون فأمنه وطلب الامداد على ابن أخيه، وبذل في ذلك أموالاً. ثم بعث ابن أخيه من البصرة بالاموال، فأقرّه على عمله وشعر أبو الحسن بذلك فسعى عند ابن تورون في ابن شيرزاد الى أن قبض عليه، وضرب واستظهر أبو عبدالله بن أبي موسى الهاشمي بفتاوى الفقهاء والقضاة بإباحة دم أبي الحسين، كانت عنده من أيام ناصر الدولة،

وأحضروا بدار المتقي وسئلوا عن فتاويهم، فاعترفوا بأنهم أفتوا بها، فقتل وصلب ثم أحرق ونهب داره. وكان ذلك منتصف ذي الحجة من السنة وكان ذلك آخر أمر البريديين.

الصوائف ايام المتقي

خرج الروم سنة ثلاثين أيام المتقي وانتهوا الى قرب حلب، فعاثوا في البلاد وبلغ سبيهم خمسة آلاف. وفيها دخل ثمل من ناحية طرسوس، فعاث في بلاد الروم وامتلأت أيدي عسكره من الغنائم وأسر عدّة من بطارقتهم. وفي سنة احدى وثلاثين بعث ملك الروم الى المتقي يطلب منه منديلًا في بيعة الرها زعموا أنّ المسيح مسح به وجهه، فارتسمت فيه صورته، وأنه يطلق فيه عدداً كثيراً من أسرى المسلمين، واختلف الفقهاء والقضاة في اسعافه بذلك، وفيه غضاضة أو منعه ويبقى المسلمون بحال الاسر. فأشار عليه وعلى ابن عيسى باسعافه لخلاص المسلمين فأمر المتقي بتسليمه اليهم. وبعث الى ملك الروم من يقوم بتسليم الاسرى. وفي سنة اثنتين وثلاثين خرجت طوارق من الروس [1] في البحر الى نواحي أذربيجان ودخلوا في نهر الكز الى بردعة، وبها نائب المرزبان ابن محمد بن مسافر ملك الديلم بأذربيجان، فخرج في جوع الديلم والمطوعة فقتلوهم، وقاتلوهم فهزمهم الروس وملكوا البلد، وجاءت العساكر الاسلامية من كل ناحية لقتالهم فامتنعوا بها، ورماهم بعض العامة

(١) الروس هم المسمون الآن بالموسكو وهم عدد كثير. اهـ. من خط الشيخ العطار.

بالحجارة فأخرجوهم من البلد وقاتلوا من بقي ، وغنموا أموالهم واستبدّوا بأولادهم ونسائهم .

واستنفر المرزبان الناس وزحف اليهم في ثلاثين الفاً، فقاتلوهم فامتنعوا عليه فأكمن لهم بعض الايام فهزمهم وقتل اميرهم، ونجا الباقون الى حصن البلد ، وحاصرهم المرزبان وصابرهم . ثم جاءه الخبر بأنّ ابا عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان بلغ سلماس متوجهاً الى اذربيجان ، بعثه اليها ابن عمه ناصر الدولة ليتملكها فجهز عسكراً لحصار الروس في بردعة ، وسار الى قتال ابن حمدان . فارتحل ابن حمدان راجعاً الى ابن عمه باستدعائه بالانحدار الى بغداد لما مات تورون واقام العسكر على حصار الروس ببردعة ، حتى هربوا من البلد وحملوا ما قدروا عليه، وطهر الله البلد منهم، وفيها ملك الروم رأسُ عين واستباحوها ثلاثاً وقاتلهم الاعراب ففارقوها .

الولايات ايام المتقي

قد تقدم لنا انه لم يكن بقي في تصريف الخليفة إلّا أعمال الاهواز والبصرة وواسط والجزيرة والموصل لبني حمدان . واستولى معز الدولة على الاهواز ثم على واسط، وبقيت البصرة بيد أبي عبدالله بن البريدي واستولى على بغداد مع المتقي بجكم، ثم ابن البريدي، ثم تورتكين الديلمي، ثم ابن رائق ثانية، ثم ابن البريدي ثانية، ثم حمدان، ثم تورون . يختلفون على المتقي واحداً بعد واحد، وهو متغلب لهم والحل والعقد والابرام والنقض بأيديهم، ووزير

الخليفة عامل من عمالهم متصرّف تحت أحكامهم. وآخر من دبّر الامور أبو عبدالله الكوفي كاتب تورون، وكان قبله كاتب ابن رائق، وكان على الحجبة بدر بن الجرسي، فعزله عنها سنة ثلاثين وجعل مكانه سلامة الطولوني، وولي بدر طريق القرات ففزع الى الاخشيذ واستأمن اليه، فولاه دمشق. وكان من المستبدين في النواحي يوسف بن وجيه، وكان صاحب الشرطة ببغداد أبا العباس الديلمي.

خلع المتقي وولاية المستكفي

لم يزل المتقي عند بني حمدان من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين الى آخر السنة، ثم آنس منهم الضجر واضطرّ لمراجعة تورون، فأرسل اليه الحسن بن هارون وأبا عبدالله بن أبي موسى الهاشمي في الصلح، وكتب الى الاخشيذ محمد بن طغج صاحب مصر يستقدمه، فجاءه وانتهى الى حلب وبها أبو عبدالله بن سعيد بن حمدان من قبل ابن عمه ناصر الدولة، فارتحل عنها وتخلف عنه ابن مقاتل. وقد كان صادره ناصر الدولة على خمسين الف دينار، فاستقدم الاخشيذ وولاه خراج مصر. وسار الاخشيذ من حلب ولقي المتقي بالرقّة وأهدى اليه والى الوزير بن الحسين بن مقلة وسائر الحاشية، واجتهد به أن يسير معه الى مصر ليقيم خلافته هنالك، فأبى فخوّفه من تورون فلم يقبل.

وأشار على ابن مقلة أن يسير معه الى مصر فيحكمه في

البلاد فأبى، وكانوا ينتظرون عود رسلهم من تورون، فبعثوا إليهم بيمين تورون والوزير ابن شيرزاد بمحضر القضاة والعدول والعباسيين والعلويين وغيرهم من طبقات الناس . وجاء الكتاب بخطوطهم بذلك وتأكيد اليمين ففارق المتقي الاخشيذ وانحدر من الوقت في الفرات آخر المحرم سنة ثلاث وثلاثين، ولقيه تورون بالسندية فقبل الارض وقال : قد وفيت بيميني، ووكل به وبأصحابه وأنزله في خيمته . ثم سلمه لثلاث سنين ونصف من خلافته، وأحضر أبا القاسم عبدالله بن المكتفي فبايعه الناس على طبقاتهم ولقب المستكفي، وجيء بالمتقي فبايعه وأخذت منه البردة والقضيب واستوزر أبا الفرج محمد بن علي السامري، فكان له اسم الوزارة على سنن من قبله، والامور راجعة لابن شيرزاد كاتب تورون. ثم خلع المستكفي على تورون وتوجه وحبس المتقي، وطلب أبا القاسم الفضل ابن المقتدر الذي لقب فيما بعد بالمطيع، فاختفى سائر أيامه وهدمت داره .

وفاة تورون وامارة ابن شيرزاد

وفي المحرم من سنة أربع وثلاثين وثلثمائة مات تورون ببغداد لست سنين وخمسة أشهر من امارته، وكان ابن شيرزاد كاتبه أيامه كلها، وبعثه قبل موته لاستخلاص الاموال من هيت . فلما بلغه خبر الوفاة عزم على عقد الامارة لناصر الدولة بن حمدان، فأبى الجند من ذلك واضطربوا وعقدوا له الرياسة عليهم، واجتمعوا

عليه وحلفوا وبعث الى المستكفي ليحلف له، فأجابه وحلف له بحضرة القضاة والعدول. ودخل اليه ابن شيرزاد فولاه أمير الامراء، وزاد في الارزاق زيادة متَّسِعَةً فضاقت عليه الاموال فبعث أبا عبدالله بن ابي موسى الهاشمي الى ابن حمدان يطالبه بالمال ويعده بامارة الامراء، فأنفذ اليه خمسمائة الف درهم وطعاماً. وفرّقها في الجند فلم تكف ففرض الاموال على العمال والكتاب والتجّار لارزاق الجند، ومدّت الايدي الى أموال الناس، وفشا الظلم وظهرت اللصوص وكبسوا المنازل، وأخذ الناس في الخلاص من بغداد. ثم استعمل على واسط نيال كوشه، وعلى تكريت الفتح السيكري، فسار الى ابن حمدان ودعا له شكراً فولاه عليها من قبله.

استيلاء معز الدولة بن بويه على بغداد واندراج احكام الخلافة في سلطانهم

قد تقدّم لنا استبداد أهل النواحي على الخلافة منذ أيام المتوكل، ولم يزل نطاق الدولة العباسية يتضايق شيئاً فشيئاً. وأهل الدولة يستبدّون واحداً بعد واحد الى أن أحاطوا ببغداد وصاروا ولاة متعدّدة يفرد كل واحد منهم بالذكر وسياقة الخبر الى آخرها. وكان من أقرب المستبدين الى مقر الخلافة بنو بويه بأصبهان وفارس ومعزّ الدولة منهم بالأهواز. وقد تغلب على واسط ثم انتزعت منه، وبنو حمدان بالموصل والجزيرة، وقد تغلّب على هيت، وصارت تحت ملكهم، ولم يبق للخلفاء الا بغداد ونواحيها ما بين

دجلة والفرات، وأمراؤهم مع ذلك مستبدّون عليهم، ويسمون القائم بدولتهم أمير الامراء كما مرّ في أخبارهم الى ان انتهى ذلك الى دولة المتقي، والقائم بها ابن شيرزاد. وولى على واسط نيال كوشه كما قلنا، فانحرف عن ابن شيرزاد، وكاتب معزّ الدولة، وقام بدعوته في واسط واستدعاه لملك بغداد. فزحف في عساكر الديلم اليها، ولقيه ابن شيرزاد والاتراك وهربوا الى ابن حمدان بالموصل، واختفى المستكفي وقدّم معزّ الدولة كاتبه الحسن بن محمد المهلبي الى بغداد، فدخلها وظهر الخليفة فظهر عنده المهلبي وجدد له البيعة عن معز الدولة أحمد بن بويه، وعن أخويه عماد الدولة عليّ وركن الدولة الحسَن. وولاهم المستكفي على أعمالهم ولقبهم بهذه الالقاب، ورسمها على سِكَّتِهِ. ثم جاءه معزّ الدولة الى بغداد وملكها، وصرف الخليفة في حكمه، واختص باسم السلطان. فبقيت أخبار الدولة تؤثر عنهم، وان كان منها ما يختص بالخليفة فقليل. فلذلك صارت أخبار هؤلاء الخلفاء منذ المستكفي الى المتقي مندرجة في أخبار بني بويه والسلجوقية من بعدهم لعطلهم من التصرّف إلّا قليلًا يختصّ بالخلفاء نحن ذاكروه، ونرجىء بقية أخبارهم الى أخبار الديلم والسلجوقية الغالبين على الدولة عندما نفرد دولتهم كما شرطناه.

الخبر عن الخلفاء من بني العباس المغلبين لدولة بني بويه من السلجوقية من بعدهم من لدن المستكفي الى المتقي وما لهم من الاحوال الخاصة بهم ببغداد ونواحيها

لما دخل معز الدولة بن بويه الى بغداد غلب على المستكفي وبقي في كفالته، وكان المستكفي في سنة ثلاث وثلاثين قبلها قبض على كاتبه أبي عبدالله بن أبي سليمان، وعلى أخيه، واستكتب أبا أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي في خاص أمره وكان قبله كاتباً لابن حمدان، وكان يكتب للمستكفي قبل الخلافة. فلما نصب للخلافة قدم من الموصل فاستكتبه المستكفي في هذه السنة على وزيره أبي الفرج لاثنتين وأربعين يوماً من وزارته، وصادره على ثلثمائة ألف درهم. ولما استولى معزّ الدولة ببغداد على الامر بعث أبو القاسم البريدي صاحب البصرة، ضمن واسط وأعمالها وعقد له عليها.

خلع المستكفي وبيعة المطيع

وأقام المستكفي بعد استيلاء معزّ الدولة على الامر أشهراً قلائل، ثم بلغ معز الدولة أنّ المستكفي يسعى في اقامة غيره، فتنكر له ثم أجلسه في يوم مشهود لحضور رسول من صاحب خراسان، وحضر هو في قومه وعشيرته وأمر رجلين من نقباء الديلم جاءا ليقبلا يد المستكفي. ثم جذباه عن سريره وساقاه ماشياً. وركب معز الدولة وجاء به الى داره فاعتقله بها،

واضطرب الناس وعظم النهب ونهب دار الخلافة وقبض على أبي أحمد الشيرازي كاتب المستكفي، وكان ذلك في جمادى الآخرة لسنة وأربعة أشهر من خلافته .

ثم بويع أبو القاسم الفضل بن المقتدر، وقد كان المستكفي طلبه حين ولي لاطلاعه على شأنه في طلب الخلافة فلم يظفر به واختفى . فلما جاء معز الدولة تحوّل الى داره واختفى عنده، فلما قبض على المستكفي بويع له ولقب المطيع لله . ثم أحضر المستكفى عنده فأشهد على نفسه بالخلع، وسلم عليه بالخلافة ولم يبق للخليفة من الامر شيء البتة منذ أيام معز الدولة . ونظر وزير الخليفة مقصور على اقطاعه ونفقات داره، والوزارة منسوبة الى معز الدولة وقومه من الديلم شيعة للعلوية منذ اسلامهم على يد الاطروش، فلم يكونوا من شيعة العبّاسية في شيء، ولقد يقال بأن معز الدولة اعتزم على نقل الخلافة منهم الى العلوية، فقال له بعض أصحابه لا تولّ أحداً يشركك قومك كلهم في محبته والاشتمال عليه، وربما يصير لهم دونك، فأعرض عن ذلك وسلبهم الامر والنهي وتسلّم عمّاله وجنده من الديلم وغيرهم أعمال العراق وسائر أراضيه . وصار الخليفة انما يتناول منه ما يقطعه معزّ الدولة ومن بعده فيما يسدّ بعض حاجاته . نعم انهم كانوا يفردونهم بالسرير والمنبر والسكة والختم على الرسائل والصكوك والجلوس للوفد، واجلالهم في التحية والخطاب، وكل ذلك طوع القائم على الدولة وكان يفرد في كل

دولة بني بويه والسلجوقية بلقب السلطان، مما لا يشاركه فيه أحد، ومعنى الملك من تصريف القدرة واظهار الابهة والعز حاصل له دون الخليفة وغيره، وكانت الخلافة حاصلة للعباسيّ المنصوب لفظاً المسلوب معنى، والله المدبر للامور لا اله غيره .

انقلاب حال الدولة بما تجدد في الجباية والاقطاع

لما استولى معزّ الدولة طلب الجند أرزاقهم على عادتهم وأكثر لسبب ما تجدّد من الاستيلاء الذي لم يكن له، فاضطرّ الى ضرب المكوس وأخذ أموال الناس من غير وجهها، وأقطع قوّاده وأصحابه من أهل عصبيته وغير المساهمين له في الامر جميع القوى التي بجانب السلطان فارتفعت عنها أيدي العمال، وبطلت الدواوين واختلف حال القرى في العمارة عما كان في أيدي القوّاد والرؤساء، حصل بهم لاهلها الرفق فزادت عمارتها وتوفر دخلها . ولم تكن مناظرتهم في ذلك ولا تقديره عليهم، وما كان بأيدي العامة والاتباع عظم خرابه لما كان يعدم من الغلاء والنهب واختلاف الايدي وما يزيد الآن من الظلم ومصادرات الرعايا والحيف في الجباية واهمال النظر في تعديل القناطر والمشارب، وقسم المياه على الارضين . فاذا خربت قراهم ردوها وطلبوا العوض عنها فيصير الآخر منها لما صار اليه الاول . ثم أمر معزّ الدولة قوّاده وأصحابه بحماية الاقطاع والضياع وولاتها، وصارت الجبايات لنظرهم والتعويل في المرتفع على أخبارهم . فلا يقدر أهل الدواوين والحسابات على تحقيق

ذلك عليهم، ولم يقف عند ذلك على غاية. فبطلت الاموال وصار جمها من المكوس والظلامات، وعجز معز الدولة عن ذخيرة يمدّها لنوائب سلطانه. ثم استكثر من الموالي الاتراك ليجدع بهم من أنوف قومه، وفرض لهم الارزاق وزاد لهم الاقطاع، فعظمت غيرة قومه من ذلك وآل الامر الى المنافرة كما هو الشأن في طبيعة الدول.

دولة بني حمدان

مسير ابن حمدان الى بغداد

ولما استولى معزّ الدولة على بغداد، وخلع المستكفي بلغ الخبر الى ناصر الدولة بن حمدان، فشق ذلك عليه، وسار من الموصل الى بغداد وانتهى الى سامرا في شعبان سنة أربع. وكان معزّ الدولة حين سمع قدوم عساكره[1] مع ينال كوشه وقائد آخر،

(١) العبارة مرتبكة، وهي بظاهرها الحالي تدل على أن كوشة من قواد ناصر الدولة وهو من قواد المعز كما مر عندما انحرف هذا القائد عن ابن شيرزاد، وكاتب معز الدولة وقام بدعوته في واسط، واستدعاه لملك بغداد. ويظهر فيما بعد أنه أصبح من قواد ناصر الدولة. وفي الفصل كله اضطراب وقلق وفي الكامل لابن الأثيرج ٦ ص ٢١٦: وفي بعض الليالي عبر ناصر الدولة في ألف فارس لكبس معز الدولة فلقيهم اسفهدوست فهزمهم. وكان من أعظم الناس شجاعة، وضاق الأمر بالديلم حتى عزم معز الدولة على العود الى الاهواز وقال: نعمل معهم حيلة هذه المرة فإن أفادت وإلا عدنا، فرتب ما معه من المعابر بناحية التمارين، وأمر وزيره أبا جعفر الصيمري واسفهدوست بالعبور. ثم أخذ معه باقي العساكر وأظهر أنه يعبر في قطربل. وسار ليلاً ومعه المشاعل على شاطىء دجلة فسار أكثر عسكر ناصر الدولة بإزائه ليمنعوه من العبور. فتمكن الصيمري واسفهدوست من العبور فعبروا وتبعهم اصحابهم، فلما علم معز الدولة بعبور اصحابه عاد إلى مكانه فعلموا بحيلته فلقيهم ينال كوشه في جماعة أصحاب ناصر الدولة فهزموه، واضطرب =

فقتل القائد ولحق بناصر الدولة . وجاء ناصر الدولة الى بغداد، فأقام بها وخالفه معزّ الدولة الى تكريت فنهبها لانها من أعماله. ثم عاد معز الدولة والمطيع فنزلوا بالجانب الغربي من بغداد، وقاتلوا ناصر الدولة بالجانب الشرقي وتقدّم ناصر الدولة الى الاعراب بالجانب الغربي بقطع الميرة عن معزّ الدولة، فغلت الاسعار وعزت الاقوات، ومنع ناصر الدولة من الخطبة للمطيع والمعاملة بسكّته، ودعا للمتقي وبيَّت معز الدولة مراراً . وضاق الامر به، واعتزم على ترك بغداد والعود الى الاهواز .

ثم أظهر الرحيل ذات ليلة، وأمر وزيره أبا جعفر الصهيري [(١)] بالعبور في أكثر العساكر، وأقام بالكينة مكانه وجاء ينال شوكه لقتاله فانهزم واضطرب عسكر ناصر الدولة وأجفلوا، وغنم الديلم أموالهم وأظهرهم . ثم امن معز الدولة الناس وعاد المطيع الى داره في محرّم سنة خمس وثلاثين وقام التوزونية عليه، فلما شعروا به نكروه وهموا بقتله فأسرى هارباً ومعه ابن شيرزاد، وفرّ الى الجانب الغربي . ثم لحق بالقرامطة فأجاروه وبعثوه الى الموصل .

= عسكر ناصر الدولة، وملك الديلم الجانب الشرقي، وأعيد الخليفة إلى داره في المحرم سنة خمس وثلاثين، وغنم الديلم ونهبوا أموال الناس ببغداد. فكان مقدار ما غنموه ونهبوه من أموال المعروفين دون سواهم عشرة آلاف دينار. وأمرهم معز الدولة برفع السيف، والكف عن النهب، وأمن الناس فلم ينتهوا. فأمر وزيره أبا جعفر الصيمري فركب وقتل وصلب جماعة وطاف بنفسه فامتنعوا. واستقر معز الدولة ببغداد، وأقام ناصر الدولة بعكبرا، وأرسل في الصلح بغير مشورة من الأتراك التوزونية فهموا بقتله، فسار عنهم مجداً نحو الموصل؛ ثم استقر الصلح بينه وبين معز الدولة في المحرم سنة خمس وثلاثين.

(١) كذا وفي الكامل ج ٦ ص ٣١٦: الصيمري.

ثم استقرّ الصلح بينه وبين الدولة كما طلب، ولما فرّ عن الاتراك اتفقوا على تكين الشيرازي فولوه عليهم وقبضوا على من تخلف من كتابه وأصحابه، وساروا في اتباعه الى نصيبين، ثم الى سنجار، ثم الى الحديثة، ثم إلى السن . ولحق هنالك عسكر معزّ الدولة مع وزيره أبي جعفر الصهيري، وقد كان استمدّه ناصر الدولة . وسار ناصر الدولة وابن الصهيري الى الموصل، فنزلوا عليها، وأخذ الصهيري من ناصر الدولة ابن شيرزاد وحمله الى معز الدولة وذلك سنة خمس وثلاثين .

استيلاء معز الدولة على البصرة

وفي هذه السنة انتقض ابو القاسم البريدي بالبصرة، فجهز معز الدولة الجيش وجماعة أعيانهم الى واسط ولقيهم جيش بن البريدي في الماء على الظهر، فانهزموا الى البصرة وأسروا من أعيانهم جماعة. ثم سار معز الدولة سنة ست وثلاثين الى البصرة ومعه المطيع لاستنقاذها من يد أبي القاسم بن البريدي وسلكوا اليها البرية، فبعث القرامطة يعذلون في ذلك معزّ الدولة فكتب يهدّدهم . ولما قارب البصرة استأمنت اليه عساكر أبي القاسم، وهرب هو الى القرامطة فأجاروه، وملك معزّ الدولة البصرة . ثم سار منها الى الأهواز لتلقي أخيه عماد الدولة، وترك المطيع وأبا جعفر الصهيري بالبصرة ولقي أخاه بأرّجان . ثم عاد الى بغداد والمطيع معه، وأراد السير الى الموصل فأرسل اليه ناصر الدولة في الصلح

وحمل المال فتركه. ثم انتقض سنة سبع وثلاثين، فسار اليه معزّ الدولة، وملك الموصل، ولحق ناصر الدولة بنصيبين، وأخذ معز الدولة في ظلم الرعايا وعسفهم. ثم بعث اليه اخوه ركن الدولة باصبهان بأنّ عسكر خراسان قصد جرجان والريّ، واستمدّه فاضطرّ معز الدولة الى صلح ناصر الدولة عن الموصل والجزيرة وما ملكه سيف الدولة من الشام دمشق وحلب على ثمانية آلاف ألف درهم، ويخطب لعماد الدولة وركن الدولة ومعزّ الدولة بني بويه، فاستقرّ الصلح على ذلك وعاد الى بغداد.

ابتداء امر بني شاهين بالبطيحة

كان عمران بن شاهين من أهل الجامدة، وحصلت عنده جبايات، فهرب الى البطيحة خوفاً من الحكام، وأقام بين القصب والآجام يقتات بصيد السمك والطير وكشف سابلة البطيحة. واجتمع عليه جماعة من الصيادين واللصوص. ثم اشتدّ خوفه فاستأمن الى أبي القاسم بن البريدي صاحب البصرة نقله جماعة الجامدة ونواحي البطائح. وجمع السلاح واتخذ مقاتل على تلال البطيحة وغلب على نواحيها، وسرّح معز الدولة وزيره أبا جعفر الصهيري سنة ثمان وثلاثين فقاتله وهرب واستأمن أهله وعياله. ثم جاء الخبر الى معزّ الدولة بموت أخيه عماد الدولة بفارس، واضطراب احواله بها. فكتب الى الصهيري بالفرار الى شيرزاد لاصلاح الامور، فسار اليها وعاد عمران بن شاهين الى البطيحة،

واجتمع اليه اصحابه وقوي أمره . وبعث معز الدولة الى قتاله روزبهان من أعيان عسكره، فأطال حصاره في مضايق البطيحة. ثم ناجزه الحرب فهزمه عمران وهرب عسكره وصار أصحابه يطلبون البَذْرَقَة والخفارة من جند السلطان في السابلة، وانقطع طريق البصرة الا على الظهر.

وكان الصهيري قد هلك وولى مكانه المهلّبي، فكتب معزّ الدولة الى المهلبي وهو بالبصرة، فصعد الى واسط وأمدّه بالقوّاد والسلاح، وأطلق يده في الانفاق. فزحف الى البطيحة وضيق على عمران فانتهى الى مضايق خفية، واشار عليه روزبهان بمعاجلة القوم، وكتب الى معز الدولة يشكو المطاولة من المهلبي، فكتب اليه معز الدولة بالاستبطاء، فبادر الى المناجزة وتوغل في تلك المضايق، فانهزم وقتل من اصحابه واسر ونجا هو سباحة في الماء، وأسر عمران اكابر القوّاد حتى صالحه معز الدولة وقلده البطائح واطلق له اهله على ان يطلق القواد الذين في اسره فأطلقهم.

موت الصهيري ووزارة المهلبي

كان ابو جعفر محمد بن احمد الصهيري وزيراً لمعز الدولة، وكان قد سار لقتال عمران واستخلف مكانه ابا محمد الحسن بن محمد المهلبي، فعرفت كفايته واصلاحه وامانته وتوفي ابو جعفر الصهيري محاصراً لعمران، فولى معز الدولة مكانه ابا محمد المهلبي، فأحسن السيرة وازال المظالم وخصوصاً عن البصرة فكان فيها

شغب كثيرة من المظالم من ايام ابي البريدي، وتنقل في البلاد لكشف المظالم وتخليص الحقوق، فحسن اثره ونقم عليه معز الدولة بعض الامور، فنكبه سنة احدى واربعين وحبسه في داره ولم يعزله .

حصار البصرة

قد تقدّم لنا أن القرامطة أنكروا على معزّ الدولة مسيره الى البصرة على بلادهم، وذكرنا ما دار بينهم في ذلك . ولما علم يوسف ابن وجيه استيحاشهم بعث اليهم يطمعهم في النصرة، واستمدّهم فأمدّوه . وسار في البحر سنة احدى وأربعين، وبلغ الخبر الى الوزير المهلبي، وقد قدم من شأن الاهواز . فسار الى البصرة وسبق اليها ابن وجيه، وقاتله فهزمه وظفر بمراكبه .

استيلاء معز الدولة على الموصل وعوده

قد تقدّم لنا صلح معزّ الدولة مع ناصر الدولة على الفى الف درهم كل سنة . فلما كانت سنة سبع وأربعين خرج وحمل المال، فسار معز الدولة الى الموصل في جمادي ومعه وزيره المهلبي، فاستولى على الموصل ولحق ناصر الدولة بنصيبين ومعه كتابه وجميع أصحابه وحاشيته، ومن يعرف وجوه المنافع، وأنزلهم في قلعة كواشي وغيرها . وأمر الاعراب بقطع الميرة عن الموصل، فضاقت الابواب على عسكر معزّ الدولة . فسار عن الموصل الى نصيبين، واستخلف عليها سبكتكين الحاجب الكبير، وبلغه في طريقه أنّ أولاد ناصر

الدولة بسنجار في عسكر، فبعث عسكراً فكبسوهم واشتغلوا بالنهب، فعاد اليهم أولاد ناصر الدولة وهم غازون فاستلحموهم، وسار ناصر الدولة عن نصيبين الى ميافارقين . ورجع أصحابه الى معزّ الدولة مستأمنين، فسار هو الى أخيه سيف الدولة بحلب فتلقاه وأكرمه وتراسلوا في الصلح على ألفي ألف درهم وتسعمائة ألف درهم، واطلاق من أسر بسنجار، وان يكون ذلك في ضمان سيف الدولة فتمّ بينهما، وعاد معز الدولة الى العراق في محرّم سنة ثمان وأربعين .

بناء معز الدولة ببغداد

أصاب معز الدولة سنة خمسين مرض اشفى منه حتى وصّى، واستوخم بغداد فارتحل الى كلواذا ليسير الى الاهواز، وأسف أصحابه لمفارقة بغداد، فأشاروا عليه ان يبني لسكناه في أعاليها . فبنى داراً أنفق عليها ألف ألف دينار، وصادر فيها جماعة من الناس .

ظهور الكتابة على المساجد

كان الديلم كما تقدّم لنا شيعة لاسلامهم على يد الاطروش، وقد ذكرنا ما منع بني بويه من تحويل الخلافة عن العباسية اليهم. فلما كان سنة احدى وخمسين وثلثمائة اصبح مكتوباً على باب الجامع ببغداد لعن صريح في معاوية ومن غصب فاطمة فدك، ومن منع من دفن الحسن عند جدّه، ومن نفى أبا ذرّ، ومن

اخرج العباس من الشورى . ونسب ذلك الى معزّ الدولة . ثم محي من الليلة القابلة، فأراد معز الدولة اعادته . فأشار المهلبي بأن يكتب مكان المحو لعن معاوية فقط والظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي ثامن عشر ذي الحجة من هذه السنة أمر الناس باظهار الزينة والفرح لعيد الغدير من أعيان الشيعة . وفي السنة بعدها أمر الناس في يوم عاشوراء ان يغلقوا دكاكينهم ويقعدوا عن البيع والشراء، ويلبسوا المسوح، ويعلنوا بالنياحة، وتخرج النساء مسبلات الشعور مسوّدات الوجوه قد شققن ثيابهنّ ولطمن خدودهنّ حزناً على الحسين، ففعل الناس ذلك . ولم يقدر اهل السنّة على منعه لانّ السلطان للشيعة . وأعيد ذلك سنة ثلاث وخمسين، فوقعت فتنة بين أهل السنة والشيعة وجرى نهب الاموال .

استيلاء معز الدولة على عمان وحصاره البطائح

انحدر معز الدولة سنة خمس وخمسين الى واسط لقتال عمران ابن شاهين بالبطائح، فانفذ الجيش من هنالك مع ابي الفضل العباس بن الحسن، وسار الى الأُبُلّةِ فأنفذ الجيش الى عمان، وكان القرامطة قد استولوا عليها ، وهرب عنها صاحبها نافع ، وبقي أمرها فوضى، فاتفق قاضيها وأهل البلد ان يُنَصّبوا عليهم رجلاً منهم فنصبوه، ثم قتله بعضهم فولّوا آخر من قرابة القاضي يعرف بعبد الرحمن بن أحمد بن مروان ، واستكتب عليّ بن أحمد الذي

كان وصل مع القرامطة كاتباً . وحضر وقت العطاء، فاختلف الزنج والبيض في الرضا بالمساواة وبعدها واقتتلوا، فغلب الزنج وأخرجوا عبد الوهاب، واستقرّ علي ابن أحمد أميراً، فلما جاء معز الدولة الى واسط هذه السنة، قدم عليه نافع الأسود صاحب عمان مستنجداً به، فانحدر به من الابلة، وجهز له المراكب لحمل العساكر، وعليهم أبو الفرج محمد بن العباس بن فساغس وهي مائة قطعة، فساروا الى عمان وملكوها تاسع ذي الحجة من سنة خمس وخمسين، وقتلوا من اهلها وأحرقوا مراكبها، وكانت تسعة وثمانين، وعاد معز الدولة الى واسط، وحاصر عمران، وأقام هنالك فاعتلّ وصالح عمران وانصرف عنه .

وفاة الوزير المهلبي

سار الوزير المهلبي في جمادى سنة اثنتين وخمسين الى عُمان ليفتحها، فاعتلّ في طريقه ورجع الى بغداد، فمات في شعبان قبل وصوله، وحمل فدفن بها لثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر من وزارته . وقبض معزّ الدولة أمواله وذخائره، وصارت اليه وحواشيه، ونظر في الامور بعده أبو الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وأبو الفرج محمد بن العباس ابن فساغس، ولم يلقب احد منهما بوزارة .

وفاة معز الدولة وولاية ابنه بختيار

ولما رجع معزّ الدولة الى بغداد اشتدّ مرضه فعهد بالسلطنة

الى ابنه عز الدولة، وتصدّق وأعتق. وتوفي في ربيع من سنة ست وخمسين لاثنتين وعشرين سنة من سلطنته، وولى ابنه عز الدولة بختيار، وقد كان أوصاه بطاعة عمه ركن الدولة، وبطاعة ابنه عضد الدولة، لانه كان أكبر سناً وأخبر بالسياسة، ووصاه بحاجبه سبكتكين وبكاتبيه أبي الفضل العباس وأبي الفرج، فخالف وصاياه وعكف على اللهو، وأوحش هؤلاء، ونفى كبار الديلم شرهاً في اقطاعاتهم. وشغب عليه الاصاعد فذادهم واقتدى بهم الاتراك، وجاء أبو الفرج محمد بن العباس من عُمان بعد أن سلّمها الى نوّاب عضد الدولة الذين كانوا في أمداده، وخشي أن يؤمر بالمقام بها وينفرد أبو الفضل صاحبه بالوزارة ببغداد، فكان كما ظنّ. ثم انتقض بالبصرة حبشيّ بن معز الدولة على أخيه بختيار سنة ست وخمسين، فبعث الوزير أبو الفضل العباس فسار مورياً بالاهواز، ونزل واسط وكتب الى حبشي بأنه جاء ليسلمه البصرة، وطلب منه المعونة على أمره، فأنفذ اليه مائتي ألف درهم، وأرسل الوزير خلال ذلك الى عسكر الاهواز أن يوافوه بالابلة لموعد ضربه لهم، فوافوه وكبسوا حبشياً بالبصرة، وحبسوه برامهرمز، ونهبوا أمواله. وكان من جملة ما أخذ له عشرة آلاف مجلد من الكتب، وبعث ركن الدولة بتخليص حبشي ابن أخيه، وجعله عند عضد الدولة فأقطعه الى أن مات سنة سبع وستين.

عزل ابي الفضل ووزارة ابن بقية

لما وليَ أبو الفضل وزارة بختيار كثر ظلمه وعسفه، وكان محمد ابن بقية من حاشية بختيار، وكان يتولى له المطبخ. فلما كثر شغب الناس من أبي الفضل عزله بختيار سنة اثنتين وستين، وولى مكانه محمد بن بقية، فانتشر الظلم أكثر، وخربت النواحي وظهر العيارون، ووقعت الفتن بين الاتراك وبختيار، فأصلح ابن بقية بينهم، وركب سبكتكين بالاتراك الى بختيار، ثم أفسد بينهم وتحرّك الديلم على سبكتكين وأصحابه، فأرضاهم بختيار بالمال ورجعوا عن ذلك.

(١) كان ناصر الدولة بن حمدان قد قبض عليه ابنه أبو تغلب وحبسه سنة ست وخمسين، وطمع في المسير الى بغداد، وجاء أخوه حمدان وابراهيم فازعين الى بختيار ومستنجدين به فشغل عنهما بما كان فيه من شأن البطيحة وعمان، حتى اذا قضى وطره من ذلك وعزل أبا الفضل الوزير واستوزر ابن بقية حمله على ذلك وأغراه

---

(١) كذا بياض بالأصل، وفي الكامل لابن الأثيرج ٧ ص ٥١: في هذه السنة في ربيع الأول سار بختيار إلى الموصل ليستولي عليها وعلى أعمالها، وما بيد أبي تغلب بن حمدان، وكان سبب ذلك ما ذكرناه من مسير حمدان بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه إبراهيم إلى بختيار واستجارتهما به وشكواهما إليه من أخيهما أبي تغلب فوعدهما أن ينصرهما ويخلص أعمالهما وأموالهما منه وينتقم لهما. واشتغل عن ذلك بما كان منه في البطيحة وغيرها، فلما فرغ من جميع أشغاله عاود حمدان وإبراهيم الحديث معه وبذل له حمدان مالاً جزيلاً، وصغر عنده أمر أخيه أبي تغلب وطلب أن يضمنه بلاده ليكون في طاعته ويحمل إليه الأموال ويقيم له الخطبة. ثم إن إبراهيم بن ناصر الدولة هرب من عند بختيار وعاد إلى أخيه أبي تغلب، فقوي عزم بختيار على قصد الموصل أيضاً، ثم عزل أبا الفضل الوزير واستوزر ابن بقية فكاتبه أبو تغلب فقصر في خطابه فأغرى به بختيار وحمله على قصده، فسار عن بغداد ووصل إلى الموصل تاسع عشر ربيع الآخر ونزل بالدير الأعلى، وكان أبو تغلب بن حمدان قد سار عن الموصل لما قرب منه بختيار.

به، فسار الى الموصل ونزلها في ربيع الآخر سنة ثلاث وستين، ولحق أبو تغلب بسنجار بأصحابه و كتابه ودواوينه .

ثم سار الى بغداد وبعث بختيار في أثره الوزير ابن بقية وسبكتكين، فدخل ابن بقية بغداد وأقام سبكتكين يحاربه في ظاهرها، ووقعت الفتنة داخل بغداد في الجانب الغربي بين أهل السنة والشيعة . واتفق سبكتكين وأبو تغلب على أن يقبضا على الخليفة والوزير وأهل بختيار ويعود سبكتكين الى بغداد مستولياً وأبو تغلب الي الموصل . ثم اقصر سبكتكين عن ذلك وتوقف، وجاءه الوزير ابن بقية . وأرسلوا الى أبي تغلب في الصلح وأن يضمن البلاد ويرد على أخيه حمدان أقطاعه وأملاكه الا ماردين، وعاد أبو تغلب الى الموصل ورحل بختيار، وسار سبكتكين للقائه .

واجتمع بختيار وأبو تغلب على الموصل، وطلب أبو تغلب زوجته ابنة بختيار وأن يحط عنه من الضمان ويلقب لقباً سلطانياً فأجيب الى ذلك خشية منه، ورحل بختيار الى بغداد، وسرّ أهل الموصل برحيله لما نالهم منه، وبلغه في طريقه انّ أبا ثعلب قتل قوماً من أصحابه وكانوا استأمنوا لبختيار وزحفوا لنقل أهلهم وأموالهم فاشتدّ ذلك عليه، وكتب الى الوزير أبي طاهر بن بقية والحاجب ابن سبكتكين يستقدمهما في العساكر فجاؤا وعادوا الى الموصل، وعزم على طلبه حيث سار . فأرسل أبو تغلب في الصلح، وجاء الشريف أبو أحمد الموسوي والد الشريف الرضي وحلف على العلم

في قتل أولئك المستأمنة، وعاد الصلح والاتفاق كما كان، ورجع بختيار الى بغداد وبعث ابنته الى زوجها أبي تغلب .

الفتنة بين بختيار وسبكتكين والاتراك

كان بختيار قد قلت عنده الاموال وكثرت مطالب الجند وشغبهم، فكان يحاول جمع الاموال فتوجه الى الموصل لذلك ثم رجع فتوجه الى الاهواز ليجدد ريعه الى مصادرة عاملها، وتخلف عنه سبكتكين والاتراك الذين معه، ووقعت فتنة بين الاتراك والديلم بالاهواز واقتتلوا ولجّ الاتراك في طلب ثارهم . وأشار عليه اصحاب الديلم بقبض رؤساء الاتراك وقوّادهم ففعل، وكان من جملتهم عامل الاهواز وكاتبه، ونهبت أموالهم وبيوتهم ونودي في البلد وباستباحتهم، وبلغ الخبر الى سبكتكين وهو ببغداد فنقض طاعة بختيار وركب في الاتراك وحاصر داره يومين وأحرقها وأخذ أخويه وأمّهما فبعثهم الى واسط في ذي القعدة سنة ثلاث وستين، وانحدر المطيع معهم فردّه وترك الاتراك في دور الديلم ونهبوها وثارت العامة مع سبكتكين، لان الديلم كانوا شيعة وسفكت الدماء وأحرق الكرخ وظهر أهل السنة .

خلع المطيع وولاية الطائع

كان المطيع قد أصابه الفالج وعجز عن الحركة، وكان يتستر به وانكشف حاله بسبكتكين في هذه الواقعة، فدعاه الى أن يخلع نفسه ويسلم الخلافة عبد الكريم ففعل ذلك منتصف ذي

القعدة سنة ثلاث وستين لست وعشرين سنة ونصف من خلافته، وبويع ابنه عبد الكريم ولقب الطائع .

الصوائف

وعادت الصوائف منذ استبدّ ناصر الدولة بن حمدان بالموصل وأعمالها، وملك سيف الدولة أخوه مدينتي حلب وحمص سنة ثلاث وثلاثين، فصار أمر الصوائف اليه فتذكرها في أخبار دولتهم . فقد كان لسيف الدولة فيها آثار وكان للروم في ايامه جولات حسنت فيها مدافعته . وأما الولايات فانقطعت منذ استيلاء معزّ الدولة على العراق، وانقسمت الدولة الاسلامية دولًا نذكر ولايات كل منها في أخبارها عند انفرادها على ما شرطناه .

فتنة سبكتكين وموته وامارة افتكين

لما أوقع[1] بختيار في الاتراك بالاهواز ما أوقع، وانتقض سبكتكين ببغداد عمد بختيار الى من حبسه من الاتراك فاطلقهم وولى منهم على الاتراك زادَوَيه الذي كان عامل الاهواز، وسار الى واسط للقائه واخويه، وكتب الى عمه ركن الدولة وابن عمه عضد الدولة يستنجدهما، والى ابي تغلب بن حمدان في المدد بنفسه، ويسقط عنه مال الاقطاع، والى عمران بن شاهين بالبطيحة كذلك فجهز اليه عمه ركن الدولة العسكر مع وزيره أبي الفتح بن

---

(١) بالغ في قتالهم.

العميد، وكتب الى ابن عمه عضد الدولة بالمسير معه فتثاقل وتربص بختيار طمعاً في ملك العراق . واما عمران بن شاهين فدافع واعتذر بان عسكره لا يفتكون في الديلم لما كان بينهم، واما ابو تغلب فبعث اخاه ابا عبدالله الحسين في عسكر الى تكريت فلما سار الاتراك عن بغداد الى واسط لقتال بختيار، وجاء هو اليها ليقيم الحجة في سقوط الاقطاع عنه، ووجد الفتنة حاميةً بين العيارين فكف القسامة وانتظر ما يقع ببختيار فيدخل بغداد ويملكها . ولما سار الاتراك الى واسط حملوا معهم خليفتهم الطائع لله واباه المطيع المخلوع، وانتهوا الى دير العاقول فهلك المطيع وسبكتكين معاً، وولى الاتراك عليهم افتكين من اكابر قوّادهم ومولى معز الدولة، فانتظم امرهم، وساروا الى واسط وحاصروا بها بختيار خمسين يوماً حتى اشتدّ عليه الحصار وهو يستحث عضد الدولة .

نكبة بختيار على يد عضد الدولة ثم عوده الى ملكه

لما تتابعت كتب بختيار الى عضد الدولة باستحثاثه سار في عساكر فارس، وجاءه ابو القاسم بن العميد وزير أبيه الى الاهواز في عساكر الري وساروا الى واسط وأجفل عنها افتكين والاتراك الى بغداد، ورجع ابو تغلب الى الموصل . ولما جاء عضد الدولة الى واسط سار الى بغداد في الجانب الشرقي، وسار بختيار في الجانب الغربي، وحاصروا الاتراك ببغداد من جميع الجهات .

وارسل بختيار الى ضَبَّةَ بن محمد الأَسَدِيّ من اهل عين التمر والى ابي سنان وابي تغلب بن حمدان بقطع الميرة والاغارة على النواحي فغلا السعر ببغداد وثار العيارون ووقع النهب، وكبس افتكين المنازل في طلب الطعام فعظم الهرج، وخرج افتكين والاتراك للحرب فلقيهم عضد الدولة فهزمهم وقتل اكثرهم واستباحهم، ولحقوا بتكريت، وحملوا الخليفة معهم، ودخل عضد الدولة الى بغداد في جمادى سنة اربع وستين. وحاول في ردّ الخليفة الطائع فردّه وانزله بداره وركب للقائه الماء في يوم مشهود.

ثم وضع الجند على بختيار فشغبوا عليه في طلب أرزاقهم وأشار عليه بالغلظة عليهم والاستعفاء من الامارة، وانه عند ذلك يتوسط في الاصلاح فأظهر بختيار التخلي، وصرف الكتاب والحجاب ثقة بعضد الدولة، وتردّد السفراء بينهم ثلاثاً. ثم قبض عضد الدولة على بختيار واخوته ووكل بهم وجمع الناس وأعلمهم بعجز بختيار، ووعدهم بحسن النظر وقام بواجبات الخلافة، وكان المرزبان بن بختيار أميراً بالبصرة فامتنع فيها على عضد الدولة وكتب الى ركن الدولة يشكو ما جرى على أبيه بختيار من ابنه عضد الدولة ووزيره ابن العميد فأصابه من ذلك المقيم المقعد حتى لقد طرقه المرض الذي لم يستقل منه.

وكان ابن بقية وزير بختيار قد سار الى عضد الدولة وضمنه واسط وأعمالها فانتقض عليه بها، وداخل عمران بن شاهين في

الخلافة فأجابه، وكتب الى سهل بن بشر وزير افتكين بالاهواز، وقد كان عضد الدولة ضمنه اياها وبعثه اليها مع جيش بختيار فاستماله ابن بقية، وخرجت اليه جيوش عضد الدولة فهزمهم وكاتب أباه ركن الدولة بالاحوال، وأوعز ركن الدولة اليه والى المرزبان بالبصرة على المسير بالعراق لاعادة بختيار. واضطربت النواحي على عضد الدولة لانكار ابيه، وانقطع عن مدد فارس، وطمع فيه الاعداء فبعث أبا الفتح بن العميد الى أبيه يعتذر عما وقع، وان بختيار عجز ولا يقدر على المملكة، وانه يضمن أعمال العراق بثلاثين ألف ألف درهم، ويبعث بختيار واخوته اليه لينزله بأي الاعمال أحب، ويخير أباه في نزوله العراق لتدبير الخلافة ويعود هو الى فارس، وتهدد أباه بقتل بختيار واخوته وجميع شيعهم ان لم يوافق على واحدة من هذه. فخاف ابن العميد غائلة هذه الرسالة وأشار بارسال غيره وأن يمضي هو بعدها كالمصلح فبعث عضد الدولة غيره. فلما ألقى الرسالة غضب ركن الدولة ووثب الى الرسول ليقتله ثم ردّه بعد أن سكن غضبه، وحمله الى عضد الدولة من الشتم والتقريع على ما فعله وعلى ما يطلب منه من كل صعب من القول.

وجاء ابن العميد على اثر ذلك فحجبه وتهدده ثم لم يزل يسترضيه بجهده، واعتذر بأن قبوله لهذه الرسالة حيلة على الوصول اليه والخلاص من عضد الدولة، وضمن له اعادة عضد الدولة الى

فارس وتقرير بختيار بالعراق فأجاب عضد الدولة الى ذلك وأفرج عن بختيار وردّه الى السلطنة على أن يكون نائباً عنه ويخطب عنه، ويجعل أخاه أبا اسحاق أمير الجيش لعجز بختيار، وردّ عليهم ما أخذ لهم، وسار الى فارس، وأمر ابن العميد أن يلحق به بعد ثلاث فتشاغل مع بختيار باللذات ووعده أن يصير الى وزارته بعد ركن الدولة. وأرسل بختيار عن ابن بقية فقام بأمر الدولة، واحتجن الاموال فاذا طولب بها دسّ للجند فشغبوا حتى تنكر له بختيار واستوحش هو.

خبر افتكين

ولما انهزم افتكين من عضد الدولة بالمدائن لحق الشام ونزل قريباً من حمص، وقصد ظالم ابن موهوب أمير بني عقيل العلوية بالشام فلم يتمكن منه، وسار افتكين الى دمشق وأميرها ريان خادم المعزّ لدين الله العلوي، وقد غلب عليه الاحداث فخرج اليه مشيخة البلد وسألوه أن يملكهم ويكفّ عنهم شرّ الاحداث وظلم العمال، واعتقاد الرافضة فاستحلفهم على ذلك ودخل دمشق وخطب فيها للطائع في شعبان سنة أربع وستين. ورجع أيدي العرب من ضواحيها وفتك فيهم وكثرت جموعه وأمواله، وكاتب المعز بمصر يداريه بالانقياد، فكتب يشكره ويستدعيه ليوليه من جهته فلم يثق اليه فتجهز لقصده، ومات في طريقه سنة خمس وستين كما نذكر بقية خبره في دولتهم.

ملك عضد الدولة بغداد وقتل بختيار

ولما انصرف عضد الدولة الى فارس كما ذكرناه، أقام بها قليلاً ثم مات أبوه ركن الدولة سنة ست وستين بعد ان رضي عنه وعهد له بالملك كما نذكره في خبره. فلما مات شرع بختيار ووزيره ابن بقية في استمالة أهل أعماله مثل أخيه فخر الدولة وحَسْنَوَيْه الكرديّ، وطلب ابن حمدان وعمران بن شاهين في عدوانه فسار عضد الدولة لطلب العراق، واستمدّ حسنويه وابن حمدان فواعداه ولم يبعداه فسار الى الاهواز ثم سار الى بغداد، ولقيه بختيار فهزمه عضد الدولة واستولى على أمواله وأثقاله ولحق بواسط، وحمل اليه ابن شاهين أموالا وهدايا، ودخل اليه مؤكداً للاستجارة به. ثم صعد الى واسط، وبعث عضد الدولة عسكراً الى البصرة فملكوها، وكانت مصر شيعة له دون ربيعة. وجمع بختيار ما كان له ببغداد والبصرة في واسط، وقبض على ابن بقية، وأرسل عضد الدولة في الصلح واختلفت الرسائل، وجاءه عبد الرزاق وبدر ابنا حسنويه في ألف فارس مدداً فانتقض. وسار الى بغداد وسار عضد الدولة الى واسط ثم الى البصرة فأصلح بين ربيعة ومضر بعد اختلافهم مائة وعشرين سنة.

ثم دخلت سنة سبع وستين فقبض عضد الدولة على أبي الفتح ابن العميدي وزير أبيه، وجدع أنفه وسمل احدى عينيه لما بلغه عنه في مقامه بالفرات عند بختيار. ولما أطلع عليه من مكاتبته اياه

فبعث الى أخيه فخر الدولة بالري بالقبض عليه وعلى أهله فقبض عليه وأخذ داره بما فيها . ثم سار عضد الدولة الى بغداد سنة سبع وستين، وبعث الى بختيار يخيره في الاعمال فأجاب الى طاعته وأمره بانفاذ ابن بقية اليه ففقأ عينيه وأنفذه وخرج عن بغداد بقصد الشام، ودخل عضد الدولة بغداد وخُطب له بها وضرب على بابه ثلاث توتات ولم يكن شيء من ذلك لمن قبله، وأمر بابن بقية فرمي بين الفيله فقتلته .

ولما سار بختيار الى الشام ومعه حمدان أخو أبي ثعلب وانتهوا الى عكبرا أحسن له حمدان وقصد الموصل . وكان عضد الدولة قد استحلفه أن لا يدخل ولاية أبي ثعلب فنكث وقصدها، وجاءته رسل أبي ثعلب بتكريت في اسلام أخيه حمدان اليه فيمده بنفسه، ويعيده الى ملكه فقبض على حمدان وبعثه مع نوابه فحبسه [(١)] وسار أبو ثعلب اليه في عشرين ألف مقاتل، وزحفوا الى بغداد ولقيهما عضد الدولة فهزمهما، وأمر ببختيار فقتل صبراً في عدة من أصحابه لاحدى عشرة سنة من ملكه .

---

(١) كذا بالأصل، والعبارة مشوشة وفي الكامل ج ٧ ص ٩٢: فلما صار إلى تكريت أتته رسل أبي تغلب تسأله أن يقبض على أخيه حمدان ويسلمه إليه، وإذا فعل سار بنفسه وعساكره إليه، وقاتل معه عضد الدولة وأعاده إلى ملكه ببغداد، فقبض بختيار على حمدان وسلمه إلى نواب أبي تغلب فحبسه في قلعة له. وسار بختيار إلى الحديثة واجتمع مع أبي تغلب وسارا جميعاً نحو العراق وكان مع أبي تغلب نحو من عشرين ألف مقاتل وبلغ ذلك عضد الدولة فسار عن بغداد نحوهما فالتقوا بقصر الجص بنواحي تكريت ثامن عشر شوال فهزمهما وأسر بختيار وأحضر عند عضد الدولة فلم يأذن بإدخاله إليه وأمر بقتله فقتل. انتهى.

وقد ورد اسم أخي حمدان في كتاب ابن خلدون: «أبو ثعلب»، وفي وفيات الأعيان لابن خلكان، وفي الكامل لابن الأثير: «أبو تغلب».

استيلاء عضد الدولة على ملك بني حمدان

ثم سار عضد الدولة بعد الهزيمة ومقتل بختيار الى الموصل فملكها منتصف ذي القعدة من سنة سبع وستين، وكان حمل معه الميرة والعلوفات فأقام في رغد، وبث السراة في طلب أبي ثعلب وراسله في ضمان البلاد على عادته فلم يجبه فسار الى نصيبين ومعه المرزبان بن بختيار وأبو اسحاق وطاهر أخو بختيار وأمهم فبعث عضد الدولة عسكراً الى جزيرة ابن عمر مع حاجبه أبي عمر لحرب طغان، وعسكراً الى نصيبين مع أبي الوفاء طاهر بن محمد ففارقها أبو ثعلب الى ميافارقين وأتبعه أبو الوفاء اليها فامتنعت عليه. ولحق أبو ثعلب بأردن الروم ثم بالحسنية من اعمال الجزيرة، وتتبع ابو ثعلب قلاعه واخذ امواله في كواشي وغيرها، وعاد الى ميافارقين. ثم سار عضد الدولة اليه بنفسه واستأمن اليه كثير من اصحابه، ورجع الى الموصل وبعث العسكر في اتباعه فدخل بلاده فصاهره ورد الرومي المملك عليهم في غير بيت الملك ليستعين به على امره واتبعه عسكر عضد الدولة فهزمهم ونجا الى بلاد الروم لمساعدة ورد على شأنه لما يؤمل من نصرته اياه. واتفق ان ورداً انهزم فيئس منه أبو ثعلب وعاد الى بلاد الاسلام ونزل بآمد شهرين، حتى فتح عضد الدولة جميع بلاده كما يذكر في اخبار دولتهم، واستخلف ابا الوفاء على الموصل، وعاد الى بغداد، وانقطع ملك بني حمدان عن الموصل حيناً من الدهر.

وفاة عضد الدولة وولاية ابنه صمصام الدولة

ثم توفي عضد الدولة في شوال سنة اثنتين وسبعين لخمس سنين ونصف من ملكه، واجتمع القواد والامراء على ولاية ابنه كاليجار المرزبان وبايعوه ولقبوه صمصام الدولة. وجاءه الطائع معزياً في أبيه، وبعث أخويه أبا الحسين أحمد وأبا طاهر فيروزشاه فانتقض أخوهم شرف الدولة بكرمان في فارس، وسبق اليها أخويه وملكها وأقاما بالاهواز، وقطع خطبة صمصام الدولة أخيه وخطب لنفسه، وتلقب تاج الدولة. وبعث اليه صمصام الدولة عسكراً صحبة علي ابن دنقش حاجب أبيه، وبعث شرف الدولة عسكره مع الامير أبي الاغرّ دفليس بن عفيف الاسدي والتقيا عند قرقوب فانهزم ابن دنقش في ربيع سنة ثلاث وسبعين وأسر واستولى أبو الحسن على الاهواز ورامهرمز وطمع في الملك.

ثم ان اسفار بن كردَوَيه من أكابر الديلم قام بدعوة شرف الدولة ببغداد سنة خمس وسبعين، واستمال كثيراً من العسكر، واتفقوا على ولاية أبي نصر بن عضد الدولة نائباً عن أخيه شرف الدولة، وراسلهم صمصام الدولة في الرجوع عن ذلك فلم يزدهم إلاّ تمادياً. واجابه فولاد بن مابدرار أنفةً من متابعة اسفار وقاتله فهزمه، وأخذ أبا مضلّ أسيراً وأحضره عند أخيه صمصام الدولة، واتهم وزيره ابن سعدان بمداخلتهم فقتله، ومضى اسفار الى أبي الحسين بن عضد الدولة وباقي الديلم الى شرف الدولة. وسار شرف

الدولة الى الاهواز فملكها من يد أخيه الحسين . ثم ملك البصرة من يد أخيه أبي طاهر، وراسله صمصام الدولة في الصلح فاتفقوا على الخطبة لشرف الدولة بالعراق، وبعث اليه بالخلع والالقاب من الطائع .

نكبة صمصام الدولة وولاية اخيه شرف الدولة

لما ملك شرف الدولة من يد أخيه أبي طاهر سار الى واسط فملكها، وعمد صمصام الدولة الى أخيه أبي نصر، وكان محبوساً عنده فأطلقه وبعثه الى أخيه شرف الدولة بواسط يستعطفه به فلم يلتفت اليه . وجزع صمصام الدولة واستشار أصحابه في طاعة أخيه شرف الدولة فخوفوه عاقبته وأشار بعضهم بالصعود الى عكبرا، ثم منها الى الموصل وبلاد الجبل حتى يحدث من أمر الله في فتنة بين الاتراك والديلم أو غير ذلك ما يسهل العود، وأشار بعضهم بمكاتبة عمه فخر الدولة والمسير على طريق أصبهان فيخالف شرف الدولة الى فارس فربما يقع الصلح على ذلك . فأعرض صمصام الدولة عن ذلك كله وركب البحر الى أخيه شرف الدولة فتلقاه وأكرمه. ثم قبض عليه لاربع سنين من امارته، وسار الى بغداد في شهر رمضان من سنة ست وسبعين فوصلها وأخوه صمصام الدولة في اعتقاله . واستفحل ملكه واستطال الديلم على الاتراك بكثرتهم فانهم بلغوا خمسة عشر ألفاً والاتراك ثلاثة آلاف . ثم كثرت المنازعات بينهم، وغصّ الديلم بالاتراك وأرادوا اعادة

صمصام الدولة الى الملك . ثم اقتتلوا فغلبهم الديلم وقتلوا منهم وغنموا أموالهم، وسار بعضهم فذهب في الارض، ودخل الآخرون مع شرف الدولة الى بغداد، وخرج الطائع لتلقيه وهنأه وأصلح شرف الدولة بين الفريقين وبعث صمصام الدولة الى فارس فاعتقل بها واستوزر شرف الدولة أبا منصور بن صالحان .

ابتداء دولة باد وبني مروان بالموصل

قد تقدم لنا ان عضد الدولة استولى على ملك بني حمدان بالموصل سنة سبع وستين، ثم استولى على ميافارقين وآمد وسائر ديار بكر من أعمالهم، وعلى ديار مضر أيضاً من أعمالهم سنة ثمان وستين، وولى عليها أبا الوفاء من قواده، وذهب ملك بني حمدان من هذه النواحي . وكان في ثغور ديار بكر جماعة من الاكراد الحميدية مقدمهم أبو عبدالله الحسين بن دوشتك، ولقبه باد، وكان كثير الغزو بتلك البلاد واخافة سُبُلها . وقال ابن الاثير : حدثني بعض أصدقائنا من الاكراد الحميدية أن اسمه باد وكنيته ابو شجاع وان الحسين هو أخوه وان أول أمره انه ملك أرجيش من بلاد ارمينية فقوي اه .

ولما ملك عضد الدولة الموصل حضر عنده وهم بقبضه، ثم سأل عنه فافتقده وكف عن طلبه . فلما مات عضد الدولة استفحل أمره واستولى على ميافارقين، وكثير من ديار بكر، ثم على نصيبين . وقال ابن الاثير : سار من أرمينية الى ديار بكر فملك ثم ميافارقين،

وبعث صمصام الدولة اليه العساكر مع أبي سعيد بهرام بن أردشير فهزمهم وأسر جماعة منهم، فبعث عساكر أخرى مع أبي القاسم سعيد بن الحاجب فلقيهم في بلد كواشي وهزمهم، وقتل منهم وأسر، ثم قتل الاسرى صبراً. ونجا سعيد الى الموصل وباد في أتباعه فثار به أهل الموصل، نفوراً من سوء سيرة الديلم فهرب منها ودخل باد وملك الموصل. وحدث نفسه بالمسير الى صمصام الدولة بغداد وانتزاع بغداد من يد الديلم واحتفل فيه ولقيهم باد في صفر من سنة أربع وسبعين فهزموه وملكوا الموصل، ولحق باد بديار بكر وجمع عليه عساكر.

وكان بنو سيف الدولة بن حمدان بحلب قد ملكها معهم سعد الدولة ابنه بعد مهلكه فبعث اليه صمصام الدولة أن يكفيه أمر باد على أن يسلم اليه ديار بكر فبعث سعد الدولة اليه جيشاً فلم يكن لهم طاقة، وزحفوا الى حلب فبعث سعد الدولة من اغتاله في مرقده بخيمته من البادية، وضربه فاعتل واشفى على الموت، وبعث الى سعد وزياد الاميرين بالموصل فصالحهما على ان تكون ديار بكر والنصف من طور عبدين لباد، ورجع زياد الى بغداد وهو الذي جاء بعساكر الديلم وانهزم باد امامه. ثم توفي سعد الحاجب بالموصل سنة سبع وسبعين فتجدد لباد الطمع في ملكها، وبعث شرف الدولة على الموصل أبا نصر خواشاذه فدخل الموصل واستمد العساكر والاموال فأبطأت عنه فدعا العرب من بني عقيل وبني نمير، وأقطعهم البلاد ليدافعوا عنها.

واستولى باد على طور عبدين وأقام بالجبل، وبعث أخاه في عسكر لقتال العرب فانهزم وقتل . وبينما خواشاذه يتجهز لقتال باد جاءه الجند بموت شرف الدولة . ثم جاء أبو طاهر ابراهيم وأبو عبدالله الحسين ابنا ناصر الدولة بن حمدان أميرين على الموصل من قبل بهاء الدولة، وبقيت في ملكهما الى سنة احدى وثمانين فبعث بهاء (١) الدولة عسكراً مع أبي جعفر الحجاج بن هرمز فملكها وزحف اليه أبو الرواد محمد بن المسيب أمير بني عقيل فقاتله وبالغ في مدافعته، واستمد بهاء الدولة فبعث اليه الوزير أبا القاسم على ابن أحمد وسار أول سنة اثنتين وثمانين وكتب إلى أبي جعفر بالقبض عليه بسعاية ابن المعلم، وشعر الوزير بذلك فصالح أبا الرواد ورجع ووجد بهاء الدولة قد قبض على ابن المعلم وقتله .

وفاة شرف الدولة وملك بهاء الدولة

ثم توفي شرف الدولة أبو الفوارس شرزيك بن عضد الدولة في جمادى سنة تسع وسبعين لسنتين وثمانية أشهر من امارته، ودفن بمشهد علي بعد أن طالت علته بالاستسقاء، وبعث وهو عليل الى أخيه صمصام الدولة بفارس فشمله وبعث ابنه أبا علي الى بلاد فارس، ومعه الخزائن والعدد وجملة من الاتراك، وسئل شرف الدولة في

(١) لا تخلو العبارة من تناقض؛ فابنا ناصر الدولة أميران من قبل بهاء الدولة. فما معنى بعث بهاء الدولة عسكراً لأخذها من الأميرين؟ ولكن ما يأتي بعد من قوله: «ثم ندم الخ» يوضح الفكرة الغامضة هنا.

العهد فلكه [1] وأبى أن يعهد، واستخلف أخاه بهاء الدولة لحفظ الامور في حياته . فلما مات قعد في المملكة وجاء الطائع للعزاء، وخلع عليه للسلطنة فأقرّ أبا منصور بن صالحان على وزارته، وبعث أبا طاهر ابراهيم وأبا عبدالله الحسين ابني ناصر الدولة بن حمدان الى الموصل، وكان في خدمته شرف الدولة فاستأذنا بهاء الدولة بعد موته في الاصعاد الى الموصل فأذن لهما . ثم ندم على ما فرط في أمرهما، وكتب الى خواشاذه بمدافعتهما فامتنعا وجاءا ونزلا بظاهر الموصل .

وثار أهل الموصل بالديلم والاتراك وخرجوا الى بني حمدان، وقاتلوا الديلم فهزموهم، وقتل الديلم كثيراً منهم، واعتصم الباقون بدار الامارة فأخرجوهم على الامان ولحقوا ببغداد، وملك بنو حمدان الموصل . وكان أبو علي بن شرف الدولة لما انصرف الى فارس بلغه موت ابنه بالبصرة فبعث العيال والاموال في البحر الى أرجان وسار هو اليها . ثم سار الى شيراز فوافاه بها عمه صمصام الدولة وأخوه أبو طاهر قد أطلقهما الموكلون بهما ومعهما فولاد، وجاؤا الى شيراز، واجتمع عليهم الديلم، وخرج أبو علي الى الاتراك فاجتمعوا عليه، وقاتل صمصام الدولة والديلم أياماً . ثم سار الى نسا فلكها وقتل الديلم بها . ثم سار الى أرجان وبعث الاتراك الى شيراز لقتال صمصام الدولة فنهبوا البلد وعادوا اليه بأرجان .

(١) بمعنى: حبسه. وربما كان منه: «املك عليك لسانك».

ثم بعث بهاء الدولة الى علي ابن أخيه يستقدمه، واستمال الاتراك سرًّا فحملوا أبا علي علـى المسير اليه فسار في جمادى سنة ثمانين فأكرمه ثم قبض عليه وقتله. ثم وقعت الفتنة ببغداد بين الاتراك والديلم، واقتتلوا خمسة أيام. ثم راسلهم بهاء الدولة في الصلح فلم يجيبوا وقتلوا رسله فظاهر الاتراك عليهم فغلبوهم، واشتدّت شوكة الاتراك من يومئذ وضعف أمر الديلم، وصالح بينهم على ذلك. وقبض على بعض الديلم وافترقوا.

خروج القادر الى البطيحة

كان اسحاق بن المقتدر لما توفي ترك ابنه أبا العباس أحمد الذي لقب بالقادر فجرت بينه وبين أخت له منازعة في ضيعة، ومرض الطائع مرضاً مخوفاً ثم أبلّ فسعت تلك الاخت بأخيها، وانه طلب الخلافة في مرض الطائع فأنفذ أبا الحسين بن حاجب النُعمان في جماعة للقبض عليه، وكان بالحريم الظاهري فغلبهم النساء عليه، وخرج من داره متستّراً. ثم لحق بالبطيحة ونزل على مهذب الدولة فبالغ في خدمته الى أن أتاه بشير الخلافة.

فتنة صمصام الدولة

لما تغلب صمصام الدولة على بلاد فارس، وجاء أبو علي شرف الدولة الى عمه بهاء الدولة فقتله كما ذكرنا، سار بهاء الدولة من بغداد الى خوزستان سنة ثمانين وثلثمائة قاصداً بلاد فارس. واستخلف أبا نصر خواشاذه على بغداد. ولما بلغ خوزستان أتاه نعي أخيه

أبي طاهر فجلس للعزاء به . ثم سار الى أرجان فملكها وأخذ ما فيها من الاموال، وكان ألف ألف دينار وثمانية آلاف درهم وكثيراً من الثياب والجواهر، وشغب الجند لذلك فأطلق تلك الاموال كلها لهم؛ ثم سارت مقدمته وعليها أبو العلاء بن الفضل الى النوبندجان، وبها عسكر صمصام الدولة فانهزموا وثبت أبوالعلاء ابن الفضل في نواحي فارس .

ثم بعث صمصام الدولة عسكره وعليهم قولاد بن مابدان فهزموا أبا العلاء وعاد الى ارّجان، وجاءه صمصام الدولة من شيراز الى قولاد، ثم وقع الصلح على أن يكون لصمصام الدولة بلاد فارس وأرّجان ولبهاء الدولة خوزستان وما وراءها من ملك العراق، وأن يكون لكلٍّ واحدٍ منهما اقطاع في بلد صاحبه، وتعاقدا على ذلك، ورجع بهاء الدولة الى بغداد فوجد الفتنة بين أهل السُّنَّةِ والشيعة بجانب بغداد، وقد كثر القتل والنهب والتخريب فأصلح ذلك . وكان قبل سيره الى خوزستان قبض على وزيره ابي منصور ابن صالحان، واستوزر أبا نصر سابور بن أردشير، وكان الحكم والتدبير في دولته لابي الحسين بن المعلّم .

خلع الطائع وبيعة القادر

ثم ان بهاء الدولة قلت عنده الاموال وكثر شغب الجند ومطالباتهم، وقبض على وزيره سابور فلم يغن عنه، وامتدّت عيناه الى اموال الطائع وهمّ بالقبض عليه، وحسّن له ذلك ابو الحسين

ابن المعلم الغالب على هواه فتقدّم الى الطائع بالجيوش لحضوره في خدمته فجلس وجلس بهاء الدولة على كرسيّ، ثم جاء بعض الديلم يقبل يد الطائع فجذبه عن سريره وأخرجه، ونهب قصور الخلافة، وفشا النهب في الناس، وحمل الطائع الى دار بهاء الدولة فأشهد عليه بالخلع سنة احدى وثمانين لسبع عشرة سنة وثمانية اشهر من خلافته. وأرسل بهاء الدولة خواص أصحابه الى البُطَيْحَةِ ليحضروا القادر بالله ابا العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر ليبايعوه فجاؤا به بعد أن بايع مهذب الدولة صاحب البطيحة في خدمته، وسار بهاء الدولة واعيان الناس لتلقيه فتلقوه وساروا في خدمته، ودخل دار الخلافة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رمضان، وخطب له صبيحتها، وكانت مدّة اقامته بالبطيحة ثلاث سنين غير شهر، ولم يخطب له بخراسان، وأقاموا على بيعة الطائع فأنزله بحجرة من قصره، ووكل عليه من يقوم بخدمته على أتمّ الوجوه، وأجرى أحواله على ما كان عليه في الخلافة الى أن توفي سنة ثلاث وتسعين فصلى عليه ودفنه.

ملك صمصام الدولة الاهواز
وعودها لبهاء الدولة ثم استيلاؤه ثانيا عليها

قد تقدم لنا ما وقع بين بهاء الدولة وصمصام الدولة من الصلح على أن يكون له فارس ولبهاء الدولة خوزستان وما وراءها، وذلك سنة ثمان. ولما كانت سنة ثلاث وثمانين تحيل بهاء الدولة فبعث أبا العلاء عبدالله بن الفضل الى الاهواز على أن يبعث اليه

الجيوش مفترقةً، فاذا اجتمعت كبس بلاد فارس على حين غفلة . وشعر صمصام الدولة بذلك قبل اجتماع العساكر فبعث عساكره الى خوزستان؛ ثم جاءت عساكر العراق والتقوا فانهزم ابو العلاء، وحمل الى صمصام الدولة أسيراً فاعتقله، وبعث بهاء الدولة وزيره أبا نصر ابن سابور الى واسط يحاول له جمع المال فهرب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة .

ثم كثر شغب الديلم على بهاء الدولة ونهبوا دار الوزير نصر ابن سابور، واستعفى واستوزر أبا القاسم علي بن أحمد . ثم هرب، وعاد سابور الى الوزارة وأصلح الديلم؛ ثم أنفذ بهاء الدولة عسكره الى الاهواز سنة أربع وثمانين وعليهم طغان التركي، وانتهوا الى السوس فارتحل عنها أصحاب صمصام الدولة وملكها طغان، وكان أكثر أصحابه الترك وأكثر اصحاب صمصام الدولة الديلم، ومعه تميم وأسد فزحف الى طغان بالاهواز وأسرى من تَسْتُر ليكبس الاتراك الذين مع طغان فقتل في طريقه [1]، وأصبح دونهم برأى

---

(١) يظهر من هذه العبارة أن المقتول صمصام الدولة. ولكن ما يأتي بعد ذلك ينقض المعنى المفهوم. وفي الكامل ج ٧ ص ١٦٥ : وتوجه صمصام الدولة إلى الأهواز ومعه عساكر الديلم وتميم وأسد، فلما بلغ تستر رحل ليلاً ليكبس الأتراك من عسكر بهاء الدولة فضل الأدلاء في الطريق فأصبح على بعد منهم ورآهم طلائع الأتراك فعادوا بالخبر فحذروا واجتمعوا واصطفوا، وجعل مقدمهم ـ واسمه طغان ـ كميناً فلما التقوا واقتتلوا خرج الكمين على الديلم فكانت الهزيمة، وانهزم صمصام الدولة ومن معه من الديلم وكانوا ألوفاً كثيرة استأمن منهم أكثر من ألفي رجل وغنم الأتراك من أثقالهم شيئاً كثيراً، وضرب طغان للمستأمنة خيماً يسكنونها، فلما نزلوا اجتمع الأتراك وتشاوروا وقالوا : هؤلاء أكثر من عدتنا ونحن نخاف أن يثوروا بنا واستقر رأيهم على قتلهم فلم يشعر الديلم إلا وقد ألقيت الخيام عليهم ووقع الأتراك فيهم بالعمد حتى أتوا عليهم فقتلوا كلهم، =

منهم فركبوا لقتاله وأكمنوا له، ثم قاتلوه فهزموه وفتكوا في الديلم بالقتل حرباً وصبراً.

وجاء الخبر الى بهاء الدولة بواسط فسار الى الاهواز فترك بها طغان، ورجع ولحق صمصام الدولة بفارس فاستلحم من وجد بها من الاتراك، وهرب فلّهم الى كرمان واستأذنوا ملك السند في اللحاق بأرضه فأذن لهم، ثم ركب لتلقيهم فقتلهم عن آخرهم. ثم جهز صمصام الدولة عساكره الى الاهواز مع العلاء بن الحسين، وكان افتكين برامهرمز من قبل بهاء الدولة مكان ابي كاليجار المرزبان بن سفهيمون، وجاء بهاء الدولة الى خوزستان للعلاء قائد صمصام الدولة، وكاتبه وكاتب افتكين وابن مكرم الى أن قرب منهم، وملك البلد من أيديهم وأقاموا بظاهرها، واستمدّوا بهاء الدولة فأمدّهم بثمانين من الاتراك فقتلوهم عن آخرهم، وسار بهاء الدولة نحو الاهواز؛ ثم عاد الى البصرة، وعاد ابن مكرم الى عسكر مكرم والعلاء والديلم في اتباعه الى أن جاوزوا تستر اليه فاقتتلوا طويلًا وأصحاب بهاء الدولة من تستر الى رامهرمز، وهم الاتراك وأصحاب صمصام الدولة من تستر الى أرّجان فاقتتلوا ستة اشهر، ورجعوا الى الاهواز؛ ثم رحل الاتراك الى واسط،

=وورد الخبر على بهاء الدولة ـ وهو بواسط قد اقترض مالاً من مهذب الدولة ـ فلما سمع ذلك سار إلى الأهواز، وكان طغان والأتراك قد ملكوها قبل وصوله إليها؛ وأما صمصام الدولة فإنه لبس السواد وسار إلى شيراز فدخلها فغيرت والدته ما عليه من السواد وأقام يتجهز للعود إلى أخيه بهاء الدولة بخوزستان.

واتبعهم العلاء قليلاً، ثم رجع واقام بعسكر مكرم .

ملك صمصام الدولة البصرة

لما رحل بهاء الدولة الى البصرة استأمن كثير من الديلم الذين معه الى العلاء نحو من اربعمائة، فبعثهم مع قائده السكرستان الى البصرة، وقاتلوا أصحاب بهاء الدولة، ومال اليهم اهل البلد ومقدّمهم أبو الحسن بن أبي جعفر العلوي، وارتاب بهم بهاء الدولة فهرب الكثير منهم الى السكرستان، وحملوه في السفن فأدخلوه البصرة . وركب بهاء الدولة وأصحابه فكتب الى مهذب الدولة صاحب البطيحة يغريه بالبصرة فبعث اليها جيشاً مع قائده عبدالله ابن مرزوق فغلب عليها السكرستان، وملكها لمهذب الدولة، ثم عاد السكرستان وقاتلها، وكاتب مهذب الدولة بالصلح والطاعة والخطبة له بالبصرة، وأعطى ابنه رهينةً على ذلك فأجابه وملك البصرة وعسف بهم، وكان يظهر طاعة صمصام الدولة وبهاء الدولة ومهذب الدولة .

ثم انّ العلاء بن الحَسَن نائب صمصام الدولة بخوزستان توفي بعسكر مكرم فبعث مكانه أبا علي اسماعيل بن أستاذ هرمز، وسار الى جنديسابور فدفع عنها أصحاب بهاء الدولة، وأزاح الاتراك عن ثغر خراسان جملة، وعادوا الى واسط، وكاتب جماعة منهم ففزعوا اليه ؛ ثم زحف اليهم أبو محمد مكرم والاتراك وجرت بينهم وقائع؛ ثم انتقض أبو علي اسماعيل بن أستاذ هرمز، ورجع

الى طاعة بهاء الدولة وهو بواسط سنة ثمان وثمانين فاستوزره ودبر أمره واستدعاه الى مظاهرة قائده ابن مكرم بعسكر مكرم فسار اليه، وكانت من اسماعيل خديعة تورّط فيها بهاء الدولة، واستمدّ بدر بن حسنويه فأمدّه بعض الشيء، وكاد يهلك، ثم جاءه الفرج بقتل صمصام الدولة .

مقتل صمصام الدولة

كان صمصام الدولة بن عضد الدولة مستولياً على فارس كما ذكرناه، وكان أبو القاسم وأبو نصر ابنا بَختِيار محبوسين ببعض قلاع فارس فجرّد الموكلين بهما في القلعة وأخرجوا عنها، واجتمع اليهما من الاكراد . وكان جماعة من الديلم استوحشوا من صمصام الدولة لما أسقطهم من الديوان فلحقوا بابني بختيار، وقصدوا أرّجان، وتجهز صمصام الدولة اليهم . وكان أبو علي ابن استاذ هرمز مقيماً بنسا فثار به الجند، وحبسه ابنا بختيار، ثم نجا، وقصد صمصام الدولة القلعة التي على شيراز ليمتنع فيها الى أن يأتيه المدد فلم يمكنه أن يأتيها من ذلك، وأشار عليه باللحاق بأبي علي بن أستاذ هرمز أو بالاكراد، وجاءته منهم طائفة فخرج معهم باموإله فنهبوه وسار الى الرودمان على مرحلتين من شيراز . وجاء أبو النصر ابن بختيار الى شيراز فقبض صاحب الرودمان على صمصام الدولة، وأخذه منه أبو نصر وقتله في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين لتسع سنين من امارته على فارس .

استيلاء بهاء الدولة على فارس

ولما قتل صمصام الدولة، وملك ابنا بختيار بلاد فارس كتبا الى أبي عليّ بن أستاذ هرمز في الاهواز بأخذ الطاعة لهما من الديلم، ومحاربة بهاء الدولة فخافهما أبو علي بما كان من قتله أخويهما، وأغرى الديلم بطاعة بهاء الدولة وراسله واستحلفه لهم فحلف وضمن لهم غائلة الاتراك الذين معه، وأغراهم بثأر أخيه من ابني بختيار فدخلوا في طاعته، وجاءه وفد من أعيانهم فاستوثقوا منه وكتبوا الى من كان بالسوس منهم بذلك. وركب بهاء الدولة الى نائب السوس فقاتلوه أوّلا ثم اجتمعوا عليه وساروا الى الاهواز ثم الى رامهرمز وأرّجان، وملكوا سائر بلاد خوزستان. وسار أبو علي ابن اسماعيل الى شيراز وقاتلهما، وتسرب اليه أصحاب ابني بختيار فاستولى على شيراز سنة تسع وثمانين، ولحق أبو نصر بن بختيار ببلاد الديلم وأبو القاسم ببدر بن حسنويه، ثم بالبطيحة، وكتب أبو علي الى بهاء الدولة بالفتح فجاءه وترك شيراز وأحرق قرية الرودمان حيث قتل أخوه صمصام الدولة، واستأصل أهلها، وبعث عسكراً مع أبي الفتح الى جعفر بن أستاذ هرمز الى كرمان فملكها.

ولما لحق أبو القاسم بن بختيار ببلاد الديلم كاتب من هنالك الديلم الذين بكرمان وفارس تسلمهم فأجابوه وسار الى بلاد فارس، واجتمع عليه كثير من الزطّ والديلم والاتراك. ثم سار الى كرمان

وبها أبو جعفر بن أستاذ هرمز فهزمه الى السرجان، ومضى ابن بختيار الى جيرَفت فلكها وأكثر كرمان، وبعث بهاء الدولة الموفق بن عليّ بن اسماعيل في العساكر الى جيرفت فاستأمن اليه ما كان بها من أصحاب بختيار، وملكها وتجرّد في جماعة من شجعان أصحابه لاتباع ابن بختيار فلحقه بدارين، وقاتله فغدر به بعض أصحابه فقتله وحمل رأسه الى الموفق، واستولى على بلاد كرمان واسماعيل عليها، وعاد الى بهاء الدولة فتلقاه وعظّمه واستعفى الموفق من الخدمة فلم يعفه، ولجّ الموفق في ذلك فقبض عليه بهاء الدولة، وكتب الى وزيره سابور بالقبض على ذويه، ثم قتله سنة أربع وتسعين، واستعمل بهاء الدولة أبا محمد مكرماً على عُمان .

الخبر عن وزراء بهاء الدولة

قد ذكرنا أنّ بهاء الدولة كان استوزر أبا نصر بن سابور بن أردشير ببغداد، وقبض على وزيره أبي منصور بن صالحان قبل مسيره الى خوزستان، وان أبا الحسن بن المعلم كان يدبر دولته وذلك منذ سنة ثمانين فاستولى ابن المعلم على الامور وانصرفت اليه الوجوه فأساء السيرة، وسعى في ابي نصر خواشاده وابي عبدالله بن طاهر فقبضهما بهاء الدولة مرجعه من خوزستان ، وشغب الجند وطلبوا تسليمه اليهم، ولاطفهم فلم يرجعوا فقبض عليه وسلمه اليهم فقتلوه، وذلك سنة اثنتين وثمانين . ثم قبض على وزيره أبي نصر بالاهواز سنة إحدى وثمانين، واستوزر أبا القاسم عبد العزيز

ابن يوسف، ثم استوزر بعده أبا القاسم علي بن احمد وقبض عليه سنة اثنتين وثمانين لاتهامه بمداخلة الجند في امر ابن المعلم، واستوزر أبا نصر بن سابور، وابا منصور بن صالحان جميعاً . وشغب الجند على ابي نصر ونهبوا داره سنة ثلاث وثمانين فاستعفى رفيقه ابن صالحان فاستوزر ابا القاسم علي بن احمد، ثم هرب، وعاد ابو نصر الى الوزارة بعد ان اصلح امور الديلم فاستوزر مكانه الفاضل ، وقبض عليه سنة ست وثمانين، واستوزر ابا نصر سابور بن أردشير فبقي شهرين، وفرّق اموال بهاء الدولة في القوّاد ثم هرب الى البطيحة فاستوزر بهاء الدولة مكانه عيسى بن ماسرجس .

ولاية العراق

كان بهاء الدولة منذ استولى على فارس سنة تسع وثمانين أقام بها، وولى على خوزستان والعراق ابا جعفر الحجاج بن هرمز فنزل بغداد ولقبه عميد الدولة فساءت سيرته، وفسدت اموال البلاد وعظمت الفتنة ببغداد بين الشيعة واهل السنة، وتطاول الدعار والعيارون فعزله بهاء الدولة سنة تسعين، وولى مكانه ابا علي الحسن بن أستاذ هرمز، ولقبه عميد الجيوش فأحسن السيرة وحسم الفتنة وحمل الى بهاء الدولة اموالًا جليلة . ثم ولى مكانه سنة احدى وتسعين أبا نصر سابور وثار به الاتراك ببغداد فهرب منهم ووقعت الفتنة بين اهل الكرخ والاتراك، وكان اهل السنة مع الاتراك . ثم مشى الاعلام بينهم في الصلح فتهادنوا .

انقراض دول وابتداء اخرى في النواحي

وفي سنة ثمانين ابتدأت دولة بني مروان بديار بكر بعد مقتل خالهم باد، وقد مرّ ذكره . وفي سنة اثنتين وثمانين انقرضت دولة بني حمدان بالموصل وابتدئت دولة بني المسيب من عقيب كما نذكرها . وفي سنة اربع وثمانين انقرضت دولة بني سامان من خراسان وابتدئت دولة بني سبكتكين فيها . وفي سنة تسع وثمانين انقرضت دولة بني سامان مما وراء النهر وانقسمت بنو سبكتكين وملك الخاقان ملك الترك . وفي سنة ثمان وثمانين ابتدأت دولة بني حسنويه الاكراد بخراسان . وفي سنة تسع وتسعين كان ابتداء دولة بني صالح بن مرداس من بني كلاب بحلب كما نستوفي سياقة اخبارهم في دولهم منفردة كما شرطناه .

ظهور بني مزيد

وفي سنة سبع وثمانين خرج أبو الحسن علي بن مزيد في قومه بني أسد، ونقض طاعة بهاء الدولة فبعث اليه العساكر فهرب أمامهم وأبعد حتى امتنع عليهم . ثم بعث في الصلح والاستقامة وراجع الطاعة . ثم رجع الى انتقاضه سنة اثنتين وتسعين، واجتمع مع قرواش بن المقلد صاحب الموصل وقومه بني عقيل فحاصروا المدائن . ثم بعث اليهم أبو جعفر الحجاج وهو نائب بغداد العساكر فدفعوهم عنها، وخرج الحجاج، واستنجد خفاجة فجاء من الشام وقاتل بني

عقيل وبني أسد فهزموه . ثم خرج اليهم ولقيهم بنواحي الكوفة فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والأسر، واستباح ملك بني مزيد، وظهر في بغداد في مغيب أبي جعفر من الفتنة والفساد والقتل والنهب ما لا يحصي فكان ذلك السبب في أن بعث بهاء الدولة أبا علي بن جعفر أستاذ هرمز كما مرّ، ولقبه عميد الجيوش فسكن الفتنة وأمن الناس .

ولما عزل أبو جعفر أقام بنواحي الكوفة، وارتاب به أبو عليّ فجمع الديلم والاتراك وخفاجة وسار اليه، واقتتلوا بالنعمانية، وذلك سنة ثلاث وتسعيّن فانهزم أبو جعفر وسار أبو عليّ الى خوزستان، ثم الى السوس فعاد أبو جعفر الى الكوفة ورجع أبو علي في اتباعه فلم تزل الفتنة بينهما ، وكل واحد منهما يستنجد ببني عقيل وبني أسد وخفاجة، حتى أرسل بهاء الدولة عن أبي علي وبعثه الى البطيحة لفتنة بني واصل كما نذكره في دولتهم .

ولما كانت سنة سبع وتسعين جمع أبو جعفر وسار لحصار بغداد، وأمدّه ابن حسنويه أمير الاكراد، وذلك أنّ عميد الجيوش ولّى على طريق خُراسان أبا الفضل بن عنّان وكان عدوّ البدر بن حسنويه فارتاب لذلك، واستدعى أبا جعفر، وجمع له جموعاً من أمراء الاكراد، منهم هندي بن سعد وابو عيسى شادي بن محمد، ورزام بن محمد . وكان ابو الحسن عليّ بن مزيد الاسدي انصرف عن بهاء الدولة مُغاضباً له فسار معهم، وكانوا عشرة آلاف، وحاصروا بغداد وبها

ابو الفتح بن عنان شهراً . ثم جاءهم الخبر بانهزام ابن واصل بالبطيحة الذي سار عميد الجيوش اليه فافترقوا وعاد ابن مزيد الى بلده، وسار ابو جعفر الى حلوان، وأرسل بهاء الدولة في الطاعة، وحضر عنده بتستر فأعرض عنه رغباً لعميد الجيوش .

فتنة بني مزيد وبني دبيس

كان ابو الغنائم محمد بن مزيد مقيماً عند اصهاره بني دبيس في جزيرتهم بخوزستان فقتل ابو الغنائم بعض رجالاتهم، ولحق بأخيه ابي الحسن فانحدر ابو الحسن اليهم في الفي فارس، واستمدّ عميد الجيوش فأمدّه بعسكر من الديلم، ولقيهم فانهزم ابو الحسن، وقتل اخوه ابو الغنائم .

ظهور دعوة العلوية بالكوفة والموصل

وفي أوّل المائة الخامسة خطب قرواش بن المقلّد أمير بني عقيل لصاحب مصر الحاكم العلويّ في جميع أعماله : وهي الموصل والانبار والمدائن والكوفة فبعث القادر القاضي أبا بكر الباقلاني الى بهاء الدولة يعرّفه فأكرمه، وكتب الى عميد الجيوش بمحاورة قرواش، وأطلق له مائة الف دينار يستعين بها . وسار عميد الجيوش لذلك فراجع قرواش الطاعة، وقطع خطبة العلويين، وكان ذلك داعياً في كتابة المحضر بالطعن في نسب العلويّة بمصر، شهد فيه الرضي والمُرْتَضَى وابن البطحاوي وابن الازرق والزكي وابو يعلى عمر بن محمد، ومن العلماء والقضاة ابن الاكفاني وابن الجزري وابو العباس

الابيوردي وابو حامد الاسفرايني والكستلي والقدوري والصهيري وأبو عبدالله البيضاوي وابو الفضل النسوي وابو عبدالله النعمان فقيه الشيعة . ثم كتب ببغداد محضر آخر بمثل ذلك سنة أربع واربعين وزيد فيه انتسابهم الى الديصانية من المجوس وبني القدّاح من اليهود، وكتب فيه العلويّة والعباسِيَّة والفقهاء والقضاة، وعملت به نسخ وبعث بها الى البلاد .

وفاة عميد الجيوش وولاية فخر الملك

كان عميد الجيوش أبو علي بن ابي جعفر أستاذ هرمز، وكان ابو جعفر هذا من حجاب عضد الدولة وجعل ابنه ابا عليّ في خدمة ابن صمصام الدولة . فلما قتل رجع الى خدمة بهاء الدولة، ولما استولى الخراب على بغداد وظهر العيّارون بعثه بهاء الدولة عليها فأصلحها وقمع المفسدين، ومات لثمان سنين ونصف من ولايته الى أوّل المائة الخامسة . وولى بهاء الدولة مكانه بالعراق فخر الملك أبا غالب فوصل بغداد واحسن السياسة واستقامت الامور به، واتفق لاوّل قدومه وفاة ابي الفتح محمد بن عنّان صاحب طريق خُراسان بحلوان لعشرين سنة من امارته، وكان كثير الاجلاب على بغداد . فلما توفي ولّي ابنه ابو الشوك وقام مقامه فبعث فخر الملك العساكر لقتاله فهزموه الى حُلوان . ثم راجع الطاعة وأصلح حاله .

مقتل فخر الملك وولاية ابن سهلان

كان فخر الملك أبو غالب من أعظم وزراء بني بويه، وولي

نيابة بغداد لسلطان الدولة خمس سنين وأربعة أشهر . ثم قبض عليه وقتله في ربيع سنة ست وأربعمائة، وولى مكانه أبا محمد الحسن بن سهلان ولقبه عميد أصحاب الجيوش . وسار سنة تسع الى بغداد وجرد من الطريق مع طراد بن دشير الاسديّ في طلب مهارش ومضر ابني دشير، وكان مضر قد قبض عليه قديماً بأمر فخر الملك، فأراد أن يأخذ جزيرة بني أسد منه ويوليها طرادا فساروا عن المدار واتبعهم ولحق الحسن بن دبيس آخرهم فأوقع به واستباحه . ثم استأمن له مضر ومهارش فأمنهما وأشرك معهما طراداً في الجزيرة، ورجع وأنكر عليه سلطان الدولة فعله، ووصل الى واسط والفتنة قائمة فأصلحها . ثم بلغه اشتداد الفتن ببغداد فسار وأصلحها، وكان أمر الديلم قد ضعف ببغداد وخرجوا الى واسط .

الفتنة بين سلطان الدولة واخيه ابي الفوارس

قد ذكرنا أنّ سلطان الدولة لما ملك بعد أبيه بهاء الدولة ولى أخاه أبا الفوارس على كرمان فلما سار اليها اجتمع اليه الدَّيْلَم وحملوه على الانتقاض وانتزاع المُلك من يد أخيه فسار سنة ثمان الى شيراز . ثم سار منها ولقيه سلطان الدولة فهزمه، وعاد الى كرمان، واتبعه سلطان الدولة فخرج هارباً من كرمان، ولحق محمود بن سَبُكْتَكِين مستنجداً به فأكرمه وأمدّه بالعساكر، وعليهم أبو سعيد الطائي من أعيان قُوّاده فسار الى كرمان وملكها، ثم الى شيراز كذلك، وعاد سلطان الدولة لحربه فهزمه وأخرجه من

بلاد فارس الى كرمان، وبعث الجيوش في أثره فانتزعوا كرمان منه . ولحق بشمس الدولة بن فخر الدولة بن بويه صاحب همذان، وترك ابن سبكتكين لانه أساء معاملة قائده أبي سعيد الطائي . ثم فارق شمس الدولة الى مهذب الدولة صاحب البطيحة فأكرمه، وبعث اليه أخوه جلال الدولة من البصرة مالًا وثياباً، وعرض عليه المسير اليه فأبى وأرسل أخاه سلطان الدولة في المراجعة وأعاده الى ولاية كرمان، وقبض سلطان الدولة سنة تسع على وزير بن فانجس واخوته، وولى مكانه أبا غالب الحسن بن منصور .

خروج الترك من الصين

وفي سنة ثمان وأربعين خرجت من المفازة التي بين الصين وما وراء النهر أمم عظيمة من الترك تزيد على ثلثمائة ألف خيمة، ويسمون الخيمة جذكان، ويتخذونها من الجلود . وكان معظمهم من الخطا قد ظهروا في ملك تركستان، فرض ملكها طغان فساروا اليها وعاثوا فيها . ثم أبلّ طغان واستنفر المسلمين من جميع النواحي، وسار اليهم في مائة وعشرين ألفاً فهُزِموا أمامه، واتبعهم مسيرة ثلاثة أشهر، ثم كبسهم فقتل منهم نحوًا من مائتي ألف، وأسر مائة ألف، وغنم من الدواب والبيوت وأواني الذَهَبِ والفِضَّةِ من معمول الصين ما لا يعبّر عنه .

ملك مشرف الدولة وغلبه على سلطان الدولة

لم يزل سلطان الدولة ثابت القدم في ملكه بالعراق الى سنة

احدى عشرة وأربعمائة فشغب عليه الجند ونادوا بشعار أخيه مشرف الدولة فأشير عليه بحبسه فعف عن ذلك، وأراد الانحدار الى واسط فطلبه الجند في الاستخلاف فاستخلف أخاه مشرف الدولة على العراق، وسار الى الاهواز فلما بلغ تستر استوزر سهلان، وقد كان اتفق مع أخيه مشرف الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره فاستوحش لذلك مشرف الدولة، وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان أن لا يستوزره فاستوحش لذلك مشرف الدولة، وبعث سلطان الدولة الوزير ابن سهلان ليُخرِجه من العراق فجمع أتراك واسط وأبا الاغرديبس ابن عليّ بن مزيد، ولقي ابن سهلان عند واسط فهزمه وحاصره بها حتى اشتدّ حصاره، وجهده الحصار فصالحه، ونزل عن واسط فملكها في ذي الحجة من سنة احدى عشرة .

وسار الديلم الذين بواسط في خدمته، وسار اخوه جلال الدولة ابو طاهر صاحب البصرة الى وفاقه، وخطب له ببغداد، وقبض على ابن سهلان وكحله . وسار سلطان الدولة الى أرّجان . ثم رجع الى الاهواز، وثار عليه الاتراك الذين هنالك، ودعوا بشعار مشرف الدولة، وخرجوا الى السابلة فأقبضوها . وعاد مشرف الدولة الى بغداد فخطب له بها سنة اثنتي عشرة، وطلب منه الديلم أن ينحدروا الى بيوتهم بخوزستان فبعث معهم وزيره أبا غالب فلما وصلوا الى الاهواز انتقضوا ونادوا بشعار سلطان الدولة وقتلوا أبا غالب لسنة ونصف من وزارته . ولحق الاتراك الذين كانوا معه بطراد

ابن دبيس بالجزيرة . وبلغ سلطان الدولة قتل أبي غالب، وافتراق الديلم فأنفذ ابنه أبا كاليجار الى الاهواز وملكها. ثم وقع الصلح بينهما على يد أبي محمد بن أبي مكرم، ومؤيد الملك الرخجي على أن تكون العراق لمشرف الدولة، وفارس وكرمان لسلطان الدولة.

واستوزر مشرف الدولة أبا الحسين بن الحسن الرخجي ولقبه مؤيد الملك بعد قتل أبي غالب ومصادرة ابنه أبي العباس . ثم قبض عليه سنة أربع عشرة بعد حول من وزارته بسعاية الاثير الخادم فيه، واستوزر مكانه أبا القاسم الحسين ابن عليّ بن الحسين المغربي كان أبوه من أصحاب سيف الدولة بن حمدان، وهرب الى مصر وخدم الحاكم فقتله وهرب ابنه أبو القاسم هذا الى الشام، وحمل حسان بن الفرج ابن الجراح الطائي على نقض طاعة الحاكم، والبيعة لابي الفتوح الحسن بن جعفر العلوي أمير مكة فاستقدمه الى الرملة وبايعه . ثم خالفه وعاد الى مكة، وقصد أبو القاسم العراق، واتصل بالوزير فخر الملك، وأمره القادر بابعاده فلحق بقرواش أمير الموصل، وكتب له ثم عاد الى العراق وتنقلت به الحال الى أن وزر بعد مؤيّد الملك الرخجي، وكان خبيثاً محتالا حسوداً . ثم قدم مشرف الدولة الى بغداد سنة أربع عشرة، ولقيه القادر ولم يلق أحداً قبله .

الخبر عن وحشة الاكراد وفتنة الكوفة

كان الاثير عنبر الخادم مستولياً في دولة مشرف الدولة الوزير

أبي القاسم المغربي عديله في حملها فنقم الاتراك عليهما، وطلب من مشرف الدولة الخراج (١) من بغداد خوفاً على أنفسهما فخرج معهما غضباً على الاتراك، ونزلوا على قرواش بالسِندِيَّة. واستعظم الاتراك ذلك، وبعثوا بالاعتذار والرغبة. وقال أبو القاسم المغربي دَخْلُ بغداد انما هو أربعمائة ألف، وخرجها ستمائة فاتركوا مائة وأحتمل مائة فأجابوه الى ذلك خداعاً. وشعر بوصولهم فهرب لعشرة أشهر من وزارته.

ثم كانت فتنة بالكوفة بين العَلَويّة والعبّاسيّة، وكان لابي القاسم المغربي صهر وصداقة في العلوية فاستدعى العبّاسيّون المغربيّ عليهم فلم يُعِدْهُم (٢) لمكان المغربي. وأمرهم بالصلح فرجعوا الى الكوفة، واستمدّ كل واحدٍ منهم خفاجة فأمدوهم وافترقوا عليهم، واقتتل العلوية والعباسيّة فغلبهم العلوية ولحقوا ببغداد، ومنعوا الخطبة يوم الجمعة، وقتلوا بعض قرابة العلوية الذين بالكوفة فعهد القادر للمرتضي أن يصرف أبا الحسن عليّ بن أبي طالب ابن عمر عن نقابة الكوفة، ويردّها الى المختار صاحب العباسيّة. وبلغ ذلك المغربي عند قرواش بسرّ من رأى فشرع في ارغام القادر. وبعث القادر الى قرواش يطرده فلحق بابن مروان في ديار بكر.

وفاة مشرف الدولة وولاية اخيه جلال الدولة

ثم توفي مشرف الدولة ابو عليّ بن بهاء الدولة سنة ست عشرة

---

(١) كذا: والسياق يقتضي: الخروج.

(٢) يغيث.

في ربيع لخمس سنين من ملكه، وولي مكانه بالعراق أخوه ابو طاهر جلال الدولة صاحب البصرة، وخطب له ببغداد، واستقدم فبلغ واسط . ثم عاد الى البصرة فقطعت خطبته، وخطب ببغداد في شوّال لابن اخيه أبي كاليجار بن سلطان الدولة، وهو بخوزستان يحارب عمه أبا الفوارس صاحب كرمان . وسمع جلال الدولة بذلك فبادر الى بغداد، ومعه وزيره أبو سعد بن ماكولا . ولقيه عسكرها فردّوه أقبح ردّ ونهبوا خزائنه فعاد الى البصرة، واستحثوا أبا كاليجار فتباطأ لشغله بحرب عمه، وسار الى كرمان لقتال عمّه فملكها واعتصم عمه بالجبال . ثم تراسلا واصطلحا على أن تبقى كرمان لابي الفوارس، وتكون بلاد فارس لابي كاليجار .

قدوم جلال الدولة الى بغداد

ولما رأى الاتراك اختلال الاحوال، وضُعف الدولة بفتنة العامّة، وتسلُّط العرب والاكراد بحصار بغداد، وطمعهم فيها، وانهم بقوا فوضى، وندموا على ما كان منهم في ردّ جلال الدولة اجتمعوا الى الخليفة يرغبون اليه أن يحضر جلال الدولة من البصرة ليقيم أمر الدولة فبعث اليه القاضي ابا جعفر السمناني بالعهد عليه، وعلى القواد فسار جلال الدولة الى بغداد في جمادى من سنة ثمان عشرة . وركب الخليفة في الطيار لتلقيه فدخل ونزل التجيبي، وأمر بضرب الطبل في أوقات الصلوات . ومنعه الخليفة من ذلك فقطعه مغاضباً . ثم أذن له الخليفة فيه فأعاده، وارسل مؤيّد الملك أبا علي الرخجي

الى الاثير عنبر الخادم عند قرواش يستدعيه يعتذر عن الاتراك. ثم شغب الاتراك عليه سنة تسع عشرة، وحاصروه بداره، وطلبوا من الوزير ابي عليّ بن ماكولا أرزاقهم، ونهبوا دوره ودور الكتّاب والحواشي. وبعث القادر من أصلح بينهم وبينه فسكن شغبهم. ثم خالفوا أبا كاليجار بن سلطان الدولة الى البصرة فملكها، ثم ملك كرمان بعد وفاة صاحبها قوام الدولة ابي الفوارس ابن بهاء الدولة كما نذكر في أخبارهم في دولتهم عند إفرادها بالذكر فنستوفي أخبارهم، ودول سائر بني بويه وبني وشمكير وبني المَرْزُبان وغيرهم من الديلم في النواحي.

مسير جلال الدولة الى الاهواز

كان نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد صاحب الحلة، ولم تكن الحلة يومئذٍ بمدينة، قد خطب لابي كاليجار لمضايقة المقلّد بن ابي الاغر الحسن بن مزيد، وجمع عليه منيعا أمير بني خفاجة وعساكر بغداد فخطب هو لابي كاليجار، واستدعاه للملك واسط، وبها الملك العزيز ابن جلال الدولة فلحق بالنُعمانيّة وتركها، وضيق عليه نور الدولة من كل جهة فتفرق ناس من اصحابه وهلك الكثير من اثقاله. واستولى أبو كاليجار على واسط، ثم خطب له في البطيحة، وأرسل الى قرواش صاحب الموصل، وعنده الاثير عنبر يستدعيهما الى بغداد فانحدر عنبر الى الكحيل ومات به. وقعد قرواش، وجمع جلال الدولة عساكره ببغداد، واستمدّ أبا الشوك

وغيره، وانحدر الى واسط، وأقام هنالك من غير قتال، وضاقت عليه الاحوال. واعتزم أبو كاليجار على مخالفته الى بغداد، وجاءه كتاب ابي الشوك بزحف عساكر محمود بن سبكتكين الى العراق، ويشير بالصلح والاجتماع لمدافعتهم فأنفذ ابو كاليجار الكتاب لجلال الدولة فلم ينثه عن قصده، ودخل الاهواز فنهبها، وأخذ من دار الامارة مائتي الف دينار. واستباح العرب والاكراد سائر البلد، وحمل حريم كاليجار الى بغداد سُبِيًا فماتت أمه في الطريق.

وسار ابو كاليجار لاعتراض جلال الدولة، وتخلف عنه دبيس لدفع خفاجة عن أصحابه، واقتتلوا في ربيع سنة احدى وعشرين ثلاثة أيام فانهزم أبو كاليجار، وقتل من أصحابه ألفان. ودبيس لما فارق أبا كاليجار وصل الى بلده وجمع اليه جماعة من قومه، وكانوا منتقضين عليه بالجامعين فأوقع بهم وحبس منهم وردّهم الى وفاقه. ثم لقي المقلد بن أبي الاغرّ وعساكر جلال الدولة فانهزم امامهم وأسر جماعة من أصحابه، وسار منهزماً الى ابي سنان غريب ابن مكين فأصلح حاله مع جلال الدولة واعاده الى ولايته على ضمان عشرة آلاف دينار، وسمع بذلك المقلّد فجمع خفاجة ونهبوا النيل وسورا وأحرقوا منازلها. ثم عبر المقلّد الى أبي الشوك فأصلح أمره مع جلال الدولة. ثم بعث جلال الدولة سنة احدى وعشرين عسكره الى المدار فملكها من يد أصحاب أبي كاليجار،

واستباحوها، وبعث أبو كاليجار عسكره لمدافعتهم فهزموهم، وثار أهل البلد بهم فقتلوهم، ولحق من نجا منهم بواسط، وعادت المدار الى ابي كاليجار .

استيلاء جلال الدولة على البصرة ثانيا وانتزاعها منه

لما استولى جلال الدولة على واسط نزل بها ولده، وبعث وزيره أبا عليّ بن ماكولا الى البطائح فملكها. ثم بعثه الى البصرة وبها أبو منصور بختيار بن علي من قبل أبي كاليجار، فسار في السفن وعليهم أبو عبدالله الشرابي صاحب البطيحة فلقي بختيار وهزمه . ثم سار الوزير أبو عليّ في اثره في السفن فهزمه بختيار . وسيق اليه أسيراً فأكرمه وبعثه الى أبي كاليجار فأقام عنده، وقتله غلمانه خوفاً منه لقبيح منه اطلع عليه . وكان قد أحدث في ولايته رسوماً جائرةً ومكوساً فاضحةً . ولما أصيب الوزير أبو علي بعث جلال الدولة من كان عنده من جند البصرة فقاتلوا عسكر أبي كاليجار، وهزموهم وملكوا البصرة، ونجا من كان بها الى ابي منصور بختيار بالأُبُلّة . وبعث السفن لقتاله من بالبصرة فظفر بهم اصحاب جلال الدولة فسار بختيار بنفسه وقاتلهم، وانهزم وقتل، واخذ كثير من السفهاء .

وعزم الاتراك بالبصرة على المسير الى الابلة، وطلبوا المال من العامل فاختلفوا وتنازعوا وافترقوا، ورجع صاحب البطيحة واستأمن آخرون الى ابى الفرج بن مسافجس وزير ابي كاليجار .

وجاء الى البصرة فملكها . ثم توفي بختيار نائب الملك ابي كاليجار في البصرة، وقام بعده صهره أبو القاسم بطاعة أبي كاليجار في البصرة . ثم استوحش وانتقض، وبعث بالطاعة لجلال الدولة، وخطب له، وبعث الى ابنــه العزيز بواسط يستدعيه فسار اليه واخرج عساكر ابي كاليجار، وأقام معه الى سنة خمس وعشرين والحكم لابي القاسم . ثم أغراه الديلم به وانه يتغلب عليهم فأخرجه العزيز وامتنع بالابلة وحاربهم أياماً، وأخرج العزيز عن البصرة، ولحق بواسط، وعاد ابو القاسم الى طاعة ابي كاليجار .

وفاة القادر ونصب القائم

ثم توفي القادر بالله سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة لاحــدى وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته، وكانت الخلافة قبلها قد ذهب رونقها بجسارة الديلم والاتراك عليها فأعاد اليها أبهتها وجدّد ناموسها، وكان له في قلوب الناس هيبة . ولما توفي نصب للخلافة ابنه أبو جعفر عبدالله، وقد كان أبوه بايع له بالعهد في السنة قبلها لمرض طرقه وأرجف الناس بموته، فبويع الآن واستقرّت له الخلافة، ولقب القائم بأمر الله . وأوّل من بايعه الشريف المرتضى . وبعث القاضي أبا الحسن الماوردي الى أبي كاليجار ليأخذ عليه البيعة، ويخطب له في بلاده فأجاب وبعث بالهدايا، ووقعت لاوّل بيعته فتنة بين أهل السنة والشيعة، وعظم الهرج والنهب والقتل، وخربت فيها أسواق، وقتل كثير من جباة المكوس . وأصيب

اهل الكرخ، وتطرق الدعار الى كبس المنازل ليلاً، وتنادى الجند بكراهية جلال الدولة، وقطع خطبته . ولم يجبهم القائم الى ذلك، وفرق جلال الدولة فيهم الاموال فسكنوا، وقعد في بيته، وأخرج دوابه من الاصطبل وأطلقها بغير سائس ولا حافظ لقلة العلف . وطلب الاتراك منه أن يحملهم في كل وقت فأطلقها، وكانت خمسة عشر وفقد الجاري [1] فطرد الطواشي والحواشي والاتباع، وأغلق باب داره، والفتنة تتزايد الى آخر السنة .

وثوب الجند بجلال الدولة وخروجه من بغداد

ثم جاء الاتراك سنة ست وعشرين الى جلال الدولة فنهبوا داره وكتبه ودواوينه، وطلبوا الوزير أبا اسحاق السهيلي فهرب الى حلة غريب بن مكين، وخرج جلال الدولة الى عكبرا وخطبوا ببغداد لابي كاليجار وهو بالاهواز، واستقدموه فأشار عليه بعض أصحابه بالامتناع فاعتذر اليهم فأعادوا جلال الدولة . وساروا اليه معتذرين، وأعادوه بعد ثلاثة وأربعين يوماً . واستوزر ابا القاسم ابن ماكولا، ثم عزله واستوزر عميد الملك ابا سعيد عبد الرحيم . ثم امره بمصادرة ابي المعمر بن الحسين البساسيري فاعتقله في داره، وجاء الاتراك لمنعه فضربوا الوزير ومزّقوا ثيابه وادموه . وركب جلال الدولة فأطفأ الفتنة وأخذ من البساسيري ألف دينار وأطلقه، واختفى الوزير .

(١) كذا وفي الكامل ج ٧ ص ٣٠٦: وانصرف الطبالون لانقطاع الجاري لهم، ودامت هذه الحال إلى عيد الفطر.

ثم شغب الجند ثانياً في رمضان، وأنكروا تقديم الوزير أبي القاسم[1] من غير علمهم، وانه يريد التعرّض لاموالهم فوثبوا به ونهبوا داره وأخرجوه الى مسجد هنالك فوكلوا به فوثب العامّة مع بعض القواد من أصحابه فأطلقوه، وأعادوه الى داره، وذهب هو في الليل الى الكرخ بحرمه ووزيره أبو القاسم معه. واختلف الجند في أمره وأرسلوا اليه بأن يملكوا بعض أولاده الاصاغر، وينحدر هو الى واسط، وهو في خلال ذلك يستميلهم حتى فرّق جماعتهم، وجاء الكثير اليه فأعادوه الى داره، واستخلف البساسيري في جماعة للجانب الغربي سنة خمس وعشرين لاشتداد أمر العيّارين ببغداد، وكثرة الهرج، وكفايته هو ونهضته[2].

ثم عاد أمر الخلافة والسلطنة الى أن اضمحل وتلاشى، وخرج بعض الجند الى قرية فلقيهم أكراد وأخذوا دوابهم وجاؤوا الى بستان القائم فتعللوا على عماله بأنهم لا يدفعوا عنهم، ونهبوا ثمرة البستان، وعجز جلال الدولة من عتاب الاكراد وعقاب الجند، وسخط القائم أمره وتقدّم الى القضاة والشهود والفقهاء بتعطيل المراتب الدينية فرغب جلال الدولة من الجند أن يحملهم الى ديوان الخلافة فحملوا وأطلقوا، وعظم امر العيارين وصاروا في حماية الجند، وانتشر العرب في النواحي فنهبوها وافسدوا السابلة، وبلغوا جامع

(١) تقدم أنه عزله والظاهر أنه أعاده فشغب الجند من إعادته.
(٢) كذا في الأصل وكذا في الكامل لابن الأثير.

المنصور من البلد، وسلبوا النساء في المقبرة .

ولحق الوزير ابو سعيد وزير جلال الدولة بأبي الشوك مفارقاً للوزارة، ووزر بعده ابا القاسم فكثرت مطالبات الجند عليه فهرب واخذه الجند وجاؤا به الى دار الملك حاسراً عارياً إلّا من قميص خَلِق، وذلك لشهرين من وزارته . وعاد سعيد بن عبد الرحيم الى الوزارة . ثم ثار الجند سنة سبع وعشرين بجلال الدولة واخرجوه من بغداد بعد ان استمهلهم ثلاثاً فأبوا ورموه بالحجارة فأصابوه، ومضى الى دار المرتضى بالكرخ . وسار منها الى رافع بن الحسين ابن مكن بتكريت، ونهب الاتراك داره، وقلعوا ابوابها، ثم اصلح القائم شأنه مع الجند، واعاده وقبض على وزيره ابي سعيد بن عبد الرحيم، وهي وزارته السادسة . وفي هذه السنة نهى القائم عن التعامل بالدنانير المُعِزّيّة، وتقدّم إلى الشهود ان لا يذكروها في كتب التعامل .

الصلح بين جلال الدولة وابي كاليجار

تردّدت الرسل سنة ثمان وعشرين بين جلال الدولة وابن اخيه ابي كاليجار حتى انعقد بينهما الصلح على يد القاضي ابي الحسن الماوردي وأبي عبدالله المردوسني، واستحلف كل واحد منهما للآخر، وأظهر جلال الدولة سنة تسع وعشرين من القائم الخطاب بملك الملوك فردّ ذلك الى الفتيا، وأجازه القاضي أبو الطيّب الطَبَرِيّ، والقاضي أبو عبدالله الصيمري والقاضي ابن البيضاوي وأبو القاسم

الكرخي، ومنع منه القاضي أبو الحسن الماوردي وردّ عليهم فأخذ بفتواهم، وخطب له بملك الملوك. وكان الماوردي من أخص الناس بجلال الدولة، وكان يتردّد اليه. ثم انقطع عنه بهذه الفتيا، ولزم بيته من رمضان الى النحر فاستدعاه جلال الدولة وحضر خائفاً، وشكره على القول بالحق، وعدم المحاباة، وقد عدت الى ما تحب فشكره ودعا له، وأذن للحاضرين بالانصراف معه، وكان الاذن لهم تبعاً له.

استيلاء ابي كاليجار على البصرة

وفي سنة احدى وثلاثين بعث أبو كاليجار عساكره الى البصرة مع العادل أبي منصور ابن مافنّة، وكانت في ولاية الظهير أبي القاسم، (١) وليها بعد بختيار، انتقض عليه مرة ثم عاد، وكان يحمل الى أبي كاليجار كل سنة سبعين ألف دينار، وكثرت أمواله ودامت دولته. ثم تعرّض ملا الحسين بن أبي القاسم بن مكرم صاحب عُمان فكاتب أبا كاليجار وضمن البصرة بزيادة ثلاثين ألف دينار، وبعث أبو كاليجار العساكر مع ابن مسافيه كما ذكرنا. وجاء المدد من عُمان الى البصرة، وملكوها وقبض على الظهير أبي القاسم، وأخذت أمواله، وصودر على مائتي الف دينار فأعطاها. وجاء الملك ابو كاليجار البصرة فأقام بها اياماً وولى فيها ابنه عزّ الملوك، ومعه الوزير أبو الفرج ابن فسانجس، ثم عاد الى الاهواز

(١) كذا بياض بالأصل ويظهر مما ذكره ابن الأثير في ج ٨ ص ١٩ أن العبارة مستقيمة.

وحمل معه الظّهْر .

شغب الاتراك على جلال الدولة

ثم شغب الاتراك على جلال الدولة سنة اثنتين وثلاثين، وخيّموا بظاهر البلد، ونهبوا منها مواضع . وخيم جلال الدولة بالجانب الغربي وأراد الرحيل عن بغداد فمنعه أصحابه فاستمدّ دبيس بن مزيد وقرواشاً صاحب الموصل فأمدّوه بالعساكر . ثم صلحت الاحوال بينهم، وعاد الى داره، وطمع الاتراك وكثر نهبهم وتعدّيهم، وفسدت الامور بالكلية .

دولة السلجوقية

ابتداء دولة السلجوقية

قد تقدم لنا أن أمم الترك في الربع الشرقي الشمالي من المعمور : ما بين الصين الى تركستان الى خوارزم والشاش وفرغانة، وما وراء النهر بخارى وسمرقند وترمذ، وان المسلمين أزاحوهم أوّل الملة عن بلاد ما وراء النهر وغلبوهم عليها، وبقيت تركستان وكاشغر والشاش وفرغانة بأيديهم يؤدّون عليها الجزاء [1] . ثم أسلموا عليها فكان لهم بتركستان مُلْكٌ ودولة نذكرها فيما بعد فانّ استفحالها كان في دولة بني سامان جيرانهم فيما وراء النهر . وكان في المفازة بين تركستان وبلاد الصين أمم من الترك لا يحصيهم إلّا خالقهم

(١) مفردها الجزية .

لاتساع هذه المفازة وبعد أقطارها فانها فيما يقال مسيرة شهر من كل جهة فكان هنالك احياء بادون منتجعون رجالة غذاؤهم اللحوم والالبان والذرة في بعض الاحيان، ومراكبهم الخيل، ومنها كسبهم وعليها قيامهم وعلى الشاء والبقر من بين الانعام فلم يزالوا بتلك القفار مذودين عن العمران بالحامية، والمالكين له في كل جهة .

وكان من أممهم الغزّ والخطا والتتر، وقد تقدّم ذكر هؤلاء الشعوب . فلما انتهت دولة ملوك تركستان، وكان شغر [1] الى غايتها، وأخذت في الاضمحلال والتلاشي كما هو شأن الدول وطبيعتها تقدّم هؤلاء الى بلاد تركستان فأجلبوا عليها بما كان غالب معاشهم في تخطف الناس من السبل، وتناول الرزق بالرماح بشأن أهل القفر البادين، وأقاموا بمفازة بُخارى .

ثم انقرضت دولة بني سامان، ودولة أهل تركستان . واستولى محمود بن سبكتكين من قوّاد بني سامان وصنائعهم على ذلك كله . وعبر بعض الايام الى بخارى فحضر عنده أرسلان ابن سلجوق فقبض عليه، وبعث به الى بلاد الهند فحبسه، وسار الى أحيائه فاستباحها، ولحق بخراسان، وسارت العساكر في اتباعهم فلحقوا بأصبهان، وهمّ صاحبها علاء الدولة ابن كالوَيه بالغدر بهم، وشعروا بذلك فقاتلوه بأصبهان فغلبهم فانصرفوا الى أذربيجان فقاتلهم صاحبها وهشودان من بني المرزُبان . وكانوا لما قصدوا أصبهان

(١) شغر الناس تفرقوا.

بقي فلّهم بنواحي خوارزم فعاثوا في البلاد، وخرج اليهم صاحب طوس وقاتلهم . وجاء محمود بن سبكتكين فسار في اتباعهم من رستاق الى جرجان، ورجع عنهم ثم استأمنوا فاستخدمهم وتقدّمهم يغمر، وأنزل ابنه بالريّ .

ثم مات محمود، وولِيَ أخوه مسعود، وشغل بحروب الهند فانتقضوا، وبعث اليهم قائداً في العساكر، وكانوا يسمون العراقية وأمراؤهم يومئذ كوكاش ومرقاوكول ويغمر وباصمكي، ووصلوا الى الدامغان فاستباحوها، ثم سمنان، ثم عاثوا في أعمال الريّ؛ واجتمع صاحب طَبَرِسْتان وصاحب الريّ مع قائد مسعود، وقاتلوهم فهزمهم الغُزُّ وفتكوا فيهم وقصدوا الريّ فملكوه، وهرب صاحبه الى بعض قلاعه فتحصّن بها، وذلك سنة ست وعشرين وأربعمائة .

واستألفهم علاء الدولة بن كاكَوَيْه ليدافع بهم ابن سَبُكْتَكين فأجابوه أوّلاً، ثم انتقضوا . وأمّا الذين قصدوا أذربيجان منهم، ومقدّموهم بوقا وكوكباش ومنصور ودانا فاستألفهم وهشودان ليستظهِرَ بهم فلم يحصل على بغيته من ذلك . وساروا الى مراغة سنة تسع وعشرين فاستباحوها، ونالوا من الاكراد المديانيّة فحاربوهم وغلبوهم وافترقوا فرقتين؛ فرجع بوقا الى أصحابهم الذين بالريّ، وسار منصور وكوكباش الى همدان، وبها أبو كاليجار بن علاء الدولة بن كالويه فظاهرهم على حصاره مثى خسرو بن مجد الدولة . فلما جهده الحصار لحق بأصبهان وترك البلد فدخلوها واستباحوها،

وفعلوا في الكرخ مثل ذلك، وحاصروا قزوين حتى أطاعوهم وبذلوا لهم سبعة آلاف دينار. وسار طائفة منهم الى بلد الارمن فاستباحوها وأثخنوا فيها ورجعوا الى أرمينية.

ثم رجعوا من الريّ الى حصار همذان، فتركها أبو كاليجار وملكوها سنة ثلاثين، ومعهم متى خسرو المذكور فاستباحوا تلك النواحي الى استراباذ، وقاتلهم أبو الفتح بن أبي الشوك صاحب الدينور فهزمهم وأسر منهم وصالحوه على اطلاق أسراهم. ثم مكروا بأبي كاليجار أن يكون معهم ويدبِّر أمرهم، وغدروا به ونهبوه. وخرج علاء الدولة من أصبهان فلقي طائفة منهم فأوقع بهم وأثخن فيهم، وأوقع وهشودان بمن كان منهم في أذربيجان وظفر بهم الاكراد وأثخنوا فيهم وفرّقوا جماعتهم.

ثم توفي كول أمير الغِزّ التي بالريّ، وكانوا لما أجازوا من وراء النهر الى خراسان بقي بمواطنهم الاولى هنالك طغرلبك بن ميكاييل بن سلجوق واخوته داود وسُغْدان ونيال وهمفري فخرجوا الى خراسان من بعدهم، وكانوا اشد منهم شوكةً وأقوى عليهم سلطاناً فسار نيال أخو طغرلبك الى الريّ فهربوا الى أذربيجان، ثم الى جزيرة ابن عمر وديار بكر. ومكر سليمان بن نصير الدولة ابن مروان صاحب الجزيرة بمنصور بن عزُ علي منهم فحبسه وافترق اصحابه، وبعث قرواش صاحب الموصل اليهم جيشه فطردهم وافترقت جموعهم، ولحق الغُزّ بديار بكر وأثخنوا فيها، وأطلق

نصير الدولة أميرهم منصوراً من يد ابنه فلم ينتفع منهم بذلك . وقاتلهم صاحب الموصل فحاصروه، ثم ركب في السفين ونجا الى السند وملكوا البلد وعاثوا فيها . وبعث قرواش الى الملك جلال الدولة يستنجده، والى دبيس بن مزيد وامراء العرب . وفرض الغزّ على اهل الموصل عشرين ألف دينار فثار الناس بهم، وكان كوكباش قد فارق الموصل فرجع ودخلها عَنوَةً في رجب سنة خمس وثلاثين، وأفحش في القتل والنهب . وكانوا يخطبون للخليفه ولطغرلبك بعده فكتب الملك جلال الدولة الى طغرلبك يشكو له بأحوالهم فكتب اليه انّ هؤلاء الغز كانوا في خدمتنا وطاعتنا، حتى حدث بيننا وبين محمود بن سبكتكين ما علمتم، ونهضنا اليه، وساروا في خدمتنا في نواحي خراسان فتجاوزوا حدود الطاعة وملكة الهيبة، ولا بدّ من انزال العقوبة بهم، وبعث الى نصير الدولة بعده يكفهم عنه .

وسار دبيس بن مزيد وبنو عقيل الى قرواش صاحب الموصل، وقعد جلال الدولة عن انجاده لما نزل به من الاتراك، وسمع الغُزّ بجموع قرواش فبعثوا الى من كان بديار بكر منهم، واجتمعوا اليهم، واقتتل الفريقان فانهزم العرب أوّل النهار، ثم أتيحت لهم الكرّة على الغزّ فهزموهم واستباحوهم وأثخنوا فيهم قتلًا وأسراً، واتبعهم، قرواش الى نصيبين، ورجع عنهم فساروا الى ديار بكر وبلاد الارمن والروم، وكثر عيثهم فيها . وكان طغرلبك واخوته

لما جاؤوا الى خراسان طالت الحروب بينهم وبين عساكر بني سبكتكين حتى غلبوهم وحصل لهم الظفر، وهزموا سياوشي حاجب مسعود آخر هزائمهم، وملكوا هراة فهرب عنها سياوشي الحاجب، ولحق بغزنة وزحف اليهم مسعود، ودخلوا البرية، ولم يزل في اتباعهم ثلاث سنين .

ثم انتهزوا فيه الفرصة باختلاف عسكره يوماً على الماء فانهزموا وغنموا عسكره، وسار طغرلبك الى نيسابور سنة احدى وثلاثين فملكها وسكن الساذياخ، وخطب له بالسلطان الاعظم العمال في النواحي . وكان الدعار قد اشتدّ ضررهم بنيسابور فسدّ أمرهم وحسم عللهم، واستولى السلجوقية على جميع البلاد . وسار بيقو الى هراة فملكها، وسار داود الى بلخ وبها القونتياق حاجب مسعود فحاصره وعجز مسعود عن امداده فسلم البلد لداود، واستقلّ السلجوقية بملك البلاد أجمع . ثم ملك طغرلبك طبرستان وجرجان من يد أنو شروان بن منوجهر قابوس، وضمنها أنو شروان بثلاثين ألف دينار، وولى على جرجان مرداويج من أصحابه بخمسين ألف دينار، وبعث القائم القاضي أبا الحسن الماوردي الى طغرلبك فقرّر الصلح بينه وبين جلال الدولة القائم بدولته ورجع بطاعته .

فتنة قرواش مع جلال الدولة

كان قرواش قد أنفذ عسكره سنة احدى وثلاثين لحصار خميس بن ثعلب بتكريت، واستغاث بجلال الدولة، وأمر قرواشاً

بالكف عنه فلم يفعل وسار لحصاره بنفسه . وبعث الى الاتراك ببغداد يستفسدهم على جلال الدولة فاطلع على ذلك فبعث أبا الحرث أرسلان البساسيري في صفر سنة اثنتين وثلاثين للقبض على نائب قرواش بالسُنْدُسِيَّة، واعترضه العرب فنموه ورجع وأقاموا بين صرصر وبغداد يفسدون السابلة، وجمع جلال الدولة العساكر، وخرج الى الانبار وبها قرواش فحاصرها . ثم اختلفت عقيل على قرواش فرجع الى مصالحة جلال الدولة .

وفاة جلال الدولة وملك ابي كاليجار

لما قلت الجبايات ببغداد مدّ جلال الدولة يده الى الجوالي فأخذها، وكانت خاصة بالخليفة ثم توفي جلال الدولة أبو طاهر ابن بهاء الدولة في شعبان سنة خمس وثلاثين وأربعمائة لسبع عشرة من ملكه . ولما مات خاف حاشيته من الاتراك والعامة فانتقل الوزير كمال الملك بن عبد الرحيم وأصحابه الاكابر الى حرم دار الخلافة، واجتمع القوّاد للمدافعة عنهم وكاتبوا الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة في واسط بالطاعة، واستقدموه وطلبوا حق البيعة فراوضهم[1] فيها فكاتبهم أبو كاليجار عنها فعدلوا اليه. وجاء العزيز من واسط وانتهى الى النعمانية فغدر به عسكره، ورجعوا الى واسط وخطبوا لابي كاليجار . وسار العزيز الى دبيس ابن مزيد، ثم الى قرواش بن المقلد، ثم فارقه الى أبي الشوك فغدر

(١) واراهم وخاتلهم.

به فسار الى نيال أخي طغرلبك فأقام عنده مدّة، ثم قصد بغداد مختفياً فظهر على بعض أصحابه فقتله، ولحق هو بنصير الدولة بن مروان فتوفي عنده بميافارقين سنة احدى وأربعين .

وأما أبو كاليجار فخطب له ببغداد في صفر سنة ست وثلاثين . وبعث الى الخليفة بعشرة آلاف دينار وبأموال أخرى فرقت الى الجند ولقبه القائم بمحيي الدين، وخطب له أبو الشوك ودبيس بن مزيد ونصير الدولة بن مروان بأعمالهم . وسار الى بغداد، ومعه وزيره أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمـد بن فسانجس . وهمّ القائم لاستقباله فاستعفى من ذلك، وخلع على أرباب الجيوش، وهم البساسيري والنساوري والهمام أبو اللقاء . وأخرج عميد الدولة أبا سعيد من بغداد فمضى الى تكريت، وعاد أبو منصور بن علاء الدولة ابن كالَوَيه صاحب أصبهان الى طاعته، وخطب له على منبره انحرافاً عن طغرلبك . ثم راجعه بعد الحصار واصطلحا على مال يحمله، وبعث أبو كاليجار الى السلطان طغرلبك في الصلح، وزوّجه ابنته فأجاب وتمّ بينهما سنة تسع وثلاثين .

وفاة ابي كاليجار وملك ابنه الملك الرحيم

كان أبو كاليجار والمرزبان بن سلطان الدولة قد سارا سنة أربعين الى نواحي كرمان، وكان صاحبها بهرام بن لشكرستان من وجوه الدَيلَم قد منع الحمل فتنكر له أبو كاليجار، وبعث الى أبي كاليجار يحتمي به، وهو بقلعة بردشير فملكها من يده،

وقتل بهرام بعض الجند الذين ظهر منهم على الميل لابي كاليجار فسار اليه ومرض في طريقه، ومات بمدينة جنايا في سنة أربعين لاربع سنين وثلاثة أشهر من ملكه. ولما توفي نهب الاتراك معسكره وانتقل ولده أبو منصور فلاستون الى مُخَيَّم الوزير أبي منصور، وأرادوا نهبه فمنعهم الديلم، وساروا الى شيراز فملكها أبو منصور واستوحش الوزير منه فلحق ببعض قلاعه، وامتنع بها، ووصل خبر وفاة أبي كاليجار الى بغداد، وبها ولده الملك الرحيم أبو نصر خسرو فيروز فبايع له الجند، وبعث الى الخليفة في الخطبة والتلقُّب بالملك الرحيم فأجابه الى ما سأل الا اللقب بالرحيم للمانع الشرعي من ذلك. واستقرّ ملكه بالعراق وخوزستان والبصرة، وكان بها أخوه أبو علي، واستولى أخوه أبو منصور كما ذكرنا على شيراز فبعث الملك الرحيم أخاه أبا سعد في العساكر فملكها، وقبض على أخيه أبي منصور، وسار العزيز جلال الدولة من عند قرواش الى البصرة فدافعه أبو علي بن كاليجار عنها. ثم سار الملك الرحيم الى خوزستان، وأطاعه من بها من الجند، وكثرت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة.

مسير الملك الرحيم الى فارس

ثم سار الملك الرحيم من الاهواز الى فارس سنة احدى وأربعين، وخيم بظاهر شيراز، ووقعت فتنة بين اتراك شيراز وبغداد فرحل أتراك بغداد الى العراق، وتبعهم الملك الرحيم لانحرافه عن أتراك

شيراز . وكان ايضاً منحرفاً عن الديلم بفارس لميلهم الى أخيه فلاستون باصطخر، وانتهى الى الاهواز فأقام بها واستخلف بأرّجان أخويه أبا سعد وأبا طالب فزحف اليهما أخوهما فلاستون، وخرج الملك الرحيم من الاهواز الى رامهرمز للقائهم فلقيهم وانهزم الى البصرة، ثم الى واسط . وسارت عساكر فارس الى الاهواز فملكوها وخيموا بظاهرها . ثم شغبوا على أبي منصور، وجاء بعضهم الى الملك الرحيم فبعث الى بغداد واستقرّ الجند الذين بها، وسار الى الاهواز فملكها وأقام ينتظر عسكر بغداد . ثم سار الى عسكر مكرم فملكها سنة اثنتين واربعين .

ثم تقدّم سنة ثلاث وأربعين، ومعه دبيس بن مزيد والبساسيري وغيرهما . وسار هزارشب بن تنكير ومنصور بن الحسين الاسدي فيمن معهما من الديلم والاكراد من أرّجان الى تستر فسبقهم الملك الرحيم اليها وغلبهم عليها . ثم زحف في عسكر هزارشب فوافاه أميره ابو منصور بمدينة شيراز فاضطربوا ورجعوا، ولحق منهم جماعة بالملك الرحيم فبعث عساكر الى رامهرمز وبها أصحاب أبي منصور فحاصرها وملكها في ربيع سنة ثلاث وأربعين . ثم بعث أخاه أبا سعد في العساكر الى بلاد فارس لان أخاه أبا نصر خسرو كان باصطخر وضجر من تغلب هزارشب بن تنكير صاحب أخيه أبي منصور فكتب الى أخيه الملك الرحيم بالطاعة فبعث اليه أخاه أبا سعد فأدخله اصطخر وملّكه .

ثم اجتمع أبو منصور فلاستون وهزارشب ومنصور بن الحسين الاسدي، وساروا للقاء الملك الرحيم بالاهواز واستمدّوا السلطان طغرلبك، وأبوا طاعته فبعث اليهم عسكراً، وكان قد ملك أصبهان واستطال وافترق كثير من أصحاب الملك الرحيم عنه، مثل البساسيري ودبيس بن مزيد والعرب والاكراد، وبقي في الديلم الاهوازية وبعض الاتراك من بغداد. ورأى أن يعود من عسكر مكرم الى الاهواز ليتحصّن بها وينتظر عسكر بغداد. ثم بعث أخاه أبا سعد الى فارس كما ذكرنا ليشغل أبا منصور وهزارشب ومن معهما عن قصده فلم يعرجوا على ذلك، وساروا اليه بالاهواز، وقاتلهم فانهزم الى واسط، ونهب الاهواز وفقد في الواقعة الوزير كمال الملك أبو المعالي عبد الرحيم فلم يوقف له على خبر.

وسار أبو منصور وأصحابه الى شيراز لاجل أبي سعد وأصحابه فلقيهم قريباً منها، وهزمهم مرّات واستأمن اليه الكثير منهم؛ واعتصم أبو منصور ببعض القلاع وأعيدت الخطبة بالاهواز للملك الرحيم، واستدعاه الجند بها وعظمت الفتنة ببغداد بين أهل السنة والشيعة في غيبة الملك الرحيم واقتتلوا، وبعث القائم نقيب العلويين ونقيب العباسيين لكشف الامر بينهما فلم يوقف على يقين في ذلك. وزاد الامر وأحرقت مشاهد العظماء من أهل البيت، وبلغ الخبر الى دبيس بن مزيد، فاتهم القائم بالمداهنة في ذلك فقطع الخطبة له

ثم عوتب فاستعتب وعاد الى حاله .

مهادنة طغرلبك للقائم

قد تقدّم لنا شأن الغز واستيلائهم على خراسان من يد بني سبكتكين عام اثنتين وثلاثين، ثم استيلاء طغرلبك على أصبهان من يد ابن كالويه سنة اثنتين وأربعين . ثم بعث السلطان طغرلبك ارسلان بن أخيه داود الى بلاد فارس فافتتحها سنة اثنتين وأربعين، واستلحم من كان بها من الديلم، ونزل مدينة نسا، وبعث اليه القائم بأمر الله بالخلع والالقاب، وولاه على ما غلب عليه فبعث اليه طغرلبك بعشرة آلاف دينار، واعلاق نفيسة من الجواهر والثياب والطيب، والى الحاشية بخمسة آلاف دينار، وللوزير رئيس الرؤساء بألفين، وحضروا العيد في سنة ثلاث وأربعين ببغداد فأمر الخليفة بالاحتفال في الزينة والمراكب والسلاح . ثم سار الغزّ سنة أربع وأربعين الى شيراز وبها الامير أبو سعد أخو الملك الرحيم فقاتلهم وهزمهم كما نذكر في أخبارهم .

استيلاء الملك الرحيم على البصرة من يد اخيه

ثم بعث الملك الرحيم سنة أربع وأربعين جيوشه الى البصرة مع بصيرة البساسيرى فحاصروا بها أخاه أبا عليّ وقاتلوا عسكره في السفن فهزموهم وملكوا عليهم دجلة والانهر . وجاء الملك الرحيم بالعسكر في البرّ واستأمن اليه قبائل ربيعة ومضر فأمّنهم وملك البصرة ، وجاءته رسل الديلم بخوزستان بطاعتهم . ومضى

أخوه أبو علي الى شط عُمان وتحصّن به فسار اليه الملك الرحيم، وملك عليه شط عُمان ولحق بعبادان، وسار منها الى أرّجان. ثم لحق بالسلطان طغرلبك بأصبهان فأكرمه وأصهر اليه، وأقطع له وأنزله بقلعة من أعمال جرباذقان. وولى الملك الرحيم وزيره البساسيري على البصرة، وسار الى الاهواز، وأرسل منصور بن الحسين وهزارشب في تسليم أرجان وتستر فتسلمها واصطلحا. وكان المقدّم على ارجان فرلاد بن خسرو من الدَيْلَم فرجع الى طاعة الملك الرحيم سنة خمس وأربعين.

فتنة ابن ابي الشوك ثم طاعته

كان سعدي بن أبي الشوك قد أعطى طاعته للسلطان طغرلبك بنواحي الريّ، وسار في خدمته، وبعثه سنة أربع وأربعين في العساكر الى نواحي العراق فبلغ النُعْمَانِيَّة وكثر عيثه، وراسله ملد[1] من بني عقيل قرابة قريش بن بدران في الاستظهار له على قريش ومهلهل أخي أبي الشوك فوعدهم فسار اليهم مهلهل وأوقع بهم على عكبرا فساروا الى سعدى وشكوا اليه، وهو على سامرا فسار وأوقع بعمّه مهلهل وأسره وعاد الى حُلوان، وهمّ الملك الرحيم بتجهيز العساكر اليه بحلوان، واستقدم دبيس بن مزيد لذلك.

ثم عظمت الفتنة سنة خمس وأربعين ببغداد من أهل الكرخ

(١) كذا في الأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٦٤: وبلغ خبره إلى خاله خالد بن عمر وهو نازل على الزرير ومطر ابني علي بن مقن العقيليين فأرسل إليه ولده مع أولاد الزرير ومطر يشكون إليه ما عاملهم به عمه مهلهل وقريش بن بدران.

وأهل السنة، ودخلها طوائف من الاتراك وعمّ الشرّ واطرحت مراقبة السلطان، وركب القوّاد لحسم العلة فقتلوا علوياً من أهل الكرخ فنادت نساؤه بالويل فقاتلهم العامّة، وأضرم النار في الكرخ بعض الاتراك فاحترق جميعه . ثم بعث القائم وسكن الأمر، وكان مهلهل لما أسر سار ابنه بدر الى طغرلبك وابن سعدي كان عنده رهينة، وبعث الى سعدي باطلاق مهلهل عند ذلك فامتنع سعدي من ذلك وانتقض على طغرلبك، وسار من همذان الى حُلوان وقاتلها فامتنعت عليه فكاتب الملك الرحيم بالطاعة، ولحقه عساكر طغرلبك فهزموه، ولحق ببعض القلاع هنالك . وسار بدر في اتباعه الى شهرزور، ثم جاءه الخبر بأنّ جمعاً من الاكراد والاتراك قد أفسدوا السابلَة وأكثروا العَيْثَ فخرج اليهم البساسيري واتبعهم الى البواريخ، وأوقع بالطوائف منهم واستباحهم وعبروا الزاب فلم يمكنه العود اليهم ونجوا .

فتنة الاتراك

وفي سنة ست وأربعين شغب الاتراك على وزير الملك الرحيم في مطالبة أرزاقهم واستمدوه عليه فلم يمدهم فشكوا من الديوان وانصرفوا مغضبين، وباكروا من الغد لحصار دار الخليفة . وحضر البساسيري واستكشف حال الوزير فلم يقف له على خبر. وكبست الدور في طلبه فكان ذلك وسيلة للاتراك في نهب دور الناس . واجتمع اهل المحال لمنعهم، ونهاهم الخليفة فلم ينتهوا فهمّ بالرحلة

عن بغداد . ثم ظهر الوزير وانصفهم في ارزاقهم فتمادوا على بغيهم وعسفهم، واشتدّ عيثُ الاتراك والاعراب في النواحي فخربت البلاد، وتفرّق اهلها، وأغار أصحاب ابن بدران بالبرد وكبسوا حلل كامل بن محمد بن المسيب ونهبوها، ونهبوا في جملتها ظهراً وأنعاماً للبساسيري، وانحل أمر الملك والسلطنة بالكلية .

استيلاء طغرلبك على اذربيجان وعلى ارمينية والموصل

سار طغرلبك سنة أربعين الى أَذْرَبَيْجَان فأطاعه صاحب قبرير أبو منصور وشهودان ابن محمد [(١)] وخطب له ورهن ولده عنده . ثم أطاعه صاحب جنده أبو الاسوار ثم تبايع سائر النواحي على الطاعة، وأخذ رهنهم، وسار الى أرمينية فحاصر ملاذكرد [(٢)] وامتنعت عليه فخرب ما جاورها من البلاد . وبعث اليه نصير الدولة بن مروان بالهدايا وقد كان دخل في طاعته من قبل . وسار السلطان طغرلبك لغزو بلاد الروم واكتسحها الى ان بلغ أردن الروم، ورجع الى أذربيجان ثم الى الريّ وخطب له قريش بن بدران صاحب الموصل في جميع أعماله وزحف الى الانبار ففتحها ونهب ما فيها البساسيري فانتقض لذلك وسار في العساكر الى الانبار فاستعاده من يده .

---

(١) كذا بالأصل، أسماء مبهمة ثم بياض؛ وفي الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٦٧ : في هذه السنة سار طغرلبك إلى أذربيجان، فقصد تبريز، وصاحبها الأمير أبو منصور وهوذان بن محمد الروادي فأطاعه وخطب له، وحمل إليه ما أرضاه به.

(٢) كذا وفي الكامل: ملاز كرد بالزاي .

وحشة البساسيري

كان أبو الغنائم وأبو سعد ابنا المجلبان صاحبي قُريش بن بدران، وبعثهما الى القائم سرّاً من البساسيري بما فعل بالأنبار فانتقض البساسيرى لذلك، واستوحش من القائم ومن رئيس الرؤساء، وأسقط مشاهرتهم ومشاهرة حواشيهم وهمّ بهدم منازل بني المجلبان، ثم أقصر وسار الى الانبار، وبها أبو القاسم بن المجلبان، وجاءه دبيس ابن مزيد ممدًّا له فحاصر الأنبار وفتحها عَنْوَةً ونهبها وأسر من أهلها خمسمائة، ومائة من بني خَفاجة وأسر أبا الغنائم وجاء به الى بغداد فأدخله على جمل، وشفع دبيس بن مزيد في قتله، وجاء الى مقابل التاج من دار الخليفة فقبل الارض وعاد الى منزله .

وصول الغزالي الى الدسكرة ونواحي بغداد

وفي شوال من سنة ست وأربعين وصل صاحب حُلوان من الغزّ وهو ابراهيم بن اسحاق الى الدسكرة فافتتحها ونهبها وصادر النساء . ثم سار الى رسفباد وقلعة البردان وهي لسعدي بن أبي الشوك، وبها أمواله فامتنعت عليه فخرّب ما حولها من القرى ونهبها، وقوي طمع الغزّ في البلاد وضعف أمر الديلم والاتراك . ثم بعث طغرلبك أبا عليّ ابن أبي كاليجار الذي كان بالبصرة في جيش من الغزّ الى خوزستان فاستولى على الاهواز وملكها ونهب الغزّ الذين معه أموال الناس ولقوا منهم عناء .

استيلاء الملك الرحيم على شيراز

وفي سنة سبع وأربعين سار فولاذ ـ الذي كان بقلعة اصطخر من الديلم، وقد ذكرناه ـ إلى شيراز فملكها من يد أبي منصور فولاستون ابن أبي كاليجار، وكان خطب بها للسلطان طغرلبك فخطب فولاذ بها للملك الرحيم ولاخيه أبي سعد يخادعهما بذلك. وكان أبو سعد بأرّجان فاجتمع هو وأخوه أبو منصور على حصار شيراز في طاعة أخيهما الملك، واشتد الحصار على فولاذ وعدمت الاقوات فهرب عنها الى قلعة اصطخر وملك الاخوان شيراز وخطبا لاخيهما الملك الرحيم.

وثوب الاتراك ببغداد بالبساسيري

قد ذكرنا تأكد الوحشة بين البساسيري ورئيس الرؤساء. ثم تأكدت سنة سبع وأربعين، وعظمت الفتنة بالجانب الشرقي بين العامة وبين أهل السنة للامر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحضروا الديوان حتى أذن لهم في ذلك، وتعرّضوا لبعض سفن البساسيري منحدرة اليه بواسط، وكشفوا فيها عن جرار خمر فجاؤا الى أصحاب الديوان الذين أمروا بمساعدتهم واستدعوهم لكسرها فكسروها، واستوحش لذلك البساسيري ونسبه الى رئيس الرؤساء. واستفتى الفقهاء في أن ذلك تعدٍّ على سفينته فأفتاه الحنفية بذلك. ووضع رئيس الرؤساء العيون على البساسيري باذن من دار الخلافة، وأظهر معايبه. وبالغوا في ذلك؛ ثم قصدوا في رمضان دور البساسيري

باذن من دار الخلافة فنهبوها وأحرقوها، ووكلوا بحرمه وحاشيته. وأعلن رئيس الرؤساء بذمّ البساسيري وانه يكاتب المستنصر صاحب مصر فبعث القائم الى الملك الرحيم فأمره بابعاده فأبعده.

استيلاء السلطان طغرلبك على بغداد والخلعة والخطبة له

قد ذكرنا من قبل رجوع السلطان طغرلبك من غزو الروم الى الريّ، ثم رجع الى همذان، ثم سار الى حُلوان عازماً على الحج، والاجتياز بالشام لازالته من يد العلوية. وأجفل الناس الى غربيّ بغداد، وعظم الارجاف ببغداد ونواحيها، وخيّم الاتراك بظاهر البلد. وجاء الملك الرحيم من واسط بعد أن طرد البساسيري عنه كما أمره القائم فسار الى بلد دبيس بن مزيد لصهر بينهما. وبعث طغرلبك الى لقائها بالطاعة، والى الاتراك بالمقاربة والوعد فلم يقبلوا، وطلبوا من القائم اعادة البساسيري لانه كبيرهم. ولما وصل الملك الرحيم سأل من الخليفة اصلاح أمره مع السلطان طغرلبك فأشار القائم بان يقوّض الاجناد خيامهم ويخيموا بالحريم الخلافي، ويبعثوا جميعاً الى طغرلبك بالطاعة فقبلوا اشارته وبعثوا الى طغرلبك بذلك فأجاب بالقبول والاحسان.

وأمر القائم بالخطبة لطغرلبك على منابر بغداد فخطب آخر رمضان من سنة سبع وأربعين، واستأذن في لقاء الخليفة، وخرج اليه رؤساء الناس في موكب من القضاة والفقهاء والاشراف واعيان الديلم. وبعث طغرلبك للقائم وزيره أبا نصر الكندريّ

وأبلغه رسالة القائم واستحلفه له وللملك الرحيم وأمراء الاجناد . ودخل طغرلبك بغداد ونزل بباب الشماسية لخمس بقين من رمضان، وجاء هنالك قريش بن بدران صاحب الموصل، وكان من قبل في طاعته .

القبض على الملك الرحيم وانقراض دولة بني بويه

ولما نزل طغرلبك بغداد وافترق أهل عسكره في البلد يقضون بعض حاجاتهم فوقعت بينهم وبين بعض العامة منازعة فصاحوا بهم ورجموهم، وظن الناس أن الملك الرحيم قد اعتزم على قتال طغرلبك فتواثبوا بالغزّ من كل جهة إلّا أهل الكرخ فانهم سألوا[1] من وقع اليهم من الغزّ وأرسل عميد الملك وزير طغرلبك عن عدنان بن الرضي نقيب العلويين، وكان مسكنه بالكرخ فشكره عن السلطان طغرلبك . ودخل أعيان الديلم وأصحاب الملك الرحيم الي دار الخلافة نفيا للتهمة عنهم . وركب أصحاب طغرلبك فقاتلوا العامة وهزموهم وقتلوا منهم خلقاً ونهبوا سائر الدروب ودور رئيس الرؤساء وأصحابه والرصافة، ودور الخلفاء، وكان بها أموال الناس نقلت اليها للحرمة فنهب الجميع، واشتدّ البلاء وعظم الخوف . وأرسل طغرلبك إلي القائم بالعتاب ونسبة ما وقع الى الملك الرحيم والديلم وأنهم انحرفوا وكانوا برآء من ذلك .

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٧١ : الا أهل الكرخ فإنهم لم يتعرضوا إلى الغز بل جمعوهم وحفظوهم .

وتقدم اليهم الخليفة بالحضور عند طغرلبك مع رسوله فلما وصلوا الى الخيام نهبها الغزّ ونهبوا رسل القائم معهم . ثم قبض طغرلبك على الملك الرحيم ومن معه، وبعث بالملك الرحيم الى قلعة السيروان فحبس بها وكان ذلك لست سنين من ملكه . ونهب في تلك الهيمة قُريش بن بدران صاحب الموصل ومن معه من العرب، ونجا سليباً الي خيمة بدر بن المهلهل، واتصل بطغرلبك خبره فأرسل اليه وخلع عليه وأعاده الى مخيّمه، وبعث القائم الي طغرلبك بانكار ما وقع في أخفار ذمته في الملك الرحيم وأصحابه، وأنه يتحوّل عن بغداد فأطلق له بعضهم بلكسكسالربه[1] وأنزع الاقطاعات من يد أصحابه الملك الرحيم فلحقوا بالبساسيري، وكثر جمعه، وبعث طغرلبك الى دبيس بالطاعة، وانفاذ البساسيري فخطب له في بلاده، وطرد البساسيري فسار الى رحبة ملك، وكاتب المستنصر العلوي صاحب مصر .

وأمر طغرلبك بأخذ أموال الاتراك الجند وأهملهم، وانتشر الغُزّ السلجوقيّة في سواد بغداد فنهبوا الجانب الغربي من تكريت الى النيل، والجانب الشرقيّ الى النهروانات، وخرب السواد وانجلى أهله، وضمن السلطان طغرلبك البصرة والاهواز من هزارشب بن شكر بن عياض بثلثمائة وستين ألف دينار، وأقطعه

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل لابن الأثيرج ٨ ص ٧٢: ولما دخل الملك الرحيم إلى خيمة السلطان أمر بالقبض عليه وعلى من معه فقبضوا كلهم آخر شهر رمضان وحبسوا. ثم حمل الرحيم إلى قلعة السيروان.

أرّجان، وأمره أن يخطب لنفسه بالأهواز دون ما سواها .

وأقطع أبا علي بن كاليجار ويسين وأعمالها، وأمر أهل الكرخ بزيادة : الصلاة خير من النوم، في نداء الصبح، وأمر بعمارة دار المملكة وانتقل اليها في شوّال . وتوفي ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن القائم بالله في ذي القعدة من هذه السنة . ثم أنكح السلطان طغرلبك من القائم بالله خديجة بنت اخيه داود واسمها أرسلان خاتون، وحضر للعقد عميد الملك الكندي وزير طغرلبك، وأبو علي ابن ابي كاليجار، وهزارشب بن شكر بن عياض الكردي، وابن ابي الشوك وغيرهم من امراء الاتراك من عسكر طغرلبك . وخطب رئيس الرؤساء وولي العقد وقبل الخليفة بنفسه . وحضر نقيب النقباء أبو علي بن ابي تمام، ونقيب العلويين عدنان بن الرضي والقاضي ابو الحسن الماوردي وغيرهم .

انتقاض ابي الغنائم بواسط

كان رئيس الرؤساء سعى لأبي الغنائم بن المجلبان في ولاية واسط وأعمالها فوليها وصادر أعيانها وجنّد جماعة وتقوّى بأهل البطيحة، وخندق على واسط، وخطب للمستنصر العلوي بمصر فسار أبو نصر عميد العراق لحربه فهزمه وأسر من أصحابه، ووصل الى السور فحاصره حتى تسلم البلد . وعبر أبو الغنائم ومعه الوزير بن فسانجس، ورجع عميد العراق الى بغداد بعد أن ولّى على واسط منصور بن الحسين فعاد ابن فسانجس الى واسط وأعاد خطبة

العلوي، وقتل من وجده من الغُزّ، ومضى منصور بن الحسين إلى المدار وبعث يطلب المدد فكتب اليه عميد العراق ورئيس الرؤساء بحصار واسط فحاصرها، وقاتله ابن فسانجس فهزمه وضيق حصاره، واستأمن اليه جماعة من أهل واسط فملكها وهرب فسانجس واتبعوه فأدركوه، وحمل الي بغداد في صفر سنة ست وأربعين فَشُهِّرَ وقتل .

الوقعة بين البساسيري وقطلمش

. وفي سلخ شوّال من سنة ثمان وأربعين سار قَطَلْمِش، وهو ابن عمّ السلطان طغرلبك، وجدّ بني قليج أرسلان ملوك بلاد الروم فسار ومعه قريش بن بَدران صاحب الموصل لقتال البساسيري ودبيس، وسار بهم الى الموصل وخطبوا بها للمُسْتَنْصِر العلويّ صاحب مصر وبعث اليهم بالخِلَع، وكان معهم جابر بن ناشب وأبو الحسن وعبد الرحيم وأبو الفتح بن ورائر ونصر بن عمر ومحمد بن حماد .

مسير طغرلبك الى الموصل

لما كان السلطان طغرلبك قد ثقلت وطأته على العامّة ببغداد، وفشى الضرر والاذى فيهم من معسكره فكاتبه القائم يعظه ويذكره، ويصف له ما الناس فيه فأجابه السلطان بالاعتذار بكثرة العساكر . ثم رأى رؤيا في ليلته كأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم يوبخه على ذلك فبعث وزيره عميد الملك الى القائم بطاعة أمره فيما أمر،

وأخرج الجند من وراء العامة ورفع المصادرات . ثم بلغه خبر وقعة قطلمش مع البساسيري، وانحراف قريش صاحب الموصل الى العلوية فتجهز وسار عن بغداد ثلاثة عشر شهراً من نزوله عليها، ونهبت عساكره أوانا وعكبرا، وحاصر تكريت حتى رجع صاحبها نصر ابن عيسى الى الدعوة العباسية، وقتله السلطان، ورجع عنه الى البواريخ فتوفي نصر، وخافت أمة غريبة بنت غريب بن حكن ان يملك البلد اخوه ابو العشام فاستخلفت ابا الغنائم ابن المجلبان ولحقت بالموصل، ونزلت على دبيس بن مزيد.

وأرسل أبو الغنائم رئيس الرؤساء فأصلح حاله ورجع الى بغداد وسلّم له تكريت، وأقام السلطان بالبواريخ الى سنة تسع وأربعين، وجاءه أخوه ياقوتي في العساكر فسار الى الموصل، وأقطع مدينة بَلَد هزارشب بن شكر الكردي، وأراد العسكر نهبها فمنعهم السلطان. ثم أذن لهم في اللحاق الى الموصل، وتوجه الى نصيبين، وبعث هزارشب الى البرية في ألف فارس ليصيب من العرب فسار حتي قارب رحالهم، وأكمن الكمائن، وقاتلهم ساعة . ثم استطردهم واتبعوه فخرجت عليهم الكمائن فانهزموا، وأثخن فيهم الغُزّ بالقتل والأسر . وكان فيهم جماعة من بني نُمَيْر أصحاب حرّان والرَّقّة، وحمل الاسرى الى السلطان فقتلهم أجمعين . ثم بعث دبيس وقريش الى هزارشب يستعطف لهم السلطان فقبل السلطان ذلك منهما، وورد أمر البساسيري الى الخليفة فرحل ومعه الاتراك البغداديون،

ومقبل ابن المقلد وجماعة من عقيل الى الرحبة، وأرسل السلطان اليهما أبا الفتح بن ورام يستخبرهما فجاء بطاعتهما، وبمسير هزارشب اليهما فأذن له السلطان في المسير، وجاء اليهما واستحلفهما وحثهما على الحضور فخافا .

وأرسل قريش أبا السيد هبة الله بن جعفر، ودبيس ابنه منصوراً فأكرمهما السلطان، وكتب لهما بأعمالهما . وكان لقريش نهر الملك وباذروبا والانبار وهيت ودجيل ونهر بيطر وعكبرا وأوانا وتكريت والموصل ونصيبين . ثم سار السلطان الى ديار بكر فحاصر جزيرة ابن عمر وبعث اليه يستعطفه ويبذل له المال، وجاء ابراهيم نيال أخو السلطان وهو محاصر، ولقيه الأمراء والناس، وبعث هزارشب الى دبيس وقريش يحذرهما فانحدر دبيس الى بلده بالعراق . وأقام قريش عند البساسيري بالرحبة ومعه ابنه مسلم، وشكا قطلمش ما أصاب أهل سنجار منه عند هزيمته أمام قريش ودبيس فبعث العساكر اليها، وحاصرها ففتحها عَنْوَةً واستباحها، وقتل أميرها عليّ بن مرجي، وشفع ابراهيم في الباقين فتركها وسلمها الله وسلم معها الموصل وأعمالها، ورجع الى بغداد في سنة تسع وأربعين فخرج رئيس الرؤساء للقائه عن القائم، وبلغه سلامه وهديته، وهي جام من ذهب فيه جواهر، وألبسه لباس الخليفة وعمامته فقبل السلطان ذلك بالشكر والخضوع والدعاء، وطلب لقاء الخليفة، فأسعف وجلس له جلوساً فخماً . وجاء السلطان في البحر فقرب له لما نزل

من السهيرية من مراكب الخليفة، والقائم على سرير علوه سبعة أذرع متوشحاً البردة، وبيده القضيب، وقبالته كرسي لجلوس السلطان فقبل الارض وجلس على الكرسي، وقال له رئيس الرؤساء عن القائم : أمير المؤمنين شاكر لسعيك حامد لفعلك مستأنس بقربك، ولّاك ما ولّاه الله من بلاده، ورد اليك مراعاة عباده فاتق الله فيما ولّاك، واعرف نعمته عليك، واجتهد في نشر العدل وكف الظلم واصلاح الرعية فقبل الارض، وأفيضت عليه الخِلَع وخوطب بملك المشرق والمغرب ، وقبل يد الخليفة ووضعها على عينيه ودفع اليه كتاب العهد، وخرج فبعث الى القائم خمسين ألف دينار وخمسين مملوكاً من الاتراك منتقين بخيولهم وسلاحهم الى ما في معنى ذلك من الثياب والطيب وغيرهما .

فتنة نيال مع اخيه طغرلبك ومقتله

كان ابراهيم نيال قد ملك بلاد الجبل وهمذان واستولى على الجهات من نواحيها الى حُلوان عام سنة سبع وثلاثين . ثم استوحش من السلطان طغرلبك بما طلب منه أن يسلم اليه مدينة همذان والقلاع فأبى من ذلك نيال وجمع جموعاً وتلاقيا فانهزم نيال، وتحصن بقلعة سرماج فملكها عليه بعد الحصار، واستنزله منها، وذلك سنة احدى وأربعين . وأحسن اليه طغرلبك وخيره بين المقام معه أو اقطاع الاعمال فاختار المقام . ثم لما ملك طغرلبك بغداد وخطب له بها سنة سبع وأربعين خرج اليه البساسيري مع قريش بن بدران

صاحب الموصل ودبيس بن مزيد صاحب الحلة، وسار طغرلبك اليهم من بغداد، ولحقه أخوه ابراهيم نيال فلما ملك الموصل سلمها اليه وجعلها لنظره مع سنجار والرحبة وسائر تلك الاعمال التي لقريش، ورجع الى بغداد سنة تسع وأربعين .

ثم بلغه سنة خمسين بعدها أنه سار الى بلاد الجبل فاستراب به وبعث اليه يستقدمه بكتابه وكتاب القائم مع العهد الكندي فقدم معه . وفي خلال ذلك قصد البساسيري وقريش بن بدران الموصل فملكاها وجفلوا عنها فاتبعهم الى نصيبين، وخالفه أخوه ابراهيم نيال الى همذان في رمضان سنة خمسين . يقال انّ العلوي صاحب مصر والبساسيري كاتبوه واستمالوه وأطمعوه في السلطنة فسار السلطان في اتباعه من نصيبين، وردّ وزيره عميد الملك الكندي وزوجته خاتون إلى بغداد، ووصل الى همذان ولحق به من كان ببغداد من الاتراك فحاصر همذان في قلعة من العسكر، واجتمع لاخيه خلق كثير من الترك، وحلف لهم أن لا يصالح طغرلبك ولا يدخل بهم العراق لكثرة نفقاته . وجاءه محمد وأحمد ابنا أخيه أرباش بأمداد من الغزّ فقوي بهم ووهن طغرلبك فأفرج عنه الى الريّ، وكاتب الى أرسلان ابن أخيه داود، وقد كان ملك خراسان بعد أبيه سنة احدى وخمسين كما يذكر في أخبارهم فزحف اليه في العساكر ومعه أخواه ياقوت وقاروت بك، ولقيهم ابراهيم فيمن معه فانهزم وجيء به وبابني أخيه محمد وأحمد أسرى

الى طغرلبك فقتلهم جميعاً، ورجع الى بغداد لاسترجاع القائم .

دخول البساسيري بغداد وخلع القائم ثم عوده

قد ذكرنا ان طغرلبك سار الى همذان لقتال أخيه وترك وزيره عميد الملك الكندي ببغداد مع الخليفة، وكان البساسيري وقريش ابن بدران فارقا الموصل عند زحف السلطان طغرلبك اليهما فلما سار عن بغداد لقتال أخيه بهمذان خالفه البساسيري وقريش الى بغداد فكثر الارجاف بذلك، وبعث على دبيس بن مزيد ليكون حاجبه ببغداد ونزلوا بالجانب الشرقي، وطلب من القائم الخروج معه الى احيائه واستدعى هزارشب من واسط للمدافعة واستمهل في ذلك فقال العرب لا نشير فأشيروا بنظركم، وجاء البساسيري ثامن ذي القعدة سنة خمسين في أربعمائة غلام على غاية من سوء الحال ومعه أبو الحسين بن عبد الرحيم، وجاء حسين بن بدران في مائة فارس، وخيموا مفترقين عن البلد، واجتمع العسكر والقوم الى عميد العراق، وأقاموا ازاء البساسيري، وخطب البساسيري ببغداد للمستنصر العلوي صاحب مصر بجامع المنصور، ثم بالرصافة، وأمر بالأذان بحيّ على خير العمل، وخيم بالزاهر، وكان هوى البساسيري لمذاهب الشيعة، وترك أهل السنة للانحراف عن الاتراك فرأى الكندي المطاولة لانتظار السلطان، ورأى رئيس الرؤساء المناجزة، وكان غير بصير بالحرب فخرج لقتالهم في غفلة من الكنديّ فانهزم وقتل من أصحابه خلق، ونهب باب الازج وهو باب الخلافة .

تاريخ العلامة

ابن خلدون

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم
من ذوي السلطان الاكبر
وهو تاريخ وحيد عصره
العلامة عبد الرحمن
ابن خلدون المغربي

المجلد الثالث

من تاريخ العلامة ابن خلدون

القسم الخامس

٦

المجلد الثالث

القسم الخامس

من تاريخ العلامة ابن خلدون

وهرب أهل الحريم الخلافي فاستدعى القائم العميد الكندي للمدافعة عن دار الخلافة فلم يرعهم الا اقتحام العدوّ عليهم من الباب النوبي فركب الخليفة ولبس السواد، والنهب قد وصل باب الفردوس، والعميد الكندي قد استأمن الى قريش فرجع ونادى بقريش من السور فاستأمن اليه على لسان رئيس الرؤساء، واستأمن هو أيضاً معه، وخرجا اليه وسارا معه ونكر البساسيري على قريش نقضه لما تعاهدا عليه فقال انما تعاهدنا على الشركة فيما يستولي عليه، وهذا رئيس الرؤساء لك والخليفة لي .

ولما حضر رئيس الرؤساء عند البساسيري وبّخه وسأله العفو فأبي منه، وحمل قريش القائم الى معسكره على هيئته، ووضع خاتون بنت أخي السلطان طغرلبك في يد بعض الثقات من خواصّه وأمره بخدمتها، وبعث القائم ابن عمه مهارش فسار به الى بلده حديثة خان وأنزله بها . وأقام البساسيري ببغداد وصلّى عيد النحر بالألوية المصريّة واحسن الى الناس وأجرى أرزاق الفُقَهاء ولم يتعصّب لمذهب . وأنزل أمّ القائم بدارها وسهّل جرايتها . وولى محمود بن الافرم

على الكوفة، وسمى الفرات وأخرج رئيس الرؤساء من محبسه آخر ذي الحجة فصلبه عند التُجَيْبِيّ لخمسين سنة من تردّدة في الوزارة. وكان ابن ماكرلا قد قبل شهادته سنة أربع عشرة. وبعث البساسيري الى المستنصر العلوي بالفتح والخطبة له بالعراق، وكان هنالك أبو الفرج ابن أخي أبي القاسم المغربي فاستهان بفعله وخوّفه عاقبته، وأبطأت أجوبته مدّة، ثم جاءت بغير ما أمل، وسار البساسيري من بغداد الى واسط والبصرة فملكها وأراد قصر الاهواز فبعث صاحبها هزارشب بن شكر فأصلح أمره على مال يحمله. ورجع البساسيري الى واسط في شعبان سنة احدى وخمسين، وفارقه صدقة ابن منصور بن الحسين الاسدي الى هزارشب، وقد كان ولّى بغداد اباه على ما يذكر. ثم جاء الخبر الى البساسيري بظفر طغرلبك بأخيه، وبعث إليه والي قريش في اعادة الخليفة الى داره، ويقيم طغرلبك، وتكون الخطبة والسكة له فأبى البساسيري من ذلك فسار طغرلبك الى العراق، وانتهى الى قصر شيرين، واجفل الناس بين يديه. ورحل أهل الكرخ بأهليهم واولادهم برًّا وبحراً، وكثر عيث بني شيبان في الناس، وارتحل البساسيري بأهله وولده سادس ذي القعدة سنة احدى وخمسين لحول كامل من دخوله وكثر الهرج في المدينة والنهب والاحراق. ورحل طغرلبك الى بغداد بعد ان ارسل من طريقه الاستاذ احمد بن محمد بن أيّوب المعروف بابن فورك الى قريش بن بدران بالشكر على فعله في القائم وفي

خاتون بنت أخيه زوجة القائم، وأنّ أبا بكر بن فورك جاء باحضارها والقيام بخدمتها، وقد كان قريش بعث الى مهارش بأن يدخل معهم الى البريّة بالخليفة ليصدّ ذلك طغرلبك عن العراق، ويتحكم عليه بما يريد فأبى مهارش لنقض البساسيري عهوده، واعتذر بأنّه قد عاهد الخليفة القائم بما لا يمكن نقضه، ورحل بالخليفة الى العراق، وجعل طريقه على بدران بن مهلهل . وجاء أبو فورك الى بدر فحمله معه الى الخليفة وأبلغه رسالة طغرلبك وهداياه، وبعث طغرلبك للقائه وزيره الكندري والامراء والحجاب بالخيام والسرادقات والمقرّبات بالمراكب الذهبيّة فلقوه في بلد بدر . ثم خرج السلطان فلقيه بالنهروان، واعتذر عن تأخره بوفاة أخيه داود بخراسان، وعصيان ابراهيم بهمذان، وانه قتله على عصيان . وأقام حتى رتب أولاد داود في مملكته، وقال انه يسير الى الشام في اتباع البساسيري . وطلب صاحب مصر فقلّده القائم سيفه اذ لم يجد سواه، وأبدى وجهه للامراء فحيوه وانصرفوا . وتقدّم طغرلبك الى بغداد فجلس في الباب النوبي مكان الحاجب، وجاء القائم فأخذ طغرلبك بلجام بغلته الى باب داره، وذلك لخمس بقين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين، وسار السلطان الى معسكره وأخذ في تدبير أموره .

مقتل البساسيري

ثم أرسل السلطان طغرلبك خمارتكين في ألفين الى الكوفة، واستقرّ معه سرايا بن منيع في بني خفاجة، وسار السلطان طغرلبك

في أثرهم فلم يشعر دبيس وقريش والبساسيري، وقد كانوا نهبوا الكوفة إلّا والعساكر قد طلعت عليهم من طريق الكوفة فأجفلوا نحو البطيحة. وسار دبيس ليرة العرب الى القتال فلم يرجعوا ومضى معهم، ووقف البساسيري وقريش فقتل من أصحابها جماعة، وأسر أبو الفتح بن ورام ومنصور بن بدران وحماد بن دبيس، وأصاب البساسيري سهم فسقط عن فرسه وأخذ رأسه لمتنكيرز، وأتى العميد الكندري وحمله الى السلطان، وغنم العسكر جميع أموالهم وأهليهم، وحمل رأس البساسيري الى دار الخلافة فعلق قبالة النوبي في منتصف ذي الحجة. ولحق دبيس بالبطيحة ومعه زعيم الملك أبو الحسن عبد الرحيم، وكان هذا البساسيري من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة اسمه أرسلان، وكنيته أبو الحرث، ونسبه في الترك. وهذه النسبة المعروفة له نسبة الى مدينة بفارس حرفها الاول متوسط بين الفاء والباء، والنسبة اليها فسوي، ومنها أبو علي الفارسي صاحب الايضاح. وكان أوّلا ينسب اليها فلذلك قيل فيه هو بساسيري [1].

مسير السلطان الى واسط وطاعة دبيس

ثم انحدر السلطان الى واسط أوّل سنة اثنتين وخمسين وحضر

---

(١) عبارة أبي الفداء بسا، وهي بالعربية فسا من اللباب. بفتح الباء الموحدة والسين المهملة، ثم ألف. ومدينة فسا عن ابن حوقل أكبر مدينة في كورة دارا بجرد، وتقارب في الكبر شيراز. وفي اللباب ينسب إليها بالعربية فسوي، وأهل فارس ينسبون إليها البساسيري، وسيد أرسلان التركي من فسا فنسب الغلام إليه، واشتهر بالبساسيري. والبساسيري المذكور له ذكر مشهور في التواريخ، وهو الذي خطب لخلفاء مصر في بغداد، وطرد القائم العباسي عن بغداد. اهـ. باختصار.

عنده هزارشب بن شكر من الاهواز، وأصلح حال دبيس بن مزيد وصدقة بن منصور بن الحسين؛ أحضرهما عند السلطان، وضمن واسط أبو علي بن فضلان بمائتي ألف دينار، وضمن البصرة الأَغَرّ أبو سعد سابور بن المُظَفَّر، وأصعد السلطان الى بغداد، واجتمع بالخليفة، ثم سار الى بلد الجبل في ربيع سنة اثنتين وخمسين. وأنزل ببغداد الامير برسو شحنة، وضمن ابو الفتح المظفر بن الحسين في ثلاث سنين بأربعمائة الف دينار، وردَّ الى محمود الأخرم امارة بني خفاجة وولاه الكوفة وسقي الفرات وخواص السلطان بأربعة آلاف دينار في كل سنة .

وزارة القائم

ولما عاد القائم الى بغداد ولّى ابا تراب الاشيري على الانهار وحضور المراكب، ولقبه حاجب الحجاب، وكان خدمه بالحديثة . ثم سعى الشيخ أبو منصور في وزارة ابي الفتح بن احمد بن دارست على ان يحمل مالًا فأجيب وأحضر من الاهواز في منتصف ربيع من سنة ثلاث وخمسين فاستوزره وكان من قبل تاجراً لابي كاليجار، ثم ظهر عجزه في استيفاء الاموال فعزله، وعاد الى الاهواز . وقدم اثر ذلك ابو نصر بن جهير وزير نصير الدولة بن مروان نازعاً منه الى الخليفة القائم فقبله واستوزره، ولقبه فخر الدولة .

عقد طغرلبك على ابنة الخليفة

كان السلطان طغرلبك قد خطب من القائم ابنته على يد ابي سعد قاضي الريّ سنة ثلاث وخمسين فاستنكف من ذلك. ثم بعث ابا محمد التميمي في الاستعفاء من ذلك والا فيشترط ثلثمائة ألف دينار وواسط واعمالها. فلما ذكر التميمي ذلك للوزير عميد الملك بنى الامر على الاجابة قال: ولا يحسن الاستعفاء، ولا يليق بالخليفة طلب المال، واخبر السلطان بذلك فسرّ به وأشاعه في الناس، ولقب وزيره عميد الملك وأتى أرسلان خاتون زوجة القائم، ومعه مائة الف الف دينار وما يناسبها من الجواهر والجوار، وبعث معهم قرامرد بن كاكويه وغيره من امراء الريّ فلما وصلوا الى القائم استشاط وهمّ بالخروج من بغداد. وقال له العميد: ما جمع لك في الاول بين الامتناع والاقتراح وخرج مغضباً الى النهروان فاستوقفه قاضي القضاة والشيخ ابو منصور بن يوسف. وكتب من الديوان الى خمارتكين من اصحاب السلطان بالشكوى من عميد الملك، وجاءه الجواب بالرفق ولم يزل عميد الملك يريض الخليفة وهو يتمنع الى أن رحل في جمادى من سنة اربع وخمسين. ورجع الى السلطان وعرّفه بالحال، ونسب القضية الى خمارتكين فتنكر له السلطان وهرب واتبعه أولاد نيال فقتلوه بثأر أبيهم، وجعل مكانه سارتكين وبعث للوزير بشأنه.

وكتب السلطان الى قاضي القضاة والشيخ أبي منصور بن

يوسف بالعتب، وطلب بنت أخي زوجة القائم فاجاب الخليفة حينئذ الى الاصهار، وفوّض الى الوزير عميد الكندري عقد النكاح على ابنته للسلطان، وكتب بذلك الى أبي الغنائم المجلبان فعقد عليها في شعبان من تلك السنة بظاهر تبريز . وحمل السلطان للخليفة أموالًا كثيرة وجواهر لوليّ العهد وللمخطوبة، وأقطع ما كان بالعراق لزوجته خاتون المتوفاة للسيدة بنت الخليفة . وتوجه السلطان في المحرّم سنة خمس وخمسين من أرمينية الى بغداد، ومعه من الامراء أبو علي بن أبي كاليجار وسرخاب بن بدر وهزار وأبو منصور ابن قرامرد بن كاكويه، وخرج الوزير ابن جهير فتلقاه وترك عسكره بالجانب الغربي، ونادى الناس بهم . وجاء الوزير ابن العميد لطلب المخطوبة فأفرد له القائم دوراً لسكناه وسكنى حاشيته، وانتقلت المخطوبة اليها وجلست على سريرٍ مُلَبَّس بالذهب، ودخل السلطان فقبّل الارض وحمل لها مالًا كثيراً من الجواهر وأولم أيّاماً، وخلع على جميع امرائه وأصحابه، وعقد ضمان بغداد على أبي سعد الفارسي بمائة وخمسين الف دينار، وأعاد ما كان أطلقه رئيس العراقين من المواريث والمكوس، وقبض على الاعرابي سعد ضامن البصرة، وعقد ضمان واسط على أبي جعفر بن فضلان بمائتي ألف .

وفاة السلطان طغرلبك وملك ابن اخيه داود

ثم سار السلطان طغرلبك من بغداد في ربيع الآخر الى بلد الجبل فلما وصل الريّ اصابه المرض وتوفي ثامن رمضان من سنة

خمس وخمسين، وبلغ خبر وفاته الى بغداد فاضطربت، واستقدم القائم مسلم بن قريش صاحب الموصل ودبيس بن مزيد وهزارشب صاحب الاهواز وبني ورام وبدر بن مهلهل فقدموا، واقام ابو سعد الفارسي ضامن بغداد سوراً على قصر عيسى، وجمع الغلال وخرج مسلم بن قريش من بغداد فنهب النواحي، وسار دبيس بن مزيد وبنو خفاجة وبنو ورام والاكراد لقتاله . ثم استتيب ورجع الى الطاعة . وتوفي ابو الفتح بن ورام مقدّم الاكراد والجاوانية، وحمل العامّة السلاح لقتال الاعراب فكانت سبباً لكثرة الذعار .

ولما مات طغرلبك بايع عميد الدولة الكندري بالسلطنة لسليمان ابن داود، وجعفر بك، وكان ربيب السلطان طغرلبك خلف أخاه جعفر بك داود على أمه، وعهد اليه بالملك فلما خطب له اختلف عليه الامر، وسار باغي سيان وأردم الى قزوين فخطب لاخيه الب ارسلان، وهو محمد بن داود، وهو يومئذ صاحب خراسان ووزيره نظام الملك سار الى المذكور، وسال الناس اليه، وشعر الكندري باختلال أمره فخطب بالريّ للسلطان ألب أرسلان وبعده لاخيه سليمان . وزحف ألب أرسلان في العساكر من خراسان الى الريّ فلقيه الناس جميعاً ودخلوا في طاعته، وجاء عميد الملك الكندري الى وزيره نظام الملك فخدمه وهاداه فلم يغن عنه، وخشي السلطان غائلته فقبض عليه سنة ست وخمسين وحبسه بمرو الروذ .

ثم بعث بعد سنة من محبسه بقتله في ذي الحجة من سنة سبع

وخمسين، وكان من أهل نيسابور كاتباً بليغاً . فلما ملك طغرلبك نيسابور، وطلب كاتباً فدله عليه المُوَفَّق والد أبي سهل فاستكتبه واستخلصه وكان خَصِيا يقال انّ طغرلبك خصاه لانه تزوّج بامرأة خطبها له، وغطى عليه فظفر به فحاصره وأقره على خدمته. وقيل اشاع عند اعدائه انه تزوّجها ولم يكن ذلك فخصى نفسه ليأمن من غائلته، وكان شديد التعصب على الشافِعِيَّة والأَشْعَرِيَّة .

واستأذن السلطان في لعن الرافضة على منابر خراسان، ثم اضاف اليهم الاشعرية فاستعظم ذلك ائمة السنة. وفارق خُراسان ابو القاسم القُشَيْرِيّ ثم ابو المعالي الى مكة فأقام اربعة سنين يتردّد بين الحرمين يدرّس ويفتي حتى لقب إمام الحرمين. فلما جاءت دولة ألب أرسلان احضرهم نظام الملك وزيره فأحسن اليهم وأعاد السلطان ألب أرسلان السيدة بنت الخليفة التي كانت زوجة طغرلبك الى بغداد، وبعث في خدمتها الامير ايتكين السليماني، وولاه شحنة ببغداد وبعث معها ايضاً ابا سهل محمد بن هبة الله المعروف بابن الموفق لطلب الخطبة ببغداد فمات في طريقه، وكان من رؤساء الشافعيّة بنيسابور . وبعث السلطان مكانه العميد أبا الفتح المظفر ابن الحسين فمات ايضاً في طريقه فبعث وزيره نظام الملك، وخرج عميد الملك ابن الوزير فخر الدولة بن جهير لتلقيهم، وجلس لهم القائم جلوساً فخماً في جمادى الاولى من سنة ست وخمسين، وساق الرسل بتقليد ألب أرسلان السلطنة، وسلمت اليهم الخلع بمشهد من الناس،

ولقب ضياء الدولة، وأمر بالخطبة له على منابر بغداد، وأن يخاطب بالولد المؤيد حسب اقتراحه فأرسل الى الديوان لاخذ البيعة النقيب طراد الزينبي فأرسل اليه بنقجوان من أذربيجان، وبايع وانتقض على السلطان ألب أرسلان من السلجوقية صاحب هَراة وصغانيان فسار اليهم وظفر بهم كما نذكر في أخبارهم ودولتهم عند افرادها بالذكر انتهى .

فتنة قطلمش والجهاد بعدها

كان قطلمش هذا من كبار السلجوقية وأقربهم نسباً الى السلطان طغرلبك، ومن أهل بيته، وكان قد استولى على قومة واقصراي وملطية، وهو الذي بعثه السلطان طغرلبك أوّل ما ملك بغداد سنة تسع وأربعين لقتال البساسيري وقريش ابن بدران صاحب الموصل، ولقيهم على سنجار الريّ فجهز ألب أرسلان العساكر من نيسابور في المحرم من سنة سبع وخمسين، وساروا على المفارقة فسبقوا قطلمش الى الريّ، وجاء كتاب السلطان اليه ولقيه فلم يثبت، ومضى منهزماً، واستباح السلطان عسكره قتلاً وأسراً، وأجلت الواقعة عنه قتيلاً فحزن له السلطان ودفنه . ثم سار الى بلاد الروم معتزماً على الجهاد، ومرّ بأذربيجان ولقيه طغرتكين من أمراء التركمان في عشيرة، وكان ممارساً للجهاد فحثه على قصده، وسلك دليلاً بين يديه فوصل الى نجران على نهر أرس، وأمر بعمل السفن لعبوره، وبعث عساكر لقتال خويّ وسلماس

من حصون أذربيجان، وسار هو في العساكر فدخل بلاد الكرخ وفتح قلاعها واحدة بعد واحدة كما نذكر في أخبارهم . ودوّخ بلادهم وأحرق مدنهم وحصونهم، وسار الى مدينة آني من بلاد الديلم فافتتحها وأثخن فيها، وبعث بالبشائر الى بغداد، وصالحه ملك الكرخ على الجزية، ورجع الى أصبهان . ثم سار منها الى كرمان فأطاعه أخوه قاروت بن داود جعفر بك . ثم سار الى مرو وأصهر اليه خاقان ملك ما وراء النهر بابنته لابنه ملكشاه، وصاحب غزنة بابنته لابنه الآخر انتهى .

العهد بالسلطنة لملكشاه بن الب ارسلان

وفي سنة ثمان وخمسين عهد الب ارسلان بالسلطنة لابنه ملكشاه، واستحلف له الامراء وخلع عليهم وأمر بالخطبة في سائر أعماله، وأقطع بلخ لاخيه سليمان، وخوارزم لاخيه ازعزا، ومرو لابنه ارسلان شاه، وصغانيان وطخارستان لاخيه الياس، ومازندران للامير ابنايخ وبيغوا، وجعل ولاية نقشوان ونواحيها لمسعود ابن ازتاس . وكان وزيره نظام الملك قد ابتدأ سنة سبع وخمسين بناء المدرسة النظاميّة ببغداد، وتمت عمارتها في ذي القعدة سنة تسع وخمسين، وعين للتدريس بها الشيخ اسحاق الشيرازي، واجتمع الناس لحضور درسه وتخلف لانه سمع أنّ في مكانها غصباً . وبقي الناس في انتظاره حتى يئسوا منه فقال الشيخ أبو منصور لا ينفصل هذا الجمع إلّا عن تدريس، وكان أبو منصور الصباغ حاضراً

فدرّس وأقام مدرساً عشرين يوماً حتى سمع أبو اسحاق الشيرازي بالتدريس فاستقرّ بها .

وزراء الخليفة

كان فخر الدولة ابن جهير وزير القائم كما ذكرناه، ثم عزله سنة ستين وأربعمائة فلحق بنور الدولة دبيس بن مزيد بالقلوجة، وبعث القائم عن أبي يعلى والد الوزير أبي شجاع، وكان يكتب لهزارشب ابن عوض صاحب الاهواز فاستقدمه ليوليه الوزارة فقدم ومات في طريقه، وشفع دبيس بن مزيد في فخر الدولة بن جهير فأعيد الى وزارته سنة احدى وستين في صفر

الخطبة بمكة

وفي سنة اثنتين وستين خطب محمد بن أبي هاشم بمكة للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وأسقط خطبة العلوي صاحب مصر، وترك حيّ على خير العمل من الاذان، وبعث ابنه وافداً على السلطان بذلك فأعطاه ثلاثين ألف دينار، وخلعاً نفيسة ورتّب كل سنة عشرة آلاف دينار .

طاعة دبيس ومسلم بن قريش

كان مسلم بن قريش منتقضاً على السلطان، وكان هزارشب ابن شكر بن عوض قد أغرى السلطان بدبيس بن مزيد ليأخذ بلاده فانتقض . ثم هلك هزارشب سنة اثنتين وستين باصبهان منصرفاً من وفادته على السلطان بخراسان فوفد دبيس على السلطان

ومعه مشرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل، وخرج نظام الملك لتلقيهما، وأكرمهما السلطان ورجعا الى الطاعة .

الخطبة العباسية بحلب واستيلاء السلطان عليها

كان محمود بن صالح بن مراد قد استولى هو وقومه على مدينة حلب، وكانت للعلوي صاحب مصر . فلما رأى اقبال دولة ألب أرسلان وقوتها خافه على بلده فحملهم على الدخول في دعوة القائم، وخطب له على منابر حلب سنة ثلاث وستين، وكتب بذلك الى القائم فبعث اليه نقيب النقباء طراد بن محمد الزينبيّ بالخلع . ثم سار السلطان ألب أرسلان الى حلب ومرّ بديار بكر فخرج اليه صاحبها ابن مروان، وخدمه بمائة ألف دينار . ومر بآمد فامتنعت عليه وبالرها كذلك . ثم نزل على حلب وبعث اليه صاحبها محمود مع نقيب النقباء طراد بالاستعفاء من الحضور فالح في ذلك، وحاصره فلما اشتد عليه الحصار خرج ليلاً الى السلطان، ومعه أمه منيعة بنت رتاب النميري ملقياً بنفسه فأكرمه السلطان وخلع عليه وأعاده الى بلده فقام بطاعته .

واقعة السلطان مع ملك الروم واسره

كان ملك الروم في القُسطَنطِينِيّة وهو أرمانوس قد خرج سنة اثنتين وستين الى بلاد الشام في عساكر كثيفة، ونزل على منبج ونهبها وقتل أهلها، وزحف اليه محمود بن صالح بن مرداس وابن حسان الطائي في بني كلاب وطيء ومن اليهم من جموع العرب

فهزمهم، وطال عليه المقام على منبج، وعزّت الاقوات فرجع الى بلاده، واحتشد وسار في مائتي ألف من الزنج والروم والروس والكرخ وخرج في احتفال الى أعمال خلاط ووصل الى ملازجرد. وكان السلطان ألب أرسلان بمدينة خوي من أذربيجان عند عوده من حلب فتشوّق الى الجهاد، ولم يتمكن من الاحتشاد فبعث أثقاله وزوجته مع نظام الملك الى همذان، وسار فيمن حضره من العساكر، وكانوا خمسة عشر ألفاً. ووطن نفسه على الاستماتة فلقيت مقدّمته عند خلاط جموع الروسية في عشرة آلاف فانهزموا وجيء بملكهم الى السلطان فحبسه، وبعث بالاسلاب الى نظام الملك ليرسلها الى بغداد.

ثم تقارب العسكران وجنح السلطان للمهادنة فأبى ملك الروم فاعتزم السلطان وزحف وأكثر من الدعاء والبكاء، وعفر وجهه بالتراب. ثم حمل عليهم فهزمهم وامتلأت الارض باشلائهم، وأسر الملك أرمانوس، جاء به بعض الغلمان أسيراً فضربه السلطان على رأسه ثلاثاً ووبخه. ثم فاداه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار، وعلى أن يطلق كل أسير عنده، وأن تكون عساكر الروم مدداً للسلطان متى يطلبها. وتم الصلح على ذلك لمدة خمسين سنة. وأعطاه السلطان عشرة آلاف دينار وخلع عليه وأطلقه، ووثب ميخاييل على الروم فملك عليهم مكان أرمانوس فجمع ما عنده من الاموال فكان مائتي ألف دينار، وجيء بطبق مملوء بجواهر

قيمته تسعون ألفاً . ثم استولى أرمانوس بعد ذلك على أعمال الأرمن وبلادهم .

شحنة بغداد

قد ذكرنا أن السلطان ألب ارسلان ولّى لاول ملكه ايتكين السليماني شحنة بغداد سنة ست وخمسين فأقام فيها مدة، ثم سار الى السلطان في بعض مهمّاته، واستخلف ابنه مكانه فأساء السيرة، وقتل بعض المماليك الداوية فأنفذ قميصه من الديوان الى السلطان، وخوطب بعزله . وكان نظام الملك يعني به فكتب فيه بالشفاعة، وورد سنة أربع وستين فقصد دار الخلافة، وسأل العفو فلم يجب، وبعث الى تكريت ليسوغها[1] باقطاع السلطان فبرز المرسوم من ديوان الخلافة بمنع ذلك . ولما رأى السلطان ونظام الملك إصرار القائم على عزله بعث السلطان مكانه سعد الدولة كوهرايين[2] اتباعاً لمرضاة الخليفة . ولما ورد بغداد خرج الناس للقائه وجلس له القائم واستقرّ شحنة .

مقتل السلطان الب ارسلان وملك ابنه ملكشاه

سار السلطان ألب أرسلان محمد الى ما وراء النهر، وصاحبه شمس الملك تكين، وذلك سنة خمس وستين، وعبر على جسر

(١) يسوغ : بمعنى يسهل ولا يلتئم هذا المعنى هنا. وفي الكامل ج ٨ ص ١١١ : وكان نظام الملك يعني بالسليماني فأضاف إلى أقطاعه تكريت فكوتب واليها من ديوان الخلافة بالتوقف عن تسليمها.

(٢) في الكامل كوهرائين.

عقده على جيحون في نيف وعشرين يوماً، وعسكره تزيد على مائتي ألف. وجيء له بمستحفظ القلاع، ويعرف بيوسف الخوارزمي فأمر بعقابه على ارتكابه فأفحش في سبّ السلطان فغضب وأمر باطلاقه، ورماه بسهم فاخطأه فسير اليه يوسف، وقام السلطان عن سريره فعثر ووقع فضربه بسكينة، وضرب سعد الدولة، ودخل السلطان خيمته جريحاً. وقتل الاتراك يوسف هذا، ومات السلطان من جراحته عاشر ربيع سنة خمس وستين، لتسع سنين ونصف من ملكه، ودفن بمرو عند أبيه. وكان كريماً عادلاً كثير الشكر لنعمة الله والصدقة، واتسع ملكه حتى قيل فيه سلطان العالم.

ولما مات وقد أوصى بالملك لابنه ملكشاه فجلس للملك، وأخذ له البيعة وزيره نظام الملك، وأرسل الى بغداد فخطب له على منابرها. وكان ألب أرسلان أوصى ان يعطي أخوه قاروت بك أعمال فارس وكرمان وشيئاً عينه من المال، وكان بكرمان. وأن يعطى ابنه اياس بن ألب أرسلان ما كان لابيه داود، وهو خمسمائة ألف دينار، وعهد بقتال من لم يقض بوصيته. وعاد ملكشاه من بلاد ما وراء النهر فعبر الجسر في ثلاثة أيام، وزاد الجند في أرزاقهم سبعمائة ألف دينار، ونزل نيسابور، وأرسل الى ملوك الاطراف بالطاعة والخطبة فأجابوا. وأنزل أخاه اياس بن ألب ارسلان ببلخ وسار الى الريّ. ثم فوّض الى نظام الملك وأقطعه مدينة طوس التي هي منشؤه وغيرها، ولقبه ألقاباً منها أتابك ومعناها الامير

الوالد فحمل الدولة بصرامة وكفاية، وحسن سيرة وبعث كوهرايين الشحنة الى بغداد سنة ست وستين لاقتضاء العهد فجلس له القائم وعلى رأسه حافده وولي عهده المقتدي بأمر الله، وسلم الى سعد الدولة كوهرايين عهد السلطان ملكشاه بعد ان قرأ الوزير أوّله في المحفل، وعقد له اللواء بيده ودفعه اليه .

وفاة القائم ونصب المقتدي للخلافة

ثم توفي القائم بأمر الله ابو جعفر بن القادر، افتصد منتصف شعبان من سنة سبع وستين ونام فانفجر فصاده، وسقطت قوّته. ولما أيقن بالموت أحضر حافده أبا القاسم عبدالله ابن ابنه ذخيرة الدين محمد، وأحضر الوزير ابن جهير، والنقباء والقضاة وغيرهم، وعهد له بالخلافة. ثم مات لخمس وأربعين سنة من خلافته . وصلى عليه المقتدي ، وبويع بعهد جده، وحضر بيعته مؤيد الملك بن نظام الملك، والوزير فخر الدولة بن جهير وابنه عميد الدولة، وأبو اسحاق الشيرازي وأبو نصر بن الصباغ ، ونقيب النقباء طراد، والنقيب الطاهر المعمر بن محمد، وقاضي القضاة ابو عبدالله الدامغاني وغيرهم من الاعيان والاماثل . ولما فرغوا من البيعة صلى بهم العصر ، ولم يكن للقائم عقب ذكر غيره لان ابنه ذخيرة الدين أبا العباس محمداً توفي في حياته، ولم يكن له غيره فاعتمد القائم لذلك .

ثم جاءت جاريته ارجوان بعد موته لستة أشهر بولد ذكر

فعظم سرور القائم به، ولما كانت حادثة البساسيري حمله أبو الغنائم ابن المحلبان الى حران وهو ابن أربع سنين، وأعاده عند عود القائم الى داره . فلما بلغ الحلم عهد له القائم بالخلافة، ولما تمت بيعته لقب المقتدي وأقرّ فخر الدولة بن جهير على وزارته بوصية جده القائم بذلك . وبعث ابن عميد الدولة الى السلطان ملكشاه لاخذ البيعة في رمضان من سنة سبع وستين وبعث معه من الهدايا ما يجل عن الوصف . وقدم سعد الدولة كوهرابين سنة ثمان وستين الى بغداد شحنة، ومعه العميد ابو نصر ناظرًا في أعمال بغداد، وقدم مؤيد الملك ابن نظام الملك سنة سبعين للاقامة ببغداد، ونزل بالدار التي بجوار مدرستهم .

عزل الوزير ابن جهير وزارة ابي شجاع

كان ابو نصر بن الاستاذ أبي القاسم القُشَيْرِيّ قد حجّ سنة تسع وستين فورد بغداد منصرفاً من الحج، ووعظ الناس بالنظاميّة، وفي رباط شيخ الشيوخ، ونصر مذهب الأشعَرِيّ فأنكر عليه الحنابلة، وكثر التعصب من الجانبين، وحدثت الفتنة والنهب عند المدرسة النظاميّة فأرسل مؤيد الملك الى العميد والشحنة فحضروا في الجند، وعظمت الفتنة، ونسب ذلك الى الوزير فخر الدولة بن جهير، وعظم ذلك على عضد الدولة فأعاد كوهرابين الى الشحنة ببغداد . وأوصاه المقتدي بعزل فخر الدولة من الوزارة، وأمر كوهرابين بالقبض على أصحابه، ونمي الخبر الى بني جهير فبادر

عميد الدولة ابن الوزير الى نظام الملك يستعطفه . ولما بلغ كوهرابين رسالة الملك الى المقتدي أمر فخر الدولة بلزوم منزله . ثم جاء ابنه عميد الدولة، وقد استصلح نظام الملك في الشفاعة لهم فأعيد عميد الملك الى الوزارة دون أبيه فخر الدولة، وذلك في صفر سنة اثنتين وسبعين .

استيلاء تتش بن الب ارسلان على دمشق وابتداء دولته ونفيه فيها

كان أتسز ــ بهمزة وسين وزاي ــ ابن أبق الخوارزمي من أمراء السلطان ملك شاه، وقد سار سنة ثلاث وستين الى فلسطين من الشام ففتح مدينة الرملة، ثم حاصر بيت المقدس وفتحها من يد العلويين أصحاب مصر، وملك ما يجاورها ما عدا عسقلان . ثم حاصر دمشق حتى جهدها الحصار فرجع وبقي يردّد الغزوات اليها كل سنة . ثم حاصرها سنة سبع وستين وبها المعلّى بن حمدرة من قبل المنتصر العُبَيْدِيّ فأقام عليها شهراً . ثم أقلع ديار اهل دمشق[1] بالمعلى لسوء سيرته فهرب الى بانياس، ثم الى صور، ثم أخذ الى مصر وجلس بها ومات محبوساً . واجتمع المصامدة بعد هربه من دمشق وولوا عليهم انتصار ابن يحيى المصمودي ولقبوه زين الدولة . ثم اختلفوا عليه ووقعت الفتنة وغلت الاسعار ورجع

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ١٢٢ : فلما كان رمضان سنة سبع وستين سار إلى دمشق فحصرها وأميرها المعلى بن حيدرة من قبل الخليفة المستنصر، فلم يقدر عليها فانصرف عنها في شوال فهرب أميرها المعلى في ذي الحجة. وكان سبب هربه أنه أساء السيرة مع الجند والرعية وظلمهم فكثر الدعاء عليه، وثار به العسكر، وأعانهم العامة فهرب إلى بانياس.

أتسز الى حصارها فنزل له عنها انتصار على الامان، وعوّضه عنها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل، وخطب فيها أتسز للمقتدي العباسي في ذي القعدة سنة ثمان وستين.

وتغلب على أكثر الشام ومنع من الأذان بحيّ على خير العمل. ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها حتى أشرف على أخذها. ثم انهزم من غير قتال، ورجع الى دمشق، وقد انتقض عليه اكثر بلاد الشام فشكر لاهل دمشق صونهم لمخلفه وأمواله، ورفع عنهم خراج سنة. وبلغه انّ أهل القدس وثبوا بأصحابه ومخلفه وحصروهم في محراب داود عليه السلام فسار اليهم، وقاتلوه فملكهم عنوة وقتلهم في كل مكان إلا من كان عند الصخرة.

ثم انّ السلطان ملك شاه أقطع أخاه تاج الدولة تُتُش سنة سبعين وأربعمائة بلاد الشام وما يفتحه من نواحيها فسار الى حلب سنة احدى وسبعين وحاصرها وضيّق عليها، وكانت معه جموع كثيرة من التركمان. وكان صاحب مصر قد بعث عساكره مع قائده نصير الدولة لحصار دمشق فأحاطوا بها، وبعث أتسز الى تتش وهو على حلب يستمدّه فسار اليه، وأجفلت العساكر المصرية عن دمشق، وجاء اليها تتش فخرج أتسز للقائه بظاهر البلد فتجنى عليه حيث لم يستعد للقائه، وقبض عليه وقتله لوقته، وملك البلد وأحسن السيرة فيها، وذلك سنة احدى وسبعين فيما قال الهمذاني. وقال الحافظ أبو القاسم بن عساكر ان ذلك كان سنة اثنتين وسبعين.

وقال ابن الاثير والشاميون في هذا الاسم افسلس، والصحيح أنه أتسز وهو اسم تركي .

سفارة الشيخ ابي اسحاق الشيرازي عن الخليفة

كان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث، قد أساء السيرة وأساء الى الرعيّة وعسفهم، واطرح جانب الخليفة المقتدي وحواشيه فاستدعى المقتدي الشيخ أبا اسحاق الشيرازي، وبعثه الى السلطان ملك شاه والوزير نظام الملك بالشكوى من ابن العميد فسار لذلك ومعه جماعة من أعيان الشافعية منهم أبو بكر الشاشي وغيره، وذلك سنة خمس وخمسين . وتنافس أهل البلاد في لقائه والتمسّح بأطرافه والتماس البركة في ملبوسه ومركوبه، وكان أهل البلاد اذا مرّ بهم يتسايلون اليه ويزدحمون على ركابه، وينشدون على موكبه كل أحد ما يناسب ذلك، وصدر الامر باهانة ابن العميد ورفع يده عما يتعلق بحواشي المقتدي، وجرى بينه وبين إمام الحرمين مناظرة بحضرة نظام الملك ذكرها الناس في كتبهم انتهى .

عزل ابن جهير عن الوزارة وامارته على ديار بكر

ثم ان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير عزله الخليفة المقتدي عن الوزارة، ووصل يوم عُزِل رسول من قبل السلطان ونظام الملك، يطلب بني جهير فأذن لهم وساروا بأهلهم الى السلطان فلقّاهم كرامةً وبراً، وعقد لفخر الدولة على ديار بكر مكان بني مروان، وبعث معه العساكر سنة وأعطاه الآلة، وأذن له أن يخطب فيها

لنفسه، ويكتب اسمه في السكة فسار لذلك سنة ست وسبعين. ثم بعث اليه السلطان سنة سبع وسبعين بمدد العساكر مع الامير ارتق بن اكسب جلّ أصحاب ماردين لهذا العهد، وكان ابن مروان قد استمدّ فخر الدولة بن جهير بنواحيها، وكان معه جماعة من التركمان فتقدموا الى قتل مشرف الدولة، وانهزم أمامهم وغنم التركمان من كان معه من احياء العرب، ودخل آمد فحصره بها فخر الدولة وأرتق فراسل أرتق وبذل له مالاً على الخروج من ناحيته فاذن له وخرج. ورجع ابن جهير الى ميافارقين ومعه بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب الحلة والنيل والجامعين، وابنه سيف الدولة صدقة ففارقوه الى العراق، وسارهو الى خلاط.

وكان السلطان لما بلغه انهزام مشرف الدولة وحصاره بآمد بعث عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير في عسكره الى الموصل ومعه قسيم الدولة اقسنقر جدّ نور الدين العادل، وكاتب امراء التركمان بطاعته، وساروا الى الموصل فملكوها. وسار السلطان بنفسه اليها وقارن ذلك خلوص مشرف الدولة من حصار آمد فراسل مؤيد الدولة بن نظام الملك وهو على الرحبة، وأهدى له فسعى له عند السلطان وأحضره وأهدى للسلطان سوابق خيله وصالحه وأقرّه على بلاده، وعاد الى خُراسان. ولم يزل فخر الدولة بن جهير في طلب ديار بكر حتى ملكها. فأنفذ اليه زعيم الرؤساء القاسم سنة ثمان وسبعين وحاصرها وضيق عليها حتى غدر بها بعض أهل العسكر

من خارج وملكها، وعمد أهل البلد الى بيوت النصارى بينهم فنهبوها بما[1] كانوا عمال بني مروان، وكان لهم جور على الناس.

وكان فخر الدولة مقيماً على ميافارقين محاصراً لها، وجاءه سعد الدولة كوهراين في العسكر مدداً من عند السلطان فخرج في حصارها وسقط بعض الايام جانب من سورها فدهش أهل البلد وتنادوا بشعار السلطان ملك شاه، واقتحم فخر الدولة البلد واستولى على ما كان لبني مروان، وبعث بأموالهم الى السلطان مع ابنه زعيم الرؤساء فلحقه باصبهان سنة ثمان وسبعين. ثم بعث فخر الدولة أيضاً عسكراً الى جزيرة ابن عمر وحاصروها حتى جهدهم الحصار فوثب طائفة من أهل البلد بعاملها، وفتحوا الباب، ودخل مقدّم العسكر فملك البلد ودخل سنة ثمان وسبعين. وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر، واستولى عليها فخر الدولة بن جهير، ثم أخذها السلطان من يده، وسار الى الموصل فتوفي بها، وكان مولده بها، واستخدم لبرلة بن مقلة وسفر[2] عنه الى ملك الروم. ثم سار الى حلب ووزر لمعز الدولة أبي هال بن صالح. ثم مضى الى ملطية ثم الى مروان بديار بكر، فوزر له ولولده. ثم سار الى بغداد ووزر للخليفة كما مرّ في آخر ما ذكرنا، وتوفي سنة ثلاث وثمانين انتهى.

---

(١) كذا بالأصل والمعنى بموجب السياق: لأنهم كانوا. . .

(٢) خرج إلى السفر.

خبر الوزارة

لما عزل الخليفة المقتدي عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين رتب في الديوان أبا الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء . ثم استوزر أبا شجاع محمد بن الحسين فلم يزل في الوزارة الى سنة أربع وثمانين فتعرّض لابي سعد بن سمحاء اليهودي وكان وكيلا للسلطان، ونظام الملك . وسار كوهرايين الشحنة الى السلطان بأصبهان فضى اليهودي في ركابه، وسمع المقتدي بذلك فخرج توقيعه بالزام أهل الذمّة بالغيار فأسلم بعضهم وهرب بعضهم . وكان ممن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا الكاتب وقرابته، ولما وصل كوهرايين وأبو سعد الى السلطان وعظمت سعايتهما في الوزير أبي شجاع فكتب السلطان ونظام الملك الى المقتدي في عزله فعزله، وأمره بلزوم بيته، وولى مكانه أبا سعد ابن موصلايا الكاتب، وبعث المقتدي اليهما في عميد الدولة بن جهير فبعثا به اليه واستوزره سنة أربع وثمانين، وركب اليه نظام الدولة فهنأه بالوزارة في بيته وتوفي الوزير أبو شجاع سنة ثمان وثمانين .

استيلاء السلطان على حلب

قد ذكرنا من قبل استيلاء السلطان ألب أرسلان على حلب، وخطبة صاحبها محمود ابن صالح بن مرداس على منابره باسمه سنة ثلاث وستين . ثم عاد بعد ذلك الى طاعة العَلَوِيّة بمصر . ثم انتقضت دولة بني مرداس بها وعادت رياستها شورى في مشيختها،

وطاعتهم لمسلم بن قريش صاحب الموصل، وكبيرهم ابن الحتيتي. واستقرّ ملك سليمان ابن قطلمش ببلاد الروم، وملك انطاكية سنة سبع وسبعين. وتنازع مع مشرف الدولة ابن قريش ملك حلب وتزاحفا فقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش سنة تسع وسبعين. وكتب الى أهل حلب يستدعيهم الى طاعته فاستمهلوه الى أن يكاتبوا السلطان ملك شاه. فان الكل كانوا في طاعته وكتبوا الى تُتُش أخي السلطان وهو بدمشق أن يملكوه فسار اليهم ومعه ارتق بن أكسب، كان قد لحق به عندما جاء السلطان الى الموصل وفتحها خشية مما فعله في خلاص مسلم بن قريش من حصار آمد فأقطعه تتش بيت المقدس.

فلما جاء تتش الى حلب، وحاصر القلعة، وبها سالم بن مالك ابن بدران ابن عمّ مشرف الدولة مسلم بن قريش، وكان ابن الحتيتي وأهل حلب قد كاتبوا السلطان ملك شاه أن يسلموا اليه البلد فسار من اصبهان في جمادى سنة تسع وستين، ومرّ بالموصل، ثم بحرّان فتسلمها وأقطعها محمد بن مسلم بن قريش، ثم بالرها فملكها من يد الروم، ثم بقلعة جعفر فحاصرها وملكها من يد بعض بني قشير، ثم منبج فلكها، ثم عبر الفرات الى حلب فأجفل أخوه تتش الى البرية ومعه أرتق. ثم عاد الى دمشق وكان سالم بن مالك ممتنعاً بالقلعة فاستنزله منها وأقطعه قلعة جعبر فلم تزل بيده ويد بنيه حتى ملكها منهم نور الدين العادل، وبعث الى السلطان بالطاعة

على شيراز، وولى السلطان على حلب قسيم الدولة صاحب شيراز نصر بن علي بن منقذ الكناني وسلم اليه اللاذقية وكفرطاب وفامية فأقرّ على شيراز، وولى السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنقر جدّ نور الدين العادل، ورحل الى العراق وطلب أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثي فحمله معه وأنزله بديار بكر فتوفي فيها بحال أملاق .

ودخل السلطان بغداد في ذي الحجة من سنة تسع وسبعين، واهدى الى المقتدي وخلع عليه الخليفة، وقد جلس له في مجلس حفل، ونظام الملك قائم يقدم أمراء السلطان واحداً بعد واحد آخر للسلام للخليفة، ويعرّف بأسمائهم وأنسابهم ومراتبهم. ثم فوّض الخليفة المقتدي الى السلطان أمور الدولة، وقبل يده وانصرف . ودخل نظام الملك الى مدرسته فجلس في خزانة الكتب، واسمع جزء حديث وأملى آخر، وأقام السلطان في بغداد شهراً، ورحل في صفر من سنة ثمانين الى اصبهان، وجاء الى بغداد مرّة أخرى في رمضان من سنة أربع وثمانين، ونزل بدار الملك، وقدم عليه أخوه تاج الدولة تتش، وقسيم الدولة اقسنقر من حلب، وغيرهما من أمراء النواحي . وعمل ليلة الميلاد من سنة خمس وثمانين لم ير أهل بغداد مثله، وأخذ الامراء في بناء الدور ببغداد لسكناهم عند قدومهم فلم تمهلهم الايام لذلك .

فتنة بغداد

كانت مدينة بغداد قد احتفلت في كثرة العمران بما لم تنته اليه مدينة في العالم منذ مبدء الخليقة فيما علمناه، واضطربت آخر الدولة العباسية بالفتن وكثر فيها المفسدون والدعار والعيّارون من الرها، وأعيا على الحكام امرهم، وربما أركبوا العساكر لقتالهم ويثخنون فيهم فلم يحسم ذلك من عللهم شيئاً . وربما حدثت الفتن من أهل المذاهب، ومن أهل السنة والشيعة من الخلاف في الامامة ومذاهبها، وبين الحنابلة والشافعيّة وغيرهم من تصريح الحنابلة بالتشبيه في الذات والصفات، ونسبتهم ذلك الى الامام احمد، وحاشاه منه، فيقع الجدال والنكير، ثم يفضي الى الفتنة بين العوام. وتكرر ذلك منذ حجر الخلفاء . ولا يقدر بنو بويه ولا السلجوقية على حسم ذلك منها لسكنى أولئك بفارس، وهؤلاء باصبهان، وبعدهم عن بغداد . والشوكة التي تكون بها حسم العلل لاتفاقهم . وانما تكون ببغداد شحنة تحسم ما خف من العلل ما لم ينته الى عموم الفتنة، ولم يحصل من ملوكهم اهتمام لحسم ذلك لاشتغالهم بما هو أعظم منه في الدولة والنواحي . وعامة بغداد أهون عليهم من أن يصرفوا همتهم عن العظائم اليهم فاستمرّت هذه العلة ببغداد، ولم يقلع عنها الى أن اختلفت جدّتها وتلاشى عمرانها، وبقي طراز في ردائها لم تذهبه الايام .

مقتل نظام الملك واخباره

كان من أبناء الدهاقين بطوس أبو علي الحسين بن علي بن اسحاق فشب وقرأ بها، وسمع الحديث الكبير وتعلق بالاحكام السلطانية، وظهرت فيها كفايته، وكان يعرف بحسن الطوسي . وكان أميره الذي يستخدمه يصادره كل سنة فهرب منه الى داود وحفري بك، وطلبه مخدومه الامير فمنعه، وخدم أبا علي بن شادان متولي الاعمال ببلخ لحفري بك أخي السلطان طغرلبك، وهو والد السلطان ألب أرسلان . ولما مات أبو علي وقد عرف نظام الملك هذا بالكفاية والامانة أوصى به ألب أرسلان فأقام بأمور دولته ودولة ابنه ملك شاه من بعده، وبلغ المبالغ كما مرّ واستولى على الدولة .

وولى أولاده الأعمال، وكان فيمن ولاه منهم ابن ابنه عثمان جمال، وولى على مرو، وبعث السلطان اليها شحنة من أعظم أمرائه وقع بينه وبين عثمان نزاع فحملته الحداثة والادلال بجاهه على أن قبض على الامير وعاقبه فانطلق الى السلطان مستغيثاً، وامتعض لها السلطان، وبعث الى نظام الملك بالنكير مع خواصه وثقاته فحملته الدالة على تحقيق تعديد حقوقه على السلطان، واطلاق القول في العتاب والتهديد بطوارق الزمن . وارادوا طيّ ذلك عن السلطان فوشى به بعضهم . فلما كان رمضان من سنة خمس وثمانين، والسلطان على نهاوند عائداً من أصبهان الى بغداد، وقد انصرف

الملك يومه ذلك من خيمة السلطان الى خيمته فاعترضه صبي قيل انه من الباطنيّة في صورة مستغيث فطعنه بسكينة فمات، وهرب الصبي فأدرك وقتل، وجاء السلطان الى خيمة نظام الملك يومه، وسكن اصحابه وعسكره، وذلك لثلاثين سنة من وزارته سوى ما وزر لابيه ألب أرسلان ايام امارته بخراسان .

وفاة السلطان ملك شاه وملك ابنه محمود

لما قتل نظام الملك على نهاوند كما ذكرناه سار السلطان لوجهه، ودخل بغداد آخر رمضان من سنته، ولقيه الوزير عميد الدولة بن جهير، واعتزم السلطان أن يولّي وزارته تاج الملك، وهو الذي سعى بنظام الملك، وكانت قد ظهرت كفايته . فلما صلى السلطان العيد عاد الى بيته وقد طرقه المرض، وتوفي منتصف شوّال فكتمت زوجته تركان خاتون موته، وأنزلت أموالها وأموال اهل الدولة بحريم دار الخلافة، وارتحلت الى اصبهان . وسلّوا السلطان معها في تابوته، وقد بذلت الاموال للامراء على طاعة ابنها محمود والبيعة له فبايعوه، وقدمت من طريق قوام الدولة كربوقا الذي ملك الموصل من بعد ذلك فسار بخاتم السلطان لنائب القلعة وتسلمها . ولما بايعت لولدها محمود وعمره يومئذ أربع سنين بعثت الى الخليفة المقتدي في الخطبة له فاجابها على شرط أن يكون أنز من أمراء أبيه هو القائم بتدبير الملك، وأن يصدر عن رأي الوزير تاج الملك، ويكون له ترتيب العمال وجباية الأموال فأبت أوّلا من قبول

هذا الشرط، حتى جاءها الامام ابو حامد الغزالي وأخبرها أنَّ الشرع لا يجيز تصرُّفاته فأذعنت لذلك فخطبت لابنها آخر شوّال من السنة، ولقب ناصر الدولة والدين، وكتب الى الحرمين الشريفين فخطب له بها .

ثورة بركيارق بملك شاه

كانت تركمان خاتون عند موت السلطان ملك شاه قد كتمت موته وبايعت لابنها محمود كما قلناه، وبعثت الى اصبهان سرّاً في القبض على بركيارق ابن السلطان ملك شاه خوفاً من ان ينازع ابنها محموداً فحبس . فلما ظهر موت ملك شاه وثب مماليك بَركيارُق نظام الملك على سلاح كان له باصبهان وثاروا في البلد، وأخرجوا بركيارق من محبسه وبايعوه وخطبوا له باصبهان . وكانت أمّه زبيدة بنت عم ملك شاه وهو ياقوتي خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود، وكان تاج الملك قد تقدّم الى أصبهان وطالبه العسكر بالأموال فطلع الى بعض القلاع لينزل منها المال وامتنع فيها خوفاً من مماليك نظام الملك . ولما وصلت تركمان خاتون الى اصبهان جاءها فقبلت عذره . وكان بركيارق لما أقامت خاتون ابنها محموداً باصبهان خرج فيمن معه من النظاميّة الى الريّ واجتمع معه بعض أمراء أبيه، وبعثت خاتون العساكر الى قتاله، وفيهم أمراء ملك شاه . فلما تراءى الجمعان هرب كثير من الامراء الى بركيارق واشتدّ القتال فانهزم عسكر محمود وخاتون وعادوا الى أصبهان

وسار بركيارق في أثرهم فحاصرهم بها .

مقتل تاج الملك

كان الوزير تاج الملك قد حضر مع عسكر خاتون وشهد وقعة بركيارق . فلما انهزموا سار الى قلعة يزدجرد فحبس في طريقه، وحمل الى بركيارق وهو محاصر اصبهان، وكان يعرف كفايته فأجمع ان يستوزره، وأصلح هو النظامية وبذل لهم مائتي ألف دينار واسترضاهم بها . ونمي ذلك الى عثمان نائب نظام الملك فوضع الغلمان الأصاغر عليه الطالبين ثار سيدهم، [1] وأغراهم فقتلوه وقطعوه قطعاً وذلك في المحرم سنة ست وثمانين . ثم خرج الى بركيارق من أصبهان وهو محاصر لها عز الملك أبو عبدالله بن الحسين بن نظام الملك، وكان على خوارزم، ووفد على السلطان ملك شاه قبل مقتل أبيه . ثم كان ملكها فأقام هو باصبهان، وخرج الى بركيارق وهو يحاصرها فاستوزره وفوض اليه أمر دولته انتهى .

الخطبة لبركيارق ببغداد

ثم قدم بركيارق بغداد سنة ست وثمانين، وطلب من المقتدي الخطبة فخطب له على منابرها ولقب ركن الدين، وحمل الوزير عميد

---

(١) كذا بالأصل، والظاهر هنا أن عبارة سقطت أثناء النسخ أو الطبع وفي الكامل ج ٨ ص ١٦٥ : فلما بلغ عثمان نائب نظام الملك الخبر ساءه فوضع الغلمان الأصاغر على الاستغاثة، وأن لا يصنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ففعلوا فانفسخ ما دبره تاج الملك، وهجم النظامية عليه فقتلوه، وفصلوه أجزاء .

الدولة بن جهير اليه الخلع فلبسها وتوفي المقتدي وهو مقيم ببغداد .

وفاة المقتدي ونصب المستظهر للخلافة

ثم توفي المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذخيرة محمد ابن القائم بأمر الله في منتصف محرّم سنة سبع وثمانين، وكان موتـه فجأة أحضر عنده تقليد السلطان بركيارق ليعلم عليه فقرأه ووضعه . ثم قدّم اليه طعام فأكل منه ثم غشي عليه فمات، وحضر الوزير فجهزوا جنازته وصلى عليه ابنه أبو العباس أحمد، ودفن، وذلك لتسع عشرة سنة وثمانية أشهر من خلافته . وكانت له قوّة وهمة لولا أنه كان مغلباً، وعظمت عمارة بغداد في أيامه وأظنّ ذلك لاستفحال دولة بني طغرلبك . ولما توفي المقتدي وحضر الوزير أحضر ابنه أبا العباس أحمد الحاشية فبايعوه ولقبوه المستظهر، وركب الوزير الى بركيارق، وأخذ بيعته للمستظهر . ثم حضر بركيارق لثالثة من وفاته ومعه وزيره عز الملك بن نظام الملك وأخوه بهاء الملك، وأمر السلطان بأرباب المناصب فجمعوا، وحضر النقيبان طراد العباسي والمعمر العلوي، وقاضي القضاة أبو عبدالله الدامغاني والغزالي والشاشي وغيرهم فجلسوا في العزاء وبايعوا .

اخبار تتش وانتقاضه وحروبه ومقتله

قد ذكرنا فيما تقدّم أنّ تُتُش ابن السلطان ألب أرسلان استقل بملك دمشق وأعمالها، وانه وفد على السلطان ملك شاه ببغداد قبل موته وانصرف، وبلغه خبر وفاته بهيت فملكها وسار الى دمشق

فجمع العساكر، وزحف الى حلب فأطاعه صاحبها قسيم الدولة اقسنقر، وسار معه، وكتب الى ناعيسان صاحب انطاكية والى برار صاحب الرها وحرّان يشير عليهما بطاعة تتش حتى يصلح حال أولاد ملك شاه فقبلوا منه، وخطبوا له في بلادهم، وساروا معه فحضر الرحبة وملكها في المحرّم سنة ست وثمانين، وخطب فيها لنفسه. ثم فتح نصيبين عنوةً، وعاث فيها، وسلّمها لمحمد بن مشرف الدولة، وسار يريد الموصل، ولقيه الكافي فخر الدولة بن جهير، وكان في جزيرة ابن عمر فاستوزره وبعث الى ابراهيم بن مشرف الدولة مسلم بن قريش وهو يومئذ ملك الموصل يأمره بالخطبة له، وتسهيل طريقه الى بغداد فأبى من ذلك وزحف اليه تتش وهو في عشرة آلاف، واقسنقر على ميمنته وتوزران على ميسرته، وابراهيم في ستين ألفاً والتقوا فانهزم ابراهيم وأخذ أسيراً وقتل جماعة من أمراء العرب صبراً، وملك تاج الدولة تتش الموصل، وولى عليها عليّ ابن مشرف الدولة. وفوّض إليه أمر صفية عمة تتش، وبعث الى بغداد يطلب مساعدة كوهرابين الشحنة فجاء العذر بانتظار الرسل من العسكر فسار الى ديار بكر وملكها، ثم الى أذربيجان، وبلغ خبره الى بركيارق، وقد استولى على همذان والريّ فسار لمدافعته فلما التقى العسكران جنح اقسنقر الى بركيارق وفاوض توران في ذلك، وانهما انما اتبعا تتش حتى يظهر أمر اولاد ملكشاه فوافقه على ذلك وسارا معاً الى بركيارق فانهزم تتش وعاد الى دمشق، واستفحل

بركيارق وجاءه كوهرابين يعتذر من مساعدته لتتش في الخطبة فلم يقبله، وعزله، وولى الامير نكبرد شحنة بغداد مكانه . ثم خطب لبركيارق ببغداد كما قدّمناه .

ومات المقتدي ونصب المستظهر، ولما عاد تُتُش من أذْرَبَيْجَان الى الشام جمع العساكر، وسار الى حلب لقتال اقسنقر، وبعث بَرْكَيَارُق كَرْبوقا الذي صار أمير الموصل مدداً لأَقْسَنْقَر، ولقيهم تتش قريباً من حلب فهزمهم وأسر أقسنقر فقتله صبراً . ولحق توران وكربوقا بحلب، وحاصرهما تتش فملكها وأخذهما أسيرين وبعث الى حرّان والرُّها في الطاعة، وكانتا لتوران فامتنعوا فبعث برأسه يهم وأطاعوه، وحبس كربوقا في حِمصَ الى أن أطاعه رضوان بعد قتل أبيه تتش .

ثم سار تُتُش الى الجزيرة فملكها، ثم ديار بكر، ثم خلاط وأرمينية، ثم أذْرَبَيْجَان . ثم سار الى همذان فملكها، وكان بها فخر الدوله نظام الملك، سار من حران لخدمة بركيارق فلقيه الامير تاج من عسكر محمود بن ملكشاه بأصبهان فنهب ماله ونجا بنفسه الى همذان، وصادف بها تتش، وشفع فيه باغِسيان وأشار بوزارته فاستوزره، وأرسل الى بغداد يطلب الخطبة من المستظهر، وبعث يوسف بن أبق التُرْكُمَانِيّ شِحْنَتَه الى بغداد في جمع من التُرْكمان فمنع من دخولها .

وكان بركيارق قد سار الى نَصيبين، وعبر دِجْلَة فوق الموصل

الى أزبل، ثم الى بلد سرخاب بن بدر، حتى اذا كان بينه وبين عمه تسعة فراسخ، وهو في ألف رجل، وعمه في خمسين ألفاً فبيته بعض الأمراء من عسكر عمه فانهزم إلى اصبهان، وبها محمود ابن أخيه، وقد ماتت أمه تركان خاتون فأدخله أمراء محمود، واحتاطوا عليه . ثم مات محمود سلخ شوّال من سنة سبع وثمانين، واستولى بركيارق على الامر، وقصده مؤيد المُلك بن نظام المُلكِ فاستوزره في ذي الحجة، واستمال الامراء فرجعوا اليه وكثر جمعه . وكان تُتش بعد هزيمة بركيارق قد اختلف عليه الامراء، وراسل أمراء أصبهان يدعوهم الى طاعته فواعدوه انتظار بركيارق، وكان قد أصابه الجُدري فلما أبلّ نبذوا اليه عهده، وساروا مع بركيارق من أصبهان وأقبلت اليهم العساكر من كل مكان، وانتهوا الى ثلاثين ألفاً والتقوا قريباً من الريّ فانهزم تتش وقتله بعض أصحاب أقسنقر، وكان قد حبس وزيره فخر الملك بن نظام الملك فأطلق ذلك اليوم، واستفحل أمر بركيارق وخطب له ببغداد .

ظهور السلطان ملكشاه والخطبة له ببغداد

كان السلطان بركيارق قد ولّى على خراسان وأعمالها أخاه لابيه سنجر فاستقل باعمال خراسان كما يذكر في أخبار دولتهم عند انفرادها بالذكر . وانما نذكر هنا من أخبارهم ما يتعلّق بالخلافة والخطبة لهم ببغداد، لأنّ مساق الكلام هنا انما هو عن أخبار دولة بني العبّاس، ومن وزر لهم أو تغلّب خاصة .

وكان لسنجر بن ملكشاه أخ شقيق اسمه محمد، ولما هلك السلطان ملكشاه سار مع أخيه محمود وتركان خاتون الى اصبهان . فلما حاصرهم بركيارق لحق به أخوه محمد هذا وسار معه الى بغداد سنة ست وثمانين، وأقطعه دجلة وأعمالها وبعث معه قَطْلَغ تكين أتابك . فلما استولى على أمره قتله أنفة من حجره

ثم لحق به مؤيد الملك بن عُبَيْدالله بن نظام الملك، كان مع الامير انز، وداخله في الخلاف على السلطان بركيارق . فلما قتل أنز كما نذكر في أخبارهم لحق مؤيد الملك بمحمد ابن السلطان ملك شاه، وأشار عليه ففعل وخطب لنفسه . واستوزره مؤيد الملك، وقارن ذلك أن السلطان بركيارق قتل خاله مجد الملك البارسلاني فاستوحش منه أمراؤه، ولحقوا بأخيه محمد وسار بركيارق الى الري واجتمع له بها عساكر وجاء عز الملك منصور ابن نظام الملك في عساكر، وبينما هو في الري اذ بلغه مسير أخيه محمد اليه فأجفل راجعا الى أصبهان فمنعه أهلها الدخول، فسار الى خوزستان . وجاء السلطان محمد الى الريّ أول ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين، ووجد أم بركيارق بها وهي زبيدة خاتون فحبسها مؤيد الملك وقتلها، واستفحل ملك محمد، وجاءه سعد الدولة كوهرابين شِحْنَة[1] بغداد وكان مستوحشاً من بركيارق،

(١) شحنة بمعنى الحامية، ولكن ابن خلدون في كتابه هذا استعملها بمعنى القائد أو رئيس الشرطة، كما استعملها أحياناً بمعناها الحقيقي: الحامية. فإن المدعو كوهرابين هنا، وفي الكامل كوهرائين كان رئيس شرطة أو حامية بغداد، كما هو مذكور في كتب التاريخ كافة.

وجاء معه كربوقا صاحب الموصل، وجَكَرْمَش صاحب جزيرة ابن عمر، وسرخاب ابن بدر صاحب كركور فلقوه جميعاً بِقُم . وسار كربوقا وجكرمَش معه الى اصبهان، وردّ كوهرابين الى بغداد في طلب الخُطبَة من الخليفة، وأن يكون شِحْنَة بها فأجابه المستظهر الى ذلك، وخطب له منتصف ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين، ولقب غياث الدنيا والدين .

اعادة الخطبة لبركيارق

لما سار بركيارق مجفلًا من الري الى خوزستان أمام أخيه محمد، وأمير عسكره يومئذ نيال بن أنوش تكين الحسامي، ومعه جماعة من الامراء أجمع المسير الى العراق فسار الى واسط، وجاءه صَدَقَةُ ابن مزيد صاحب الحلّة . ثم سار الى بغداد فخطب له بها منتصف صفر من سنة ثلاث وتسعين . ولحق سعد الدولة كوهرابين ببعض الحصون هنالك، ومعه ابو الغازي بن أرتق وغيره من الامراء، وأرسل الى السلطان محمد ووزيره مؤيد الملك يستحثهما في الوصول، فبعث اليه كربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب الجزيرة فلم يرضه . وطلب جكرمش العود الى بلده فاطلقه . ثم نزع كوهرابين ومن معه من الامراء الى بركيارق باغراء كربوقا صاحب الموصل، وكاتبوه فخرج اليهم ودخلوا معه بغداد، واستوزره الأغرّ أبو المحاسن عبد الجليل بن علي بن محمد الدَهِسْتَانِيّ، وقبض على عميد الدولة ابن جهير وزير الخليفة وطالبه بأموال ديار بكر

والموصل في ولايته وولاية أبيه، وصادره على مائة وستين ألف دينار فحملها اليه، وخلع المستظهر على السلطان بركيارق واستقرّ أمره .

المصاف الاول بين بركيارق ومحمد وقتل كوهرايين والخطبة لمحمد

ثم سار بَرْكِيَارُق من بغداد الى شهرزور لقتال أخيه محمد، واجتمع اليه عسكر عظيم من التُرْكُمَان وكاتبه رئيس همذان بالمسير اليه فعدا عنه، ولقي أخاه محمداً على فراسخ من همذان ومحمد في عشرين ألف مقاتل، ومعه الامير سرخو شِحْنَة أصبهان، وعلى ميمنته أمير آخر وابنه أياز، وعلى ميسرته مؤيد الملك والنظامية. ومع بركيارق في القلب وزيره أبو المحاسن، وفي ميمنته كوهرايين وصدقة بن مزيد، وسرخاب بن بدر . وفي ميسرته كربوقا وغيره من الامراء . فحمل كوهرايين من ميمنة بركيارق على ميسرة محمد فانهزموا حتى نهبت خيامهم . ثم حملت ميمنة محمد على ميسرة بركيارق فانهزمت، وحمل محمد معهم فانهزم بركيارق، ورجع كوهرايين للمنهزمين فكبا به فرسه وقتل، وافترقت عساكر بركيارق وأسر وزيره أبو المحاسن فأكرمه مؤيّد الملك وأنزله وأعاده الى بغداد ليخاطب المستظهر في اعادة الخُطبَةِ للسلطان محمد ففعل، وخطب له ببغداد منتصف رجب سنة ثلاث وتسعين .

وابتداء أمر كوهرايين أنّه كان لامرأةٍ بخوزستان، وصار خادماً للملكِ أبي كاليجار بن سلطان الدولة . وحَظِيَ عنده وكان

يستعرض حوائج تلك المرأة، وأصاب أهلها منه خيراً . وأرسله أبو كاليجار مع ولده أبي نصر الى بغداد، فلما قبض عليه السلطان طغرلبك مضى معه الى محبسه بقلعة طبرك . ولما مات أبو نصر سار الى خدمة السلطان ألب أرسلان فحظِي عنده وأقطعه واسط، وجعله شِحْنَةَ بغداد، وكان حاضراً معه يوم قتله يوسف الخَوَارِزْمِيّ ووقاه بنفسه . ثم بعثه ابنه ملك شاه الى بغداد لاحضار الخلع والتقليد، واستقرّ شِحْنَة ببغداد الى أن قتل، ورأى ما لم يره خادم قبله من نفوذ الكلمة وكمال القدرة، وخدمة الأمراء والأعيان وطاعتهم انتهى .

مصاف بركيارق مع اخيه سنجر

ولما انهزم السلطان بركيارق من أخيه محمد لحق بالريّ واستدعى شيعته وأنصاره من الامراء فلحقوا به . ثم ساروا الى أسفَرَايِن، وكاتب الامير داود حبشي بن التونطاق يستدعيه، وهو صاحب خُراسان وطَبَرِسْتَان، ومنزله بالدامغان فأشار عليه باللحاق بنيسابور حتى يأتيه . فدخل نيسابور وقبض على رؤسائها، ثم أطلقهم، وأساء التصرّف . ثم أعاد الكتاب الى داود حبشي بالاستدعاء فاعتذر بأنّ السلطان سنجر زحف اليه في عساكر بَلْخ . ثم سأل منه المدد فسار بَرْكيارق اليه في ألف فارس وهو في عشرين ألفاً والتقوا بسنجر عند النوشجان، وفي ميمنة سنجر الامير برغش وفي ميسرته كوكر، ومعه في القلب رستم . فحمل بركيارق على رستم

فقتله وانهزم أصحابه، ونهب عسكرهم، وكادت الهزيمة تتم عليهم. ثم حمل برغش وكوكر على عسكر بركيارق وهم مشتغلون بالنهب فانهزموا، وانهزم بركيارق. وجاء بعض التركمان بالامير داود حبشي أسيراً الى برغش فقتله ولحق بركيارق بجرجان ثم بالدامغان، وقطع البرية الى أصبهان بمراسلة أهلها فسبقه أخوه محمد اليها فعاد أسيرهم انتهى.

عزل الوزير عميد الدولة بن جهير ووفاته

قد ذكرنا أنّ وزير السلطان بركيارق وهو الأغر أبو المحاسن أسر في المصاف الاول بين بركيارق ومحمد، وأنّ مؤيّد الملك بن نظام الملك وزير محمد أطلقه واصطنعه وضمنه عمارة بغداد، وحمله طلب الخطبة لمحمد ببغداد من المستظهر فخطب له، وكان فيما حمله للمستظهر عزل وزيره عميد الدولة بن جهير. وبلغ ذلك عميد الدولة فارسل من يعترض الأغر ويقتله فامتنع بعقر بابل. ثم صالحه ذلك الذي اعترضه وطلب لقاءه فلقيه ودس الأغرّ الى ابي الغازي بن ارتق، وكان وصل معه وسبقه الى بغداد فرجع اليه ليلاً ويئس منه ذلك الذي اعترضه، ووصل الأغر بغداد، وبلغ الى المستظهر رسالة مؤيد الدولة في عزل عميد الدولة فقبض عليه في رمضان من سنة ثلاث وتسعين، وعلى اخوته، وصودر على خمسة وعشرين ألف دينار، وبقي محبوساً بدار الخلافة الى أن هلك في محبسه.

المصاف الثاني بين بركيارق واخيه محمد ومقتل مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

قد ذكرنا أنّ بركيارق لما انهزم أمام أخيه محمد في المصاف الاوّل سار الى أصبهان، ولم يدخلها فمضى الى عسكر مكرم الى خوزستان وجاءه الاميران زنكي وألبكي ابنا برسق . ثم سار الى همذان فكاتبه أياز من كبار أمراء محمد بما كان استوحش منه فجاءه في خمسة آلاف فارس، وأغراه باللقاء فارتحل لذلك . ثم استأمن اليه سرخاب بن كنخسرو صاحب آوة فاجتمع له خمسون ألفاً من المقاتلة، وبقي أخوه في خمسة عشر ألفاً . ثم اقتتلوا أوّل جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين، وأصحاب محمد يغدون على محمد شيئاً فشيئاً مستأمنين . ثم انهزم آخر النهار وأسر وزيره مؤيد الملك، وأحضره عند بركيارق غلام لمجد الملك البارسلاني ثار منه مولاه، فلما حضر وبّخه بركيارق وقتله وبعث الوزير أبو المحاسن من يسلم اليه أمواله، وصادر عليها قرابته، في بغداد وفي غير بغداد وفي بلاد العجم . ويقال كان فيما أخذ له قطعة من البلخش زنة احدى وأربعين مثقالاً .

ثم سار بركيارق الى الريّ ولقيه هناك كربوقا صاحب الموصل، ونور الدولة دبيس بن صدقة بن مزيد، واجتمعت اليه نحو من مائة ألف فارس حتى ضاقت بهم البلاد ففرق العساكر . وعاد دبيس الى أبيه، وسار كربوقا الى اذربيجان لقتال مودود بن اسماعيل ابن ياقوتا، كان خرج على السلطان هنالك . وسار اياز الى همذان

ليقضي الصوم عند أهله ويعود فبقي بر كيارق في خف من الجنود. وكان محمد أخوه لما انهزم لجهات همذان سار الى شقيقه بخراسان فانتهى الى جرجان، وبعث يطلب منه المدد فأمدّه بالمال أوّلا. ثم سار اليه بنفسه الى جَرجان، وسار معه الى الدامِغان وخرّب عسكر خُرلسان ما مروا به من البلاد، وانتهوا الى الريّ، واجتمعت اليهم النظامِيّة، وبلغهم افتراق العساكر عن بر كيارق فأغذّوا اليه السير فرحل الى همذان فبلغه أن اياز راسل محمداً فقصد خوزستان وانتهى الى تستر، واستدعى بني برسق فقعدوا عنه لما بلغهم مراسلة اياز للسلطان فسار بر كيارق نحو العراق، وكان اياز راسل محمداً في الكون معه فلم يقبله فسار من همذان، ولحق بر كيارق الى حُلوان وساروا جميعاً الى بغداد.

واستولى محمد على مخلف أياز بهمذان وحُلوان وكان شيئاً مما لا يعبر عنه. وصادر جماعة من أصحاب اياز من أهل همذان، ووصل بر كيارق الى بغداد منتصف ذي القعدة سنة أربع وتسعين، وبعث المستظهر لتلقيه أمين الدولة بن موصلايا في المراكب، وكان بر كيارق مريضاً فلزم بيته، وبعث المستظهر في عيد الاضحى الى داره منبراً خطب عليه باسمه، وتخلف بر كيارق عن شهود العيد لمرضه، وضاقت عليه الاموال فطلب الاعانة من المستظهر، وحمل اليه خمسين ألف دينار بعد المراجعات ومدّ يده الى أموال الناس وصادرها فضجوا، وارتكب خطيئة شنعاء في قاضي جبلة وهو

أبو محمد عبدالله بن منصور . وكان من خبره أنّ أباه منصوراً كان قاضياً بجبلة في مملكة الروم، فلما ملكها المسلمون وصارت في يد أبي الحسن علي بن عمار صاحب طرابلس أقرّه على القضاء بها . وتوفي فقام ابنه أبو محمد هذا مقامه، ولبس شعار الجُنْدِيَّةِ وكان شهماً فهمّ ابن عمار بالقبض عليه، وشعر فانتقض وخطب للخلفاء العباسِيَّة . وكان ابن عمار يخطب للعَلَوِيَّة بمصر، وطالت منازلة الفرنج بِحِصْن جبلة الى أن ضجر أبو محمد هذا، وبعث الى صاحب دمشق وهو يومئذ طغتكين الاتابك أن يسلّم اليه البلد فبعث ابنه تاج الملوك موري وتسلّم منه البلد، وجاء به الى دمشق وبذل لهم فيه ابن عمار ثلاثين ألف دينار دون أمواله فلم يرضوا باخفار ذمتهم وسار عنهم الى بغداد ولقي بها بركيارق فأحضره الوزير أبو المحاسن وطلبه في ثلاثين ألف دينار فأجاب وأحالهم على منزله بالانبار، فبعث الوزير من أتاه بجميع ما فيه، وكان لا يعبّر فكانت من المنكرات التي أتاها بركيارق . ثم بعث الوزير الى صدقة بن منصور ابن دبيس بن مزيد صاحب حلب يطلب منه ألف ألف دينار متخلفة من مال الجباية، وتهدّده عليها فغضب وانتقض وخطب لمحمد، وبعث اليه بركيارق الامير اياز يستقدمه فلم يجب، وبعث الى الكوفة وطرد عنها نائب بركيارق واستضافها اليه .

استيلاء محمد على بغداد

قد ذكرنا استيلاء محمد على همذان في آخر ذي الحجة من سنة

أربع وتسعين، ومعه أخوه سنجر . وذهب بركيارق الى بغداد فاستولى عليها، وأساء السيرة بها، وبلغ الخبر الى محمد فسار من همذان في عشرة آلاف فارس، ولقيه بحُلوان أبو الغازي بن أرتق شحنته ببغداد في عساكره وأتباعه . وكان بركيارق في شدّة من المرض وقد أشرف على الهلاك فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربي حتى اذا وصل محمد بغداد وترآى الجمعان من عُدوَتَي دجلة ذهب بركيارق وأصحابه الى واسط، ودخل محمد بغداد، وجاءه توقيع المُستَظهِر بالانتقاض مما وقع به بركيارق، وخطب له على منابر بغداد، وجاءه صدقة بن منصور صاحب الحلّة فأخرج الناس للقائه ونزل سنجر بدار كوهرابين، واستوزر محمد بعد مؤيد الملك خطيب الملك ابا منصور محمد بن الحسين، فقدم اليه في المحرم سنة خمس وتسعين انتهى .

المصاف الثالث والرابع وما تخلل بينهما من الصلح ولم يتم

ثم ارتحل السلطان وأخوه سنجر عن بغداد منتصف المحرّم من سنة خمس وتسعين، وقصد سنجر خُراسان ومحمد همذان فاعترض بركيارق خاص الخليفة المستظهر، وأبلغه القبيح فاستدعى المستظهر محمداً لقتال بركيارق فجاء اليه وقال أنا أكفيكه . ورتّب أبا المعالي شِحْنَةً ببغداد، وكان برقيارق بواسط كما قلنا فلما أبلّ من مرضه عبر الى الجانب الشرقيّ بعد جهد وصعوبة لفرار الناس من واسط لسوء سيرتهم . ثم سار الى بلاد بني برسق حتى أطاعوا

واستقاموا وساروا معه فاتبع أخاه محمداً الى نهاوند وتصافوا يومين ومنعهما شدّة البرد من القتال . ثم اجتمع اياز والوزير الاغر من عسكر بركيارق وبلد أجي وغيرهم من الامراء من عسكر محمد . وتفاوضوا في شكوى ما نزل بهم من هذه الفتنة ثم اتفقوا على أن تكون السلطنة بالعراق لبركيارق، ويكون لمحمد من البلاد الحيرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل على أن يمدّه بركيارق بالعسكر متى احتاج اليه على من يمتنع عليه منها . وتحالفا على ذلك وافترقا في ربيع الاول سنة خمس وتسعين ثم سار بركيارق الى ساوة ومحمد الى قزوين، وبدا له في الصلح واتّهم الامراء الذين سعوا فيه، وأسرّ الى رئيس قزوين أن يدعوهم الى صنيع عنده، وغدر بهم محمد فقتل بعضاً وسمل بعضاً وأظهر الفتنة . وكان الامير نيال بن أنوش تكين قد فارق بركيارق، وأقام مجاهداً للباطِنيّة في الجبال والقلاع فلقي محمداً وسار معه الى الريّ، وبلغ الخبر الى بركيارق فأغذّ اليه السير في ثمان ليال واصطفوا في التاسع، وكلا الفريقين في عشرة آلاف مقاتل . وحمل سِرْخاب بن كَنْجَسْر والديلمي صاحب آوة من أصحاب بركيارق على نيال بن أنوش تكين فهزمه، وانهزم معه عسكر محمد، وافترقوا فلحق فريق بطَبَرَستان وآخر بقزوين، ولحق محمد بأصبهان في سبعين فارساً، واتبعه اياز وألبكي بن برسق فنجا الى البلد وبها نوابه فَلَمّ ما تشعّثَ من السور، وكان من بناء علاء الدين بن

كاكويه سنة تسع وعشرين لقتال طغرلبك وحفر الخنادق وأبعد مهواها وأجرى فيها المياه، ونصب المجانيق، واستعد للحصار .

وجاء بركيارق في جمادى ومعه خمسة عشر ألف فارس ومائة ألف من الرجل والاتباع فحاصرها حتى جهدهم الحصار، وعُدِمَت الأقوات والعلوفة فخرج محمد عن البلد في عيد الأضحى من سنته في مائة وخمسين فارساً، ومعه نيال، ونزل في الامراء، وبعث بركيارق في اتباعه الامير اياز . وكانت خيل محمد ضامرة من الجوع، فالتفت الى اياز يذكّره العهود فرجع عنه بعد ان نهب منه خيلًا ومالًا، وأخذ علمه وجنده الى بركيارق . ثم شدّ بركيارق في حصار أصبهان وزحف بالسلاليم والذبابات، وجمع الايدي على الخندق فطمّه، وتعلق الناس بالسور فاستمات أهل البلد ودفعوهم . وعلم بركيارق امتناعها فرحل عنها ثامن عشر ذي الحجة . وجمر عسكراً مع ابنه ملكشاه وترشك الصوالي على البلد القديم الذي يسمى شهرستان، وسار الى همذان بعد ان كان قتل على أصبهان وزيره الأغر أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني، اعترضه في ركوبه من خيمته الى خدمة السلطان متظلمٌ فطعنه وأشواه، ورجع الى خيمته فمات وذهب للتجار الذين كانوا يعاملونه أموال عظيمة لان الجباية كانت ضاقت بالفتن فاحتاج الى الاستدانة، ونفر منه التجار لذلك . ثم عامله بعضهم فذهب مالهم بموته، وكان أخوه العميد المهذب أبو محمد قد سار الى بغداد لينوب عنه حين

عقد الأمراء الصلح بين بركيارق ومحمد؛ فقبض عليه الشحنة ببغداد أبو الغازي ابن ارتق وكان على طاعة محمد .

الشحنة ببغداد والخطبة لبركيارق

كان ابو الغازي بن ارتق شحنة ببغداد، وولاه عليها السلطان محمد عند استيلائه في المصاف الاوّل، وكان طريق خُراسان اليه فعاد بعض الايام منها الى بغداد، وضرب فارسٌ من أصحابه بعض الملاحين بسهم في ملاحاة وقعت بينهم عند العبور فقتله فثارت بهم العامة وأمسكوا القاتل، وجاؤوا به الى باب النوبة في دار الخلافة ولقيهم ولد أبي الغازي فاستنقذه من أيديهم فرجموه، وجاء الى أبيه مستغيثاً، وركب الى محلة الملاحين فنهبها وعطف عليه العيارون فقتلوا من أصحابه، وركبوا السفين للنجاة فهرب الملاحون وتركوهم فغرقوا . وجمع أبو الغازي التركماني لنهب الجانب الغربي فبعث اليه المستظهر قاضي القضاة والكيا الهراسي مدرّس النظامية بالامتناع من ذلك فاقتصر ابو الغازي اثناء ذلك متمسكاً بطاعة السلطان محمد . فلما انهزم محمد وانطلق من حصار أصبهان واستولى بركيارق على الريّ بعث في منتصف ربيع الاول من سنة ست وتسعين من همذان كمستكين القيصراني شحنة الى بغداد . فلما سمع ابو الغازي بعث الى أخيه سقمان بحصن كيفا يستدعيه للدفاع .

وجاء سقمان ومرّ بتكريت فنهبها، ووصل كمستكين ولقيه

شيعة بركيارق وأشاروا عليه بالمعاجلة، ووصل الى بغداد منتصف ربيع . وخرج ابو الغازي وأخوه سقمان الى دجيل ونهبا بعض قراها، واتبعهما طائفة من عسكر كمستكين . ثم رجعوا عنهما وخطب للسلطان بركيارق ببغداد وبعث كمستكين الى سيف الدولة صدقة بالحلة عنه وعن المستظهر بطاعة بركيارق فلم يجب، وكشف القناع وسار الى جسر صرصر فقطعت الخطبة على منابر بغداد فلم يذكر أحد عليها من السلاطين، واقتصر على الخليفة فقط .

وبعث سيف الدولة صدقة الى ابي الغازي وسقمان بانه جاء لنصرتهما فعادوا الى دجيل وعاثوا في البلاد، واجتمع لذلك حشد العرب والاكراد مع سيف الدولة، وبعث اليه المستظهر في الاصلاح وخيّموا جميعاً بالرملة وقاتلهم العامة، وبعث الخليفة قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني وتاج رؤساء الرياسة ابن الموصلايا الى سيف الدولة بكفّ الايدي عن الفساد فاشترطوا خروج كمستكين القيصراني شحنة بركيارق واعادة الخطبة للسلطان محمد فتم الامر على ذلك، وعاد سيف الدولة الى الحلة وعاد القيصراني الى واسط، وخطب بها لبركيارق فساراليه صدقة وأبو الغازي، وفارقها القيصراني فاتبعه سيف الدولة . ثم استأمن ورجع اليه فأكرمه، وخطب للسلطان محمد بواسط، وبعده لسيف الدولة وأبي الغازي واستناب كل واحد ولده، ورجع ابو الغازي الى بغداد وسيف الدولة الى

الحلة، وبعث ولده منصور الى المستظهر يخطب رضاه بما كان منه في هذه الحادثة فأجيب الى ذلك .

استيلاء نيال على الري بدعوة السلطان محمد ومسيره الى العراق

كانت الخطبة بالريّ للسلطان برقيارق . فلما خرج السلطان محمد من الحصار بإصبهان، بعث نيال بن أنوش تكين الحسامي الى الريّ ليقيم الخطبة له بها فسار ومعه أخوه عليّ، وعسف الرعايا . ثم بعث السلطان بركيارق اليه بَرْسَق بن برسق في العساكر فقاتله على الريّ، وانهزم نيال وأخوه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين، وذهب عليّ الى قزوين وسلك نيال على الجبال الى بغداد، وتقطع أصحابه في الاوعار وقتلوا ووصل الى بغداد فى سبعمائة رجل، واكرمه المستظهر واجتمع هو وأبو الغَازي وسقمان ابنا ارتق بمشهد ابي حنيفة فاستحلفوه على طاعة السلطان محمد، وساروا الى سيف الدولة صدقة واستحلفوه على ذلك .

واستقرّ نيال ببغداد في طاعة السلطان محمد، وتزوّج أخت أبي الغازي كانت تحت تاج الدولة تُتُش . وعسف بالناس وصادر العُمَّال، واستطال أصحابه في العامة بالضرب والقتل . وبعث اليه المستظهر مع القاضي الدامغاني بالنهي عن ذلك وتقبيح فعله . ثم مع ابلغاري فأجاب وحلف على كف أصحابه ومنعهم . واستمرّ على قبح السيرة فبعث المستظهر الى سيف الدولة صدقة يستدعيه لكفِّ عُدوانه فجاء الى بغداد في شوّال من سنة ست وتسعين، وخيم بالمنجمي

ودعا نيالًا للرحله عن العراق على أن يدفع اليه . وعاد الى الحلة، وسار نيال مستهلّ ذي القعدة الى أوانا ففعل من النهب والعسف أقبح مما فعل ببغداد فبعث المستظهر الى صدقة في ذلك فأرسل ألف فارس، وساروا اليه مع جماعة من أصحاب المستظهر، وأبي الغازي الشحنة، وذهب نيال أمامهم الى أذربيجان قاصداً الى السلطان محمد، ورجع أبو الغازي والعساكر عنه .

المصاف الخامس بين السلطانين

كانت كنجة وبلاد أرزن[1] للسلطان محمد وعسكره مقيم بها مع الامير غز علي فلما طال حصاره باصبهان جاؤوا لنصرته، ومعهم منصور بن نِظام المُلك ومحمد ابن أخيه مؤيد الملك، ووصلوا الى الريّ آخر ذي الحجة سنة خمس وتسعين، وفارقه عسكر بركيارق. ثم خرج محمد من أصبهان فساروا اليه ولقوه بهمذان، ومعه نيال[2] وعلي ابنا أنوش تكين فاجتمعوا في ستة آلاف فارس . وسار نيال وأخوه علي الريّ وأزعجتهم عنها عساكر بركيارق كما مرّ . ثم جاءهم الخبر في همذان بزحف بركيارق اليهم فسار محمد الى بلاد شروان . ولما انتهى الى أردبيل بعث اليه مودود بن اسماعيل ابن ياقوتي، وكان أميراً على بيلقان من أذربيجان، وكان أبوه اسماعيل خال بركيارق، وانتقض عليه أوّل أمره فقتله فكان مودود

(١) كذا وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٧ : بلاد آران.
(٢) كذا وفي الكامل: ينال.

يطالبه بثأر أبيه، وكانت أخته تحت محمد فبعث اليه وجاءه الى بيلقان . وتوفي مودود اثر قدومه منتصف ربيع من سنة ست وتسعين فاجتمع عسكره على الطاعة لمحمد، وفيهم سقمان القطبي صاحب خلاط و أرمينية ومحمد بن غاغيسا، كان أبوه صاحب انطاكية . وكان ألب أرسلان ابن السبع الاحمر . ولما بلغ بركيارق اجتماعهم لحربه أغذ [١] السير اليهم فوصل وقاتلهم على باب خوى من أذربيجان من المغرب الى العشاء . ثم حمل اياز من أصحاب بركيارق على عسكر محمد فانهزموا، وسار الى خلاط، ومعه سقمان القطبي ولقيه الامير علي صاحب أرزن الروم . ثم سار الى [٢] وبها منوجهر أخو فضلون الروادي . ثم سار الى تبريز، ولحق محمد بن يزيد الملك بديار بكر، وسار منها الى بغداد . وكان من خبره انه كان مقيماً ببغداد مجاوراً للمدرسة النظامية فشكا الجيران منه الى أبيه، فكتب الى كوهرابين بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة . ثم سار سنة اثنتين وتسعين الى محمد الملك الباسلاني [٣]، وأبوه حينئذ بكنجة عند السلطان محمد قبل أن يدعو لنفسه . ثم سار بعد أن قتل محمد الملك الى والده مُؤَيِّد المُلك، وهو وزير السلطان محمد . ثم قتل أبوه واتصل هو بالسلطان، وحضر هذه الحروب كما ذكرنا .

---

(١) كذا وفي الكامل: فسار إليه مجداً.

(٢) كذا بياض في الأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٢١٧ : وتوجه إلى آني وصاحبها منوجهر أخو فضلون الروادي.

(٣) كذا وفي الكامل: مجد الملك البلاساني.

وأما السلطان بركيارق بعد هزيمة محمد فانّه نزل جبلًا بين مراغة وتبريز، وأقام به حولًا وكان خليفة المستظهر سديد الملك أبو المعالي كما ذكرناه. ثم قبض عليه منتصف رجب سنة ست وتسعين وحبس بدار الخليفة مع أهله كانوا قد وردوا عليه من أصبهان. وسبب عزله جهله بقواعد ديوان الخلافة لانه كان يتصرف في أعمال السلاطين، وليست فيها هذه القوانين. ولما قبض عاد أمين الدولة أبو سعد بن الموصلايا الى النظر في الديوان، وبعث المستظهر عن زعيم الرؤساء أبي القاسم بن جهير من الحلة، وكان ذهب اليها في السنة قبلها مستجيراً بسيف الدولة صدقة، لانّ خاله أمين الدولة أبا سعد بن الموصلايا كان الوزير الأعز وزير بركيارق يشيع عنه أنه الذي يحمل المستظهر على موالاة السلطان محمد، والخطبة له دون بركيارق فاعتزل أمين الدولة الديوان، وسار ابن أخته هذا أبو القاسم بن جهير مستجيراً بصاحب الحلة فاستقدمه الخليفة الآن، وخرج أرباب الدولة لاستقباله، وخلع عليه للوزارة، ولقبه قوام الدولة ثم عزله على رأس المائة الخامسة. واستجار سيف الدولة صدقة بن منصور ببغداد فأجاره وبعث عنه الى الحلة وذلك لثلاث سنين ونصف من وزارته، وناب في مكانه القاضي أبو الحسن بن الدامغاني أياماً. ثم استوزر مكانه أبا المعالي بن محمد بن المطلب في المحرّم سنة احدى وخمسمائة. ثم عزله سنة اثنتين باشارة السلطان محمد، وأعاده باذنه على شرطية العدل وحسن السيرة، وأن لا يستعمل

أحداً من أهل الذمّة . ثم عزل في رجب من سنة اثنتين وخمسين، واستوزر ابا القاسم بن جهير سنة تسع وخمسين، واستوزر بعده الربيع أبا منصور بن الوزير أبي شجاع محمد ابن الحسين وزير السلطان .

الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد

ولما تطاولت الفتنة بين السلطانين، وكثر النهب والهرج، وخربت القرى، واستطال الامر عليهم، وكان السلطان بركيارق بالريّ والخُطبَة له بها وبالجبل وطبرستان وخوزستان وفارس وديار بكر والجزيرة والحرمين . وكان السلطان محمد بأذربيجان والخطبة له بها وببلاد اران وأرمينية واصبهان والعراق جميعه إلّا تكريت . واما البطائح فبعضها لهذا وبعضها لهذا، والخطبة بالبصرة لهما جميعاً . وأمّا خُراسان من جَرجان إلى ما وراء النهر فكان يخطب فيها لسنجر بعد أخيه السلطان محمد . فلما استبصر بركيارق في ذلك، ورأى تحكُّم الأمراء عليه، وقلة المال، جنح الى الصلح، وبعث القاضي أبا المظَفَّر الجرجاني الحَنَفِيّ، وأبا الفَرَج أحمد بن عبد الغفّار الهمذاني، المعروف بصاحب قراتكين الى أخيه محمد في الصلح فوصلا اليه بمراغة وذكراه ووعظاه فأجاب الى الصلح على أنّ السلطَان لبركيارق، ولا يمنع محمداً من اتخاذ الآلة، ولا يذكر أحد منهما مع صاحبه في الخطبة في البلاد التي صارت اليه، وتكون المكاتبة من وزيريهما في الشؤون لا يكاتب أحدهما الآخر، ولايعارض أحد من العسكر

في الذهاب الى أيّها شاء ويكون للسلطان محمد من نهر اسبندرو الى الأبواب وديار بكر والجزيرة والموصل والشام، وأن يدخل سيف الدولة صدقة بأعماله في خلفه وبلاده والسلطنة كلها، وبقية الاعمال والبلاد كلها للسلطان بركيارق.

وبعث محمد الى اصحابه بأصبهان بالافراج عنها لاصحاب أخيه، وجاؤا بحريم محمد اليه بعد أن دعاهم السلطان بركيارق الى خدمته فامتنعوا فأكرمهم، وحمل حريم أخيه وزوّدهم بالاموال، وبعث العساكر في خدمتهم. ثم بعث السلطان بركيارق الى المستظهر بما استقرّ عليه الحال في الصلح بينهم، وحضر أبو الغازي بالديوان وهو شحنة محمد وشيعته، إلّا أنّه وقف مع الصلح فسأل الخطبة لبركيارق فأمر بها المستظهر، وخطب له على منابر بغداد وواسط في جمادى سنة سبع وتسعين، ونكر الامير صدقة صاحب الحلة الخطبة لبركيارق، وكان شيعة لمحمد. وكتب الى الخليفة بالنكير على أبي الغازي، وأنه سائر لاخراجه عن بغداد، فجمع ابو الغازي التركمان، وفارق بغداد الى عقرقوبا[1]، وجاء سيف الدولة صدقة، ونزل مقابل التاج، وقبل الارض وخيم بالجانب الغربي. وأرسل اليه أبو الغازي يعتذر عن طاعة بركيارق بالصلح الواقع، وانّ إقطاعه بحلوان في جملة بلاده التي وقع الصلح عليها وبغداد التي

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢١: «ايلغازي» بدلاً من أبي الغازي، و «يعقوبا» بدلاً من «عقرقوبا».

هو شحنه فيها قد صارت له فقبل ورضي، وعاد الى الحلّة . وبعث المستظهر في ذي القعدة من سنة سبع وتسعين الخلع للسلطان بركيارق والامير اياز والخطير وزير بركيارق، وبعث معهما العهد له بالسلطنة، واستحلفه الرسل على طاعة المستظهر ورجعوا .

وفاة السلطان بركيارق وملك ابنه ملك شاه

كان السلطان بركيارق بعد الصلح وانعقاده أقام باصبهان أشهراً وطرقه المرض فسار الى بغداد، فلما بلغ بلد يزدجرد اشتدّ مرضه وأقام بها أربعين يوماً حتى أشفى على الموت فأحضر ولده ملك شاه وجماعة الامراء، وولاه عهده في السلطنة، وهو ابن خمس سنين وجعل الامير اياز اتابكه، وأوصاهم بالطاعة لهما، واستحلفهم على ذلك، وامرهم بالمسير الى بغداد . وتخلف عنهم ليعود الى اصبهان فتوفي في شهر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين . وبلغ الخبر الى ابنه ملك شاه والامير اياز على اثني عشر فرسخاً من بلد يزدجرد فرجعوا وحضروا لتجهيزه، وبعثوا بـه الى اصبهان للدفن بها في تربة أعدّها، واحضر اياز السرادقات والخيام والخفر والشمسة، وجميع آلات السلطنة فجعلها لملك شاه . وكان ابو الغازي شحنة ببغداد، وقد حضر عند السلطان بركيارق بأصبهان في المحرّم وحثه على المسير الى بغداد، فلما مات برقيارق سار مع ابنه ملك شاه والامير اياز ووصلوا بغداد منتصف ربيع الآخر في خمسة آلاف فارس، وركب الوزير أبو القاسم علي بن جهير لتلقيهم فلقيهم بدبالي،

واحضر ابو الغَازي والامير طُمايْدُل بالديوان وطلبوا الخطبة لملك شاه بن بركيارق فأجاب المستظهر الى ذلك، وخطب له، ولُقِّب بالقاب جدّه ملك شاه، ونثرت الدنانير عند الخطبة .

وصول السلطان محمد الى بغداد واستبداده بالسلطنة والخطبة ومقتل اياز

كان محمد بعد صلحه مع اخيه بركيارق قد اعتزم على المسير الى الموصل ليتناولها من يد جكرمس لما كانت من البلاد التي عقد عليها، وكان بتبريز ينتظر وصول أصحابه من أذربيجان فلما وصلوا استوزر سعد الملك أبا المحاسن لحسن أثره في حفظ اصبهان . ثم رحل في صفر سنة ثمان وتسعين يريد الموصل، وسمع جكرمس فاستعدّ للحصار وأمر أهل السواد بدخول البلد . وجاء محمد فحاصره وبعث اليه كتب أخيه بأنّ الموصل والجزيرة من قسمته، وأراه أيمانه بذلك، ووعده بأن يقرّه على ولايتها فقال جكرمس قد جاءتني كتب بركيارق بعد الصلح بخلاف هذا فاشتدّ محمد في حصاره، وقتل بين الفريقين خلق، ونقب السور ليلة فأصبحوا وأعادوه، ووصل الخبر الى جكرمس بوفاة بركيارق عاشر جمادى فاستشار أصحابه ورأى المصلحة في طاعة السلطان محمد فأرسل اليه بالطاعة، وأن يدخل اليه وزيره سعد الملك فدخل، وأشار عليه بالحضور عند السلطان فحضر، وأقبل السلطان عليه وردّه لجيشه لما توقع من ارتياب اهل البلد بخروجه، وأكثر من الهدايا والتحف للسلطان ولوزيره .

ولما بلغه وفاة أخيه بركيارق سار الى بغداد ومعه سقمان القطبي، نسبة الى قطب الدولة اسماعيل بن ياقوتا بن داود، وداود هو حقربيك وأبو ألب أرسلان، وسار معه جكرمس وصاحب الموصل وغيرهما من الامراء . وكان سيف الدولة صاحب الحلة قد جمع عسكراً خمسة عشر ألفاً من الفرسان وعشرة آلاف رجل، وبعث ولديه بدران ودبيس الى السلطان محمد يستحثه على بغداد . ولما سمع الامير اياز بقدومه خرج هو وعسكره وخيموا خارج بغداد واستشار أصحابه فصمموا على الحرب، وأشار وزيره أبو المحاسن بطاعة السلطان محمد وخوّفه عاقبة خلافه وسفه آراءهم في حربه، واطمعه في زيادة الاقطاع . وتردّد اياز في امره وجمع السفن عنده، وضبط المشار[1]، ووصل السلطان محمد آخر جمادى من سنة ثمان وتسعين، ونزل بالجانب الغربي، وخطب له هنالك، ولملك شاه بالجانب الشرقي . واقتصر خطيب جامع المنصور على الدعاء للمستظهر ولسلطان العالم فقط . وجمع اياز أصحابه لليمين فأبوا من المعاودة وقالوا لا فائدة فيها والوفاء انما يكون بواحدة فارتاب اياز بهم، وبعث وزيره المصفى أبا المحاسن الى السلطان محمد في الصلح، وتسليم الامر فلقي أوّلا وزيره سعد الملك أبا المحاسن سعد بن محمد وأخبر فأحضره عند السلطان محمدّ وأدى رسالة اياز والعذر عما

(١) كذا في الأصل، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٢٥: وجمع السفن التي ببغداد عنده، وضبط المشارع من متطرق إلى عسكره والى البلد، ووصل السلطان محمد إلى بغداد يوم الجمعة لثمان بقين من جمادى الأولى، ونزل عند الجانب الغربي بأعلى بغداد.

كان منه أيام بركيارق فقبله السلطان وأعتبه، وأجابه الى اليمين .

وحضر من الغد القاضي والنقيبان واستحلف الكيا الهراسي مدرّس النظاميّة بحضر القاضي -وزير اياز بحضرهم- لملك شاه، ولأياز وللامراء الذين معه فقال : أمّا ملك شاه فهو ابني وأمّا أياز والامراء فأحلف لهم إلّا نيال بن أنوش، وسار واستحلفه الكيا الهراسي مدرس النظامية بحضر القاضي والنقيبين . ثم حضر أياز من الغد، ووصل سيف الدولة صدقة وركب السلطان للقائهما وأحسن اليهما، وعمل أياز دعوة في داره وهي دار كوهرابين، وحضر عنده السلطان وأتحفه بأشياء كثيرة منها حبل البلخش الذي كان أخذه من تركة مؤيد الملك بن نظام الملك . وحضر مع السلطان سيف الدولة صدقة بن مزيد . وكان أياز قد تقدّم الى غلمانه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان، وحضر عندهم بعض الصفاعين فأخذوا معه في السخرية وألبسوه درعاً تحت قميصه، وجعلوا يتناولونـه بأيديهم فهرب منهم الى خواص السلطان، ورآه السلطان متسلّحاً فأمر بعض غلمانه فالتمسوه وقد وجدوا السلاح فارتاب ونهض من دار أياز .

ثم استدعاه بعد أيام ومعه جكرمس وسائر الامراء فلما حضر وقف عليهم بعض قوّاده وقال لهم : ان قليج أرسلان بن سليمان ابن قطلمش قصد ديار بكر ليملكها فأشيروا بمن نسيره لقتاله فأشاروا جميعاً بالامير أياز، وطلب هو مسير سيف الدولة صدقة

معه فاستدعى أياز وصدقة ليفوضهم في ذلك فنهضوا اليه، وقد أعدّ جماعة من خواصه لقتل اياز فلما دخلوا ضرب أياز فقطع رأسه ولف شلوه في مشلح وألقي على الطريق، وركب عسكره فنهبوا داره وأرسل السلطان لحمايتها فافترقوا واختفى وزيره . ثم حمل الى دار الوزير سعد الملك وقتل في رمضان من سنته . وكان من بيت رياسة بهمذان، وكان اياز من مماليك السلطان ملك شاه، وصار بعد موته في جملة أمير آخر فاتخذه ولداً، وكان شجاعاً حسن الرأي في الحرب واستبدّ السلطان محمد بالسلطنة وأحسن السيرة، ورفع الضرائب، وكتب بها الالواح ونصبت في الاسواق وعظم فساد التركمان بطريق خراسان، وهي من اعمال العراق فبعث أبو الغازي بن أرتق شحنة بغداد بدل ابن أخيه بهرام بن أرتق على ذلك البلد فحماه وكف الفساد منه . وسار الى حِصنٍ من أعمال سرخاب بن بدر فحصره وملكه . ثم ولى السلطان محمد سنقر البَرْسَقي شحنة بالعراق وكان معه في حروبه، وأقطع الامير قاياز الكوفة، وأمر صدقة صاحب الحِلّةِ أن يحمي أصحابه من خفاجة . ولما كان شهر رمضان من سنة ثمانية وتسعين عاد السلطان محمد الى أصبهان، وأحسن فيهم السيرة وكفّ عنهم الايدي العادِيّة .

الشحنة ببغداد

كان السلطان قد قبض سنة اثنتين وخمسين على أبي القاسم الحسين بن عبد الواحد صاحب المخزن، وعلى ابن الفرج بن رئيس

الرؤساء واعتقلها وصادرها على مال يحملانه، وأرسل مجاهد الدين لقبض المال، وأمره بعمارة دار الملك فاضطلع بعمارتها، وأحسن السيرة في الناس وقدم السلطان أثر ذلك الى بغداد فشكر سيرته، وولاه شحنة بالعراق وعاد الى اصبهان .

وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة من سنة احدى وخمسمائة، وقد كان عهد لولده محمود وهو يومئذ غلام محتلم وأمره بالجلوس على التخت بالتاج والسوارين وذلك لاثنتي عشرة سنة ونصف من استبداده بالملك، واجتماع الناس عليه بعد أخيه. وولي بعده ابنه محمود وبايعه أمراء السلجوقيّة، ودبر دولته الوزير الرسب أبو منصور ابن الوزير أبي شجاع محمد بن الحسين وزير أبيه، وبعث الى المستظهر في الخطبة فخطب له على منابر بغداد منتصف المحرّم سنة اثنتي عشرة، وكان اقسنقر البرسقي مقيماً بالرحبة استخلف بها ابنه مسعوداً، وسار الى السلطان محمد يطلب الزيادة في الاقطاع والولاية . ولقيه خبر وفاته قريباً من بغداد فمنعه بهروز الشحنة من دخولها، وسار الى أصبهان فلقيه بجلوان توقيع السلطان محمود بأن يكون شحنة بغداد لسعي الامراء له في ذلك تعصّباً على مجاهد الدين بهروز وغيره منه لمكانه عند السلطان محمد .

ولما رجع اقسنقر الى بغداد هرب مجاهد الدين بهروز الى تكريت وكانت من أعماله . ثم عزل السلطان محمود اقسنقر وولى

شحنة بغداد الامير منكبرس حاكماً في دولته باصبهان فبعث نائباً عنه ببغداد والعراق الامير حسين بن أروبك أحد أمراء الاتراك. ورغب البرسقي من المستظهر بالعدّة فلم يتوقف فسار اقسنقر اليه وقاتله، وانهزم الامير حسين وقتل أخوه، وعاد الى عسكر السلطان وذلك في ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة .

وفاة المستظهر وخلافة المسترشد

ثم توفي المستظهر بالله ابو العباس احمد بن المقتدي بالله ابو القاسم عبدالله بن القائم بالله في منتصف ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وخمسمائة لاربع وعشرين سنة وثلاثة اشهر من خلافته، وبويع بعده ابنه المسترشد بالله الفضل، وكان ولي عهده منذ ثلاث وعشرين سنة، وبايعه اخوه ابو عبدالله محمد وهو المقتدي، وأبو طالب العباس وعمومته بنو المقتدي وغيرهم من الامراء والقضاة والائمة والاعيان . وتولّى اخذ البيعة القاضي ابو الحسن الدامغاني، وكان نائباً عن الوزارة فأقرّه المسترشد عليها، ولم يأخذ البيعة قاض غير هذا للمسترشد، وأحمد بن أبي داود[1] للواثق، والقاضي ابو على اسماعيل بن اسحاق للمعتضد . ثم عزل المسترشد قاضي القضاة عن نيابة الوزارة واستوزر أبا شجاع محمد بن الرسب أبي منصور، خاطبه أبوه وزير السلطان محمود وابنه محمد في شأنه فاستوزره .

(١) كذا. وفي البيان والتبيين للجاحظ: أحمد بن أبي دؤاد؛ وهو من إياد. وكان له جاه ونفوذ في دولتي المعتصم والواثق. شرح السندوبي. الجزء الثاني. ص ١٩٠.

ثم عزله سنة عشر واستوزر مكانه جلال الدين عميد الدولة أبا علي بن صدقة وهو عمّ جلال الدين أبي الرضي بن صدقة وزير الراشد .

ولما شغل الناس ببيعة المسترشد ركب أخوه الامير أبو الحسن في السفن مع ثلاثة نفر وانحدروا الى المدائن، ومنها الى الحلة فأكرمه دبيس، وأهمّ ذلك المسترشد وبعث الى دبيس في اعادته مع النقيب علي بن طراد الزينبي فاعتذر بالذمام، وأنه لا يكرهه فخطب النقيب أبا الحسن أخا الخليفة في الرجوع فاعتذر بالخوف، وطلب الامان . ثم حدث مع البرسقي ودبيس ما نذكره فتأخر ذلك الى صفر من سنته وهي سنة ثلاث عشرة فسار أبو الحسن ابن المستظهر الى واسط وملكها، فبادر المسترشد الى ولاية العهد لابنه جعفر المنصور ابن اثنتي عشرة سنة، فخطب له وكتب الى البلاد بذلك، وكتب الى دبيس بمعاجلة أخيه أبي الحسن فانه فارق ذمامه فبعث دبيس العساكر الى واسط فهرب منها، وصادفوه عند الصبح فنهبوا أثقاله وهرب الاكراد والاتراك عنه، وقبض عليه بعض الفرق وجاؤا به الى دبيس فأكرمه المسترشد وأمّنه وأنزله أحسن نزل .

انتقاض الملك مسعود على اخيه السلطان محمود ثم مصالحته واستقرار منكبرس شحنة ببغداد

كان السلطان محمد قد أنزل ابنه مسعوداً بالحلة، وجعل معه

حيوس بك اتابك فلما ملك السلطان محمود بعد وفاة أبيه ، ثم ولي المسترشد الخلافة بعد أبيه ، وكان دبيس صاحب الحلة ممرضاً في طاعته ، وكان اقسنقر البرسقي شحنة بالعراق كما ذكرناه ، أراد قصد الحلة وأخلى دبيس عنها ، وجمع لذلك جموعاً من العرب والاكراد وبرز من بغداد في جمادى سنة اثنتي عشرة ، وبلغ الخبر الى الملك مسعود بالموصل وأنّ العراق خال من الحامية فأشار عليه أصحابه بقصد العراق السلطنة فلا مانع دونها فسار في جيوش كثيرة ، ومعه وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس ، وسيأتي خبره وقسيم الدولة زنكي بن اقسنقر ابن الملك العادل ، وصاحب سنجار وأبو الهيجاء صاحب اربل وكربادي بن خراسان التركماني صاحب البواريخ .

ولما قربوا من العراق خافهم اقسنقر البرسقي بمكان حيوس بك من الملك المسعود ، وأما هو فقد كان أبوه محمد جعله أتابك لابنه مسعود فسار البرسقي لقتالهم ، وبعثوا اليه الامير كربادي في الصلح ، وأنهم انما جاؤا بجدّة له على دبيس فقبل ، وتعاهدوا ورجعوا الى بغداد كما مرّ خبره ، وسار البرسقي لقتاله فاجتمع مع دبيس ابن صدقة واتفقا على المعاضدة ، وسار الملك مسعود ومن معه الى المدائن للقاء دبيس ومنكبرس . ثم بلغهم كثرة جموعهما فعاد الملك مسعود والبرسقي وحيوس بك ، وعبروا نهر صرصر وحفظ المخاضات وأفحش الطائفتان في نهب السواد واستباحته بنهر الملك ،

ونهر صرصر ونهر عيسى ودجيل. وبعث المسترشد الى الملك مسعود والبرسقي بالنكير عليهم فأنكر البرسقي وقوع شيء من ذلك، واعتزم على العود الى بغداد، وبلغه ان دبيس ومنكبرس قد جهز العساكر اليها مع منصور أخي دبيس وحسن بن أوربك ربيب منكبرس فأغذ السير، وخلف ابنه عز الدين مسعودا على العسكر بصرصر. واستصحب عماد الدين زنكي بن اقسنقر، وجاؤا بغداد ليلًا فمنعوا عساكر منكبرس ودبيس من العبور.

ثم انعقد الصلح بين منكبرس والملك مسعود، وكان سببه أن حيوس بك كاتب السلطان محمود وهو بالموصل في طلب الزيادة له والملك مسعود، فجاء كتاب الرسول بأنه أقطعهم أذربيجان. ثم بلغه قصدهم بغداد فاتهمهم بالانتقاض، وجهز العساكر الى الموصل، وسقط الكتاب بيد منكبرس، وكان على أمّ الملك مسعود فبعث به الى حيوس بك، وداخله في الصلح والرجوع عماهم فيه فاصطلحوا واتفقوا. وبلغ الخبر الى البرسقي فجاء الى الملك مسعود وأخذ ماله وتركه، وعاد الى بغداد فخيم بجانب منها. وجاء الملك مسعود وحيوس بك فخيّما في جانب آخر، وأصعد دبيس ومنكبرس فخيما كذلك، وتفرّق عن البرسقي أصحابه وجموعه وسار عن العراق الى الملك مسعود فأقام معه، واستقرّ منكبرس شحنة ببغداد وعاد دبيس الى الحلة وأساء منكبرس السيرة في بغداد بالظلم والعسف، وانطلاق أيدي أصحابه بالفساد

حتى ضجر الناس، وبعث عنه السلطان محمود فسار اليه وكفى الناس شرّه .

انتقاض الملك طغرل على اخيه السلطان محمود

كان الملك طغرل قد اقطعه أبوه السلطان محمد سنة اربع وخمسين وخمسائة ساوة وآوة وزنجان، وجعل أتابكه الامير شر كير، وكان قد افتتح كثيراً من قلاع الاسماعلية فاتسع ملك طغرل بها، ولما مات السلطان محمد بعث السلطان محمود الامير كتبغري أتابك طغرل، وأمره أن يحمله اليه، وحسن له المخالفة فانتقض سنة ثلاث عشرة، فبعث اليه السلطان بثلاثين ألف دينار وتحف ووده باقطاع كثيرة، وطلبه في الوصول فنمه كتبغري وأجاب بأننا في الطاعة، ومعنا العساكر والى أيّ جهة أراد السلطان قصدنا. فاعتزم السلطان على السير اليهم، وسار من همذان في جمادى سنة ثلاث عشرة في عشرة آلاف غازياً . وجاء النذير الى كتبغري بمسيره فأجفل هو وطغرل الى قلعة سرجهان، وجاء السلطان الى العسكر بزنجان فنهبه، وأخذ من خزانة طغرل ثلثمائة ألف دينار، وأقام بزنجان وتوجه منها الى الريّ وكتبغري من سرجهان بكنجة، وقصده أصحابه وقويت شوكته وتأكدت الوحشة بينه وبين أخيه السلطان محمود .

الفتنة بين السلطان محمود وعمه سنجر صاحب خراسان والخطبة ببغداد لسنجر

كان الملك سنجر أميراً على خراسان وما وراء النهر منذ أيام شقيقه السلطان محمد الاولى مع بركيارق. ولما توفي السلطان محمد جزع له جزعاً شديداً حتى أغلق البلد للعزاء، وتقدّم للخطبة بذكر آثاره ومحاسن سيره من قتال الباطنية واطلاق المكوس وغير ذلك. وبلغه ملك ابنه محمود مكانه، وتغلّب الامراء عليه فنكر ذلك واعتزم على قصد بلد الجبل والعراق، وأتى له محمود ابن أخيه، وكان يلقب بناصر الدين فتلقب بمعز الدين لقب أبيه ملك شاه. وبعث اليه السلطان محمود بالهدايا والتحف مع شرف الدولة أنوشروان بن خالد، وفخر الدولة طغايرك بن أكْفَرْبَن، وبذل عن مازندان مائتي ألف دينار كل سنة. فتجهز لذلك، ونكر على محمود تغلّب وزيره أبي منصور، وأمير حاجب علي بن عمر عليه، وسار وعلى مقدّمته الأمير أنز (١) وجهز السلطان محمود علي بن عمر حاجبه وحاجب أبيه في عشرة آلاف فارس، وأقام هو بالريّ فلما قارب الحاجب مقدمة سنجر مع الامير انز بجرجان راسله باللين والخشونة. وان السلطان محمداً وصّانا بتعظيم أخيه سنجر واستحلفنا على ذلك إلّا أنا لا نقضي على زوال ملكنا.

ثم تهدّده بكثرة العساكر وقوتها فرجع انز عن جرجان، واتبعه

---

(١) كذا، وفي الكامل ج ٨ ص ٢٨٧ : الأمير أنر.

بعض العساكر فنالوا منه . وعاد علي بن عمر الى السلطان محمود فشكره، وأشار عليه أصحابه بالمقام بالريّ فلم يقبل . ثم ضجر وسار الى حرقان وتوافت اليه الامداد من العراق؛ منكبرس شحنة بغداد في عشرة آلاف فارس، ومنصور أخو دبيس، وأمراء البلخية وغيرهم . وسار الى همذان فأقام بها، وتوفي بها وزيره الربيب، واستوزر مكانه أبا طالب السميري . ثم جاء السلطان سنجر الى الريّ في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلًا ومعه ابن الامير أبي الفضل صاحب سِجِسْتان وخوارزم شاه محمد، والامير أنز والامير قماج، واتصل به علاء الدولة كرساسف بن فرامرد بن كاكويه صاحب يزد، وكان صهر محمد وسنجر على أختهما . واختص بمحمد ودعاه محمود فتأخر عنه فأقطع بلده لقراجا الساقي الذي وليَ بعد ذلك فارس .

وسار علاء الدولة الى سنجر وعرفه حال السلطان محمود، واختلاف أصحابه، وفساد بلاده فزحف اليه السلطان محمود من همذان في ثلاثين ألفاً، ومعه علي بن عمر أمير حاجب ومنكبرس وأتابكه غز غلي وبنو برسق وسنجق البخاري وقراجا الساقي ومعه تسعمائة حمل من السلاح، والتقيا على ساوة في جمادى سنة ثلاث عشرة فانهزمت عساكر السلطان سنجر أولاً، وثبت هو بين الفيلة والسلطان محمود، واجتمع أصحابه اليه . وبلغ الخبر الى بغداد فأرسل دبيس بن صدقة الى المسترشد فى الخطبة للسلطان

سنجر فخطب له آخر جمادي، وقطعت خطبة محمود بعد الهزيمة الى اصبهان ومعه وزيره أبو طالب السميري والامير علي بن عمر وقراجا، واجتمعت عليه العساكر وقوي أمره .

وسار السلطان سنجر من همذان ورأى قلة عساكره فراسل ابن أخيه في الصلح، وكانت والدته وهي جدّة محمود تحرّضه على ذلك فأجاب اليه . ثم وصل اليه اقسنقر البرسقي الذي كان شِحْنَةَ ببغداد، [1] وكان عند الملك مسعود من يوم انصرافه عنها، وجاء رسوله من عند السلطان محمود بأن الصلح انما يوافق عليه الامراء بعد عود السلطان سنجر الى خراسان فأنف من ذلك، وسار من همذان الى الكرج، وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح، وأن يكون وليّ عهده فأجاب الى ذلك، وتحالفا عليه . وجاء السلطان محمود الى عمه سنجر، ونزل في بيت والدته وهي جدّة محمود، وحمل اليه هدية حفلة . وكتب السلطان سنجر الى أعماله بخراسان وغزنة وما وراء النهر وغيرها من الولايات بأن يخطب للسلطان محمود، وكتب الى بغداد بمثل ذلك، وأعاد عليه جميع البلاد سوى

---

(١) كذا يستعمل العلامة ابن خلدون كلمة : «شحنة» بمعنى الأمير تارة، وبمعنى رئيس الشرطة تارة أخرى، وطوراً يستعملها بمعنى الحامية .

وفي لسان العرب : وبالبلد شحنة من الخيل أي رابطة . قال ابن بري : وقول العامة في الشحنة إنه الأمير غلط. وقال الأزهري : شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان .

إذاً : إن ابن خلدون يستعمل هذه الكلمة «شحنة» بمعنى رابطة كما في لسان العرب، ويستعملها بمعنى الأمير كما تستعملها العامة، ولا يلتفت إلى قول ابن بري بأنها غلط، ويستعملها بالمعنى الذي قاله الأزهري .

الري لئلا تحدّث محموداً نفسه بالانتقاض .

ثم قتل السلطان محمود الامير منكبرس شحنة بغداد لانه لما انهزم محمود، وسار الى بغداد ليدخلها منعه دبيس فعاث في البلاد، ورجع وقد استقرّ في الصلح فقصد السلطان مستجيراً به فأبى من اجارته ومؤاخذته، وبعثه الى السلطان محمود فقتله صبراً لما كان يستبد عليه بالامور . وسار شحنة الى بغداد على زعمه فحقد له ذلك، وأمر السلطان سنجر باعادة مجاهد الدين بهروز شحنة بالعراق، وكان بها نائب دبيس بن صدقة فعزل به . ثم قتل السلطان محمود حاجبه علي بن عمر، وكان قد استخلفه ورفع منزلته فكثرت السعاية فيه فهرب الى قلعة عند الكرخ، كان بها أهله وماله . ثم لحق بخوزستان وكان بيد بني برسق فاقتضى عهودهم، وسار اليهم . فلما كان على تستر بعثوا من يقبض عليه فقاتلهم فلم يقرّ عنه وأسروه، واستأذنوا السلطان محموداً في أمره فامر بقتله وحمل رأسه اليه .

انتقاض الملك مسعود على اخيه السلطان محمود والفتنة بينهما

كان الملك مسعود قد استقرّ بالموصل وأذربيجان منذ صالحه السلطان محمود عليها بأوّل ملكه، وكان اقسنقر البرسقي مع الملك مسعود منذ فارق شحنة بغداد، وأقطعه مراغة مضافة الى الرحبة، وكان دبيس يكاتب حيوس بك الاتابك في القبض عليه وبعثه الى مولاه السلطان محمود، ويبذل لهم المال على ذلك . وشعر بذلك

البرسقي ففارقه الى السلطان محمود، وعاد الى جميل رأيه فيه. وكان دبيس مع ذلك يغري الاتابك حيوس بك بالخلاف على السلطان محمود، ويعدهم من نفسه المناصرة لينال باختلافهم في تمهيد سلطانه ما ناله أبوه باختلاف بن كيارق ومحمد. وكان أبو المؤيد محمد بن أبي اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني يكتب للملك محمود، ويرسم الطغرى وهي العلامة على مراسيمه، ومنها هباته. وجاء والده أبو اسماعيل من اصبهان فعزل الملك مسعود وزيره أبا علي بن عمار صاحب طرابلس، واستوزره مكانه سنة ثلاث عشرة فحسن له الخلاف الذي كان دبيس يكاتبهم فيه ويحسنه لهم. وبلغ السلطان محموداً خبرهم فكتب يحذرهم فلم يقبلوا وخلعوا، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس، وذلك سنة أربع عشرة.

وكانت عساكر السلطان محمود مفترقة فبادروا اليه والتقوا في عقبة استراباذ منتصف ربيع الاوّل، والبرسقي في مقدمة محمود، وأبلى يومئذ. واقتتلوا يوماً كاملاً، وانهزمت عساكر مسعود في عشيته وأسر جماعة منهم، وفيهم الوزير الاستاذ أبو اسماعيل الطغرائي فأمر السلطان بقتله لسنة من وزارته. وقال هو فاسد العقيدة. وكان حسن الكتابة والشعر، وله تصانيف في الكيمياء. وقصد الملك مسعود بعد الهزيمة جبلاً على اثني عشر فرسخاً من مكان الوقعة فاختفى فيه، وبعث يطلب الامان من

أخيه فبعث اليه البرسقي يؤمنه ويحضره.

وكان بعض الامراء قد لحق به في الجبل وأشار عليه باللحاق بالموصل، واستمدّ دبيسا فسار لذلك، وأدركه البرسقي على ثلاثين فرسخاً من مكانه وأمنه عن أخيه، وأعاده اليه فأريب العساكر للقائه. وبالغ في اكرامه وخلطه بنفسه. وأما اتابكه حيوس بك فلما افتقد السلطان مسعود سار الى الموصل، وجمع العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب. ثم جاء السلطان بهمذان فآمّنه وأحسن اليه. وأمّا دبيس فلما بلغه خبر الهزيمة عاث في البلاد وأخربها وبعث اليه المسترشد بالنكير فلم يقبل فكتب بشأنه الى السلطان محمود، وخاطبه السلطان في ذلك فلم يقبل، وسار الى بغداد وخيّم ازاء المسترشد، وأظهر انه يثأر منهم بأبيه.

ثم عاد عن بغداد ووصل السلطان في رجب فبعث دبيس اليه زوجته بنت عميد الدولة بن جهير بمال وهدايا نفيسة، وأجيب الى الصلح على شروط امتنع منها فسار اليه السلطان في شوّال ومعه ألف سفينة. ثم استأمن الى السلطان فأمّنه وأرسل نساءه الى البطيحة. وسار الى أبي الغازي مستجيراً به، ودخل السلطان الحلة وعاد عنها ولم يزل دبيس عند أبي الغازي. وبعث أخاه منصوراً الى أصحابه من أمراء النواحي ليصلح حاله مع السلطان فلم يتمّ ذلك. وبعث اليه أخوه منصور يستدعيه الى العراق فسار من قلعة جعبر الى الحلة سنة خمس عشرة وملكها، وأرسل الى الخليفة

والسلطان بالاعتذار والوعد بالطاعة فلم يقبل منه، وسارت اليه العساكر مع سعد الدولة بن تُتُش ففارق الحلة، ودخلها سعد، وأنزل بالحلة عسكراً وبالكوفة آخر. ثم راجع دبيس الطاعة على أن يرسل، أخاه منصوراً رهينة فقبل، ورجع العسكر الى بغداد سنة ست عشرة.

اقطاع الموصل للبرسقي وميافارقين لابي الغازي

ثم أقطع السلطان محمود الموصل وأعمالها والجزيرة وسنجار وما يضاف الى ذلك للامير اقسنقر البرسقي شحنة بغداد، وذلك انه كان ملازماً للسلطان في حروبه ناصحاً له، وهو الذي حمل السلطان مسعوداً على طاعة أخيه محمود، وأحضره عنده فلما حضر حيوس بك وزيره عند السلطان محمود من الموصل بقيت بدون أمير فولّى عليها البرسقي سنة خمس عشرة وخمسمائة، وأمره بمجاهدة الفرنج فأقام في امارتها دهراً هو وبنوه كما يأتي في أخبارهم. ثم بعث الامير أبو الغازي بن ارتق ابنه حسام الدين تمرتاش شافعاً في دبيس ابن صدقة، وأن يضمن الحلة بألف دينار وفرس في كل يوم ولم يتمّ ذلك. فلما انصرف عن السلطان أقطع أباه أبا الغازي مدينة ميافارقين وتسلمها من يد سقمان صاحب خلاد سنة خمس عشرة، وبقيت في يده ويد بنيه الى أن ملكها منهم صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة كما يذكر في أخبارهم.

طاعة طغرل لاخيه السلطان محمود

قد تقدّم ذكر انتقاض الملك طغرل بساوة وزنجان على أخيه السلطان محمود بمداخلة اتابكه كتبغري، وان السلطان محموداً المشار اليه ازعجه الى كنجة، وسار الى اذربيجان يحاول ملكها. ثم توفي اتابكه كتبغري في شوّال سنة خمس عشرة، وكان اقسنقر الاحمد يلي صاحب مراغة فطمع في رتبة كتبغري، وسار الى طغرل واستدعاه الى مراغة وقصدوا اردبيل فامتنعت عليهم فجاؤا الى تبريز، وبلغهم انّ السلطان اقطع اذربيجان لجيوس بك، وبعثه في العساكر، وانّه سبقهم الى مراغة فعدلوا عنها وكاتبوا صاحب زنجان فأجابهم، وسار معهم الى ابهر فلم يتمّ لهم مرادهم، وراسلوا السلطان في الطاعة واستقرّ حالهم. واما حيوس بك فوقعت بينه وبين الامراء من عسكره منافرة فسعوا به عند السلطان فقتله بتبريز في رمضان من سنته، وكان تركياً من مماليك السلطان محمد، وكان حسن السيرة مضطلعاً بالولاية. ولما ولي الموصل والجزيرة كان الاكراد قد عاثوا في نواحيها، واخافوا سبلها فأوقع بهم وحصر قلاعهم، وفتح الكثير منها ببلد الهكارية وبلد الزوزان وبلد الفنوية وبلد النحسة، حتى خاف الاكراد، واطمأنّ الناس وامنت السبل.

اخبار دبيس مع المسترشد

قد ذكرنا مسير العساكر الى دبيس مع برسق الكركوي سنة أربع عشرة، وكيف وقع الاتفاق وبعث دبيس أخاه منصوراً

رهينة فجاء برتقش به الى بغداد سنة ست عشرة، ولم يرض المسترشد ذلك، وكتب الى السلطان محمود بأن دبيس لا يصلحه شيء لانه مطالب بثار أبيه، وأشار بأن يبعث عن البرسقي من الموصل لتشديد دبيس، ويكون شحنة ببغداد فبعث اليه السلطان وأنزله شحنة ببغداد، وأمره بقتال دبيس فأقام عشرين شهراً ودبيس معمل في الخلاف. ثم أمره المسترشد بالمسير اليه، وإخراجه من الحلة فاستقدم البرسقي عساكره من الموصل، وسار الى الحلة، ولقيه دبيس فهزم عساكره ورجع الى بغداد في ربيع من سنة ست عشرة، وكان معه في العسكر مضر بن النفيس بن مذهب الدولة أحمد بن أبي الخير عامل البطيحة فغدا عليه عمه المظفر بن عماد بن أبي الخير فقتله في انهزامهم.

وسار الى البطيحة فتغلب عليها، وكاتب دبيس في الطاعة، وأرسل دبيس الى المسترشد بطاعته وأن يبعث عماله لقرى الخاص يقبضون دَخْلَها على أن يقبض المسترشد على وزيره جلال الدين بن عليّ بن صدقة فتمّ بينهما ذلك، وقبض المسترشد على وزيره، وهرب ابن أخيه جلال الدين أبو الرضي الى الموصل، وبلغ الخبر بالهزيمة الى السلطان محمود فقبض على منصور أخي دبيس وحبسه، وأذن دبيس لاصحاب الاقطاع بواسط في المسير الى اقطاعهم فنعهم الاتراك منها فجهز اليهم عسكراً مع مهلهل ابن أبي العسكر. وأمر مظفر ابن أبي الخير عامل البطيحة بمساعدته. وبعث البرسقي المدد الى

أهل واسط فلقيهم مهلهل بن أبي المظفر فهزموه وأسروه وجماعة من عسكره واستلحموا كثيراً منهم .

وجاء المظفر أبو الخير على أثره، وأكثر النهب والعيث، وبلغه خبر الهزيمة فرجع وبعث أهل واسط بتذكرة وجدوها مع مهلهل بخط دبيس فأمره بالقبض على المظفر فال اليهم وانحرف عن دبيس. ثم بلغ دبيس أنّ السلطان محموداً سمل أخاه منصوراً فانتقض ونهب ما كان للخليفة بأعماله، وسار أهل واسط الى النُعمانِيّة فأجلوا عنها اصحاب دبيس . وتقدّم المسترشد الى البرسقي بالمسير لحرب دبيس فسار لذلك كما نذكر . ثم اقطع السلطان محمود مدينة واسط للبرسقي مضافة الى ولاية الموصل فبعث عماد الدين زنكي ابن اقسنقر ولد نور الدين العادل .

نكبة الوزير ابن صدقة وولاية نظام الملك

قد ذكرنا آنفا أنّ دبيس اشترط على المسترشد في صلحه معه القبض على وزيره جلال الدين أبي علي بن صدقة فقبض عليه في جمادى سنة ست عشرة، وأقام في نيابة الوزارة شرف الدين علي ابن طراد الزينبي . وهرب جلال الدين أبو الرضي ابن أخي الوزير الى الموصل . وبعث السلطان محمود الى المسترشد في أن يستوزر نظام الدولة أبا نصر أحمد بن نظام الملك، وكان السلطان محمود قد استوزر أخاه شمس الملك عثمان، عندما قلّ الباطنية بهمذان [1]

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٨ ص ٣٠٩ : فأرسل السلطان إلى المسترشد بـالله في معنى وزارة نظام الملك ؛ وكان أخا شمس الملك عثمان بن نظام الملك وزير السلطان محمود ؛ فأجيب إلى ذلك واستوزر في شعبان.

وزيره الكمال أبا طالب السميري فقبل المسترشد اشارته، واستوزر نظام الملك، وقد كان وزر للسلطان محمد سنة خمسمائة، ثم عزل ولزم داره ببغداد . فلما وزر وعلم ابن صدقة أنه يخرجه طلب من المسترشد أن يسير الى سليمان بن مهارش بحديثة غانة فأذن له فسار ونهب في طريقه وأسر، ثم خلص الى مأمنه في واقعة عجيبة . ثم قتل السلطان محمود وزيره شمس الملك فعزل المسترشد أخاه نظام الدين أحمد عن وزارته، وأعاد جلال الدين أبا علي بن صدقة الى مكانه .

واقعة المسترشد مع دبيس

كان دبيس في واقعته مع البرسقي قد أسر عفيفاً الخادم، ثم أطلقه سنة سبع عشرة، وحمله الى المسترشد رسالة بخروج البرسقي للقتال يتهدّده بذلك على ما بلغه من سمل أخيه، وحلف لينهبنّ بغداد فاستطار المسترشد غضباً، وأمر البرسقي بالمسير لحربه فسار في رمضان من سنته . ثم تجهز للخليفة وبرز من بغداد واستدعى العساكر فجاءه سليمان بن مهارش صاحب الحديثة في بني عقيل، وقرواش بن مسلم وغيرهما . ونهب دبيس نهر الملك من خاص الخليفة، ونودي في بغداد بالنفير فلم يتخلف أحد، وفرّقت فيهم الاموال والسلاح وعسكر المسترشد خارج بغداد في عشر ذي الحجة، وبرز لاربع بعدها وعبر دجلة وعليه قباء أسود وعمامة سوداء، وعلى كتفه البُرْدَة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد

صيني، ووزيره معه نظام الدين، ونقيب الطّالبيّين ونقيب النقباء علي بن طراد، وشيخ الشيوخ صدر الدين اسماعيل وغيرهم فنزل بخيمة، وبلغ البرسقي خروجه فعاد بعسكره اليه .

ونزل المسترشد بالحديثة بنهر الملك، واستحلف البرسقي والامراء على المناصحة، وسار فنزل المباركة وعبّى البرسقي أصحابه للحرب، ووقف المسترشد وراء العسكر في خاصته، وعبّى دبيس أصحابه صفاً واحداً، وبين يديهم الاماء تعزف وأصحاب الملاهي، وعسكر الخليفة تتجاذب القراءة والتسبيح مع جنباته، ومع اعلامه كرباوى خراسان، وفي الساقة سليمان بن مهارش . وفي ميمنة البرسقي أبو بكر ابن الياس مع الامراء البلخية فحمل عنتر بن أبي العسكر من عسكر دبيس على ميمنة البرسقي فدحرها ، وقتل ابن اخي أبي بكر . ثم حمل ثانية كذلك فحمل عماد الدين زنكي ابن اقسنقر في عسكر واسط على عنتر بن أبي العسكر فأسره ومن معه .

وكان من عسكر المسترشد كمين متوار فلما التحم الناس خرج الكمين واشتدّ الحرب ، وجرّد المسترشد سيفه وكبر وتقدّم فأنهزمت عساكر دبيس ، وجيء بالاسرى فقتلوا بين يدي الخليفة وسُبي نساؤهم، ورجع الخليفة الى بغداد في عاشوراء من سنة سبع عشرة. وذهب دبيس وخفي أثره، وقصد غزية من العرب فابوا من ذلك إيثاراً لرضا المسترشد والسلطان فسار إلى المشقر من البحرين فأجابوه، وسار بهم الى البصرة فنهبوها وقتلوا أميرها،

وتقدّم المسترشد للبرسقي بالانحدار اليه بعد أن عنفه على غفلته عنه، وسمع دبيس ففارق البصرة، وبعث البرسقي عليها زنكي ابن أقسنقر فأحسن حمايتها وطرد العرب عن نواحيها، ولحق دبيس بالفرنج في جعبر وحاصر معهم حلب فلم يظفروا وأقلعوا عنها سنة ثمان عشرة فلحق دبيس بطغرل ابن السلطان محمد، وأغراه بالمسترشد، وبملك العراق كما نذكر.

ولاية برتقش شحنة بغداد

ثم ان المسترشد وقعت بينه وبين البرسقي منافرة فكتب الى السلطان محمود في عزله عن العراق، وابعاده الى الموصل فأجابه الى ذلك، وأرسل الى البرسقي بالمسير الى الموصل لجهاد الافرنج، وبعث اليه بابن صغير من أولاده يكون معه وولى علي شحنة [1] بغداد برتقش الزكوي، وجاء نائبه الى بغداد فسلم اليه البرسقي العمل وسار الى الموصل بابن السلطان، وبعث الى عماد الدين زنكي أن يلحق به فسار الى السلطان، وقدم عليه بالموصل فأكرمه وأقطعه البصرة وأعاده اليها.

وصول الملك طغرل ودبيس الى العراق

قد ذكرنا مسير دبيس بن صدقة من الشام الى الملك طغرل

---

(١) أورد ابن خلدون هذه الكلمة «شحنة» في عدة مناسبات وكان تارة يذكرها بمعنى: أمير البلد، وطوراً بمعنى: الحامية. وأحياناً بمعنى: رئيس الشرطة. وأظنها هنا بمعنى أمير البلد. وإليك ما ورد في لسان العرب: «شحن البلد بالخيل: ملأه وبالبلد شحنة من الخيل أي رابطة. قال ابن بري: وقول العامة في الشحنة أنه الأمير غلط. وقال الأزهري: شحنة الكورة من فيهم الكفاية لضبطها من أولياء السلطان».

فأحسَن اليه، ورتبه في خاص أمرائه، وجعل دبيس يغريه بالعراق ويضمن له ملكه؛ فسَار لذلك سنة تسع عشرة، ووصلوا دقوقا فكتب مجاهد الدين مهروز من تكريت الى المسْترشد بخبرهما فتجهز الى دفاعهما وسار اليهما. وأمر برتقش الزكوي الشحنة أن يستنفر ويستعد فبلغت عدّة العسكر اثني عشر ألفاً سوى أهل بغداد، وبرز خامس صفر سنة تسْع عشرة، وسار فنزل الخالص، وعدل طغرل الى طريق خراسان، وأكثرت عساكره النهب، ونزل رباط جلولاء. وسار اليه الوزير جلال الدين بن صدقة في العسَاكر فنزل الدسكرة. وجاء المسترشد فنزل معه، وتوجه طغْرل ودبيس فنزلا الهارونية، واتفقا أن يقطَعا جسر النهروان فيقيم دبيس على المعابر، ويخالفهم طغْرل الى بغْداد؛ ثم عاقتهم جميعاً عوائق المطَر، وأصابت طغْرل الحمّى، وجاء دبيس الى النهروان ليعبر، وقد لحقهم الجوع فصادف أحمالاً من البرّ والاطعمة جاءت من بغْداد للمسْترشد فنهبها، وأرجف في معسكر المسْترشد انّ دبيس ملك بغْداد فأجفلوا من الدسكرة الى النهروان، وتركوا أثقالهم. ولما حلُّوا بالنهروان وجدوا دبيس وأصحابه نياماً فاستيقظ وقبّل الارض بين يدي [1]

---

(١) في العبارة غموض واضطراب. والمفهوم مما تقدم أن دبيس جاء لمحاربة المسترشد وقد وقع الآن بين يديه. وفيما بعد يظهر أنه حر. فكيف صار حراً، وكيف تركه المسترشد بعد الظفر به؟ هذه أسئلة تبقى بلا جواب. وإذا فرضنا أن المسترشد صالحه وعفا عنه بدون قيد ولا شرط كان ذلك سذاجة متناهية. وكيف يكون العفو بلا شرط عن رجل جهز الجيوش، وعبأ الكتائب لمحاربة الخليفة: فإذا ظفر به أطلقه بهذه البساطة المتناهية؟

وفي الكامل لابن الأثيرج ٨ ص ٣١٨: واستقر الأمر بين دبيس وطغرل أن يسيرا حتى يعبرا =

المسترشد، وتذلل فهمّ بصلحه، ووصل الوزير ابن صدقة فثناه عن ذلك؛ ثم مدّ المسترشد الجسر، وعبر ودخل بغداد لفتنة خمسة وعشرين يوماً [1]. وسار دبيس الى طغرل؛ ثم اعتزموا على المسير الى السلطان سنجر، ومرُّوا بهمذان فعاثوا في أعمالها وصادروا، واتبعهم السلطان فانهزموا بين يديه، ولحقوا بالسلطان سنجر شاكين من المسترشد والشحنة برتقش.

الفتنة بين المسترشد والسلطان محمود

ثم وقعت بين برتقش الزكوي وبين نواب المسترشد نبوة فبعث اليه المسترشد يتهدّده فخافه على نفسه، وسار الى السلطان محمود في رجب سنة عشرين فحذر منه، وانه ثاور العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه، وأشار بمعاجلته قبل أن يستفحل أمره، ويمتنع عليه فسار السُلطان نحو العراق؛ فبعث اليه المسترشد بالرجوع

= نهر ديالي وتامرا، ويقطعا جسر النهروان، ويقيم دبيس ليحفظ المعابر، ويتقدم طغرل إلى بغداد فيملكها وينهبها، فسارا على هذه القاعدة فعبرا تامرا، ونزل طغرل بينه وبين ديالي. وسار دبيس على أن يلحقه طغرل فقدر الله تعالى أن الملك طغرل لحقه حمى شديدة، ونزل عليهم من المطر ما لم يشاهدوا مثله، وزادت المياه وجاءت السيول، والخليفة بالدسكرة. وسار دبيس في مائتي فارس، وقصد معرة النهروان، وهو تعب سهران؛ وقد لقي هو وأصحابه من المطر والبلل ما آذاهم وليس معهم ما يأكلون، ظناً منهم أن طغرل وأصحابهم يلحقونهم فتأخروا لما ذكرناه فنزلوا جياعاً قد نالهم البرد، وإذ قد طلع عليهم ثلاثون حملاً تحمل الثياب المخيطة والعمائم والأقبية والقلانس وغيرها من الملبوس، وتحمل أيضاً أنواع الأطعمة المصنوعة قد حملت من بغداد إلى الخليفة. فأخذ دبيس الجميع فلبسوا الثياب الجدد ونزعوا الثياب الندية وأكلوا الطعام وناموا في الشمس مما نالهم تلك الليلة. وبلغ الخبر أهل بغداد فلبسوا السلاح وبقوا يحرسون الليل والنهار.

(١) كذا بالأصل وفي الكامل: وسير الخليفة عسكراً مع الوزير في أمره وعاد إلى بغداد فدخلها وكانت غيبته خمسة وعشرين يوماً.

عن البلاد لما فيها من الغلاء من فتنة دبيس، وبذل له المال، وأن يسير الى العراق مرّة أخرى؛ فارتاب السُلطان وصدّق ما ظنه برتقش وأغذّ السَير فعبر المسترشد إلى الجانب الغَربي مغضباً يظهر الرحيل عن بغداد اذ قصدها السُلطان . وصانعه السُلطَان بالاستعطَاف وسؤاله في العود فأبى فغَضب السُلطَان ودخل نحو بغداد .

وأقام المسترشد بالجانب الغَربيّ وبعث عفيفاً الخادم من خواصّه في عسكر الى واسط ليمنع عنها نواب السُلطَان؛ فأرسل السُلطَان اليه عماد الدين زنكي بن أقسَنقر وكان على البصرة كما ذكرناه فسَار اليه وهزمه، وقتل من عسكره، ونجا عفيف الى المسترشد برأسه فجمع المسترشد السفن وسدّ أبواب دار الخلافة إلّا باب النوبى، ووصل السلطان في عشر ذي الحجة من سنة عشرين، ونزل باب الشماسية، ومنع العسكر عن دور الناس . وراسل المسترشد في العود والصلح فأبى، ونجا جماعة من عسكر السلطان فنهبوا التاج في أوّل المحرّم سنة احدى وعشرين فضج العامّة لذلك، واجتمعوا وخرج المسترشد والشماسية على رأسه والوزير بين يديه، وأمر بضرب الطبول ونفخ الابواق، ونادى بأعلى صوته يا لهاشم ! ونصب الجسر وعبر الناس دفعة واحدة . وكان في الدار رجال مختفون في السراديب فخرجوا على العسكر، وهم مشتغلون في نهب الدار فأسروا جماعة منهم، ونهب العامّة دور أصحاب السلطان . وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد،

وأمر بحفر الخنادق فحفرت ليلاً، ومنعوا بغداد عنهم، واعتزموا على كبس السلطان محمود.

وجاء عماد الدين زنكي من البصرة في حشود عظيمة ملأت البرّ والبحر فاعتزم السلطان على قتال بغداد. وأذعن المسترشد الى الصلح فاصطلحوا، وأقام السلطان ببغداد الى ربيع الآخر سنة احدى وعشرين، ومرض فأشير عليه بمفارقة بغداد فارتحل الى همذان، ونظر فيمن يوليه شحنة العراق مضافاً الى ما بيده، ويثق به في سدّ تلك الخلة. وحمل اليه الخليفة عند رحيله الهدايا والتحف والألطاف فقبل جميعها. ولما أبعد السلطان عن بغداد قبض على وزيره أبي القاسم علي بن الناصر النشاباذي لاتهامه بممالأة المسترشد، واستوزر مكانه شرف الدين أنوشروان بن خالد، وكان مقيماً ببغداد فاستدعاه وأهدى اليه الناس حتى الخليفة. وسار من بغداد في شعبان فوصل الى السلطان باصبهان وخلع عليه؛ ثم استعفى لعشرة أشهر، وعاد الى بغداد ولم يزل الوزير ابو القاسم محبوساً إلى أن جاء السلطان سنجر الى الريّ في السنة بعدها فأطلقه وأعاده الى وزارة السلطان.

اخبار دبيس مع السلطان سنجر

لما وصل دبيس الى السلطان سنجر، ومعه طغرل أغرياه بالمسترشد والسلطان محمود، وأنهما عاصيان عليه، وسهلا عليه أمر العراق فسار الى الريّ واستدعى السلطان محموداً يختبر طاعته بذلك فبادر

للقائه . ولما وصل أمر سنجر العساكر فتلقوه وأجلسه معه على سريره، وأقام عنده مدّة وأوصاه بدبيس أن يعيده الى بلده، ورجع سنجر الى خراسان منتصف ذي الحجة ورجع محمود الى همذان ودبيس معه . ثم سار الى بغداد فقدمها في تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين، واسترضى المسترشد لدبيس فرضي عنه، على شريطَة أن يوليه غير الحلة فبذل في الموصل مائة ألف دينار . وشعر بذلك زنكي فجاء بنفسه الى السلطان وهجم على الستر متذمماً، وحمل الهدايا، وبذل مائة ألف فأعاده السلطان الى الموصل، وأعاد بهروز شحنة على بغداد، وجعلت الحلة لنظره .

وسار السلطان الى همذان في جادى سنة ثلاث وعشرين ؛ ثم مرض السلطان فلحق دبيس بالعراق، وحشد المسترشد لمدافعته ، وهرب بهروز من الحلة فدخلها دبيس في رمضان من سنة ثلاث وعشرين . وبعث السلطان في اثره الاميرين اللذين ضمناه له، وهما كزل والأحديلي؛ فلما سمع دبيس بهما أرسل الى المسترشد يستعطفه، وتردّد الرسل، وهو يجمع الاموال والرجال حتى بلغ عسكره عشرة آلاف، ووصل الاحديلي بغداد في شوّال، وسار في اثر دبيس . ثم جاء السلطان الى العراق فبعث اليه دبيس بالهدايا، وبذل الاموال على الرضى فابى، ووصل الى بغداد، ودخل دبيس البريّة، وقصد البصرة فأخذ ما كان فيها للخليفة والسلطان، وجاءت العساكر في اتباعه فدخل البرية انتهى .

وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود ثم منازعته عمومته واستقلال مسعود

ثم توفي السلطان محمود في شوّال من سنة خمس وعشرين، لثلاث عشرة سنة من ملكه؛ واتفق وزيره أبو القاسم النشاباذي، واتابكه اقسنقر الأحمديلي على ولاية ابنه داود مكانه؛ وخطب له في جميع بلاد الجبل وأذْرَبِيْجَان، ووقعت الفتنة بهمذان ونواحيها. ثم سكنت فسار الوزير بأمواله الى الريّ ليأمن في ايالة السلطان سنجر؛ ثم ان الملك داود سار في ذي القعدة من سنة خمس وعشرين من همذان الى ربكان؛ وبعث الى المسترشد ببغداد في الخطبة، وأتاه الخبر بأنّ عمه مسعوداً سار من جرجان الى تبريز، وملكها فسار اليه وحصره في تبريز الى سلخ المحرّم من سنة ست وعشرين؛ ثم اصطلحا وأفرج داود عن تبريز، وخرج السلطان مسعود منها، واجتمعت عليه العساكر فانتقض وسار الى همذان.

وأرسل الى المسترشد في الخطبة فأجابهم جميعاً بأن الخطبة للسلطان سنجر صاحب خراسان، ويعين بعده من يراه. وبعث الى سنجر بأن الخطبة انما ينبغي أن تكون لك وحدك فوقع ذلك منه أحسن موقع؛ وكاتب السلطان منه أحسن موقع؛ وكاتب السلطان مسعود عماد الدين زنكي صاحب الموصل فأجابه، وسار اليه وانتهى إلى المشوق. وبينما هم في ذلك اذ ثار قراجا الساقي صاحب فارس وخوزستان بالملك سلجوق شاه ابن السلطان محمد، وكان اتابكه فدخل بغداد في عسكر كبير، ونزل دار السلطان، واستخلفه

المسترشد لنفسه، ووصل مسعود الى عباسة فبرزوا للقائه، وجاءهم خبر عماد الدين زنكي فعبر قراجا الى الجانب الغربي للقائه؛ وواقعه فهزمه، وسار منهزماً الى تكريت، وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو السلطان صلاح الدين فهيأ له الجسر للعبور؛ وعبر فأمن وسار لوجهه. وجاء السلطان مسعود من العباسة للقاء أخيه سلجوق ومن معه مدلّا بمكان زنكي وعسكره من ورائهم، وبلغه خبر انهزامهم فنكص على عقبه، وراسل المسترشد بأنّ السلطان سنجر وصل اليّ وطلب الاتفاق من المسترشد وأخيه سلجوق شاه قراجا على قتال سنجر، على أن يكون العراق للمسترشد يتصرّف فيه نوابه، والسلطنة لمسعود وسلجوق شاه وليّ عهده فأجابوه الى ذلك، وجاء الي بغداد في جمادى الاولى سنة ست وعشرين؛ وتعاهدوا على ذلك.

واقعة مسعود مع سنجر وهزيمته وسلطنة طغرل

لما توفي السلطان محمود، وولي ابنه داود مكانه، نكر ذلك عمه السلطان سنجر عليهم، وسار الي بلاد الجبل، ومعه طغرل ابن أخيه السلطان محمد، كان عنده منذ وصوله مع دبيس فوصل الى الريّ، ثم الى همذان؛ وسار السلطان مسعود وأخوه سلجوق وقراجا الساقي أتابك سلجوق للقائه. وكان المسترشد قد عاهدهم على الخروج وألزموه ذلك؛ ثم ان السلطان سنجر بعث الى دبيس، وأقطعه الحلّة وأمره بالمسير الى بغداد، وبعث الى عماد الدين زنكي بولاية شِحْنَكِيَّة بغداد، والسير اليها فبلغ المسترشد خبر مسيرهما

فرجع لمدافعتها .

وسار السلطان مسعود وأصحابه للقاء السلطان سنجر، ونزل استراباذ في مائة ألف من العسكر فخاموا عن لقائه، ورجعوا أربع مراحل فأتبعهم سنجر، وتراءى الجمعان عند الدينور ثامن رجب فاقتتلوا، وعلى ميمنة مسعود قراجا الساقي وكُزل، وعلى ميسرته برتقش باردار، ويوسف حاروس فحمل قراجا الساقي في عشرة آلاف على السلطان سنجر، حتى تورّط في مصافه فانعطفوا عليه من الجانبين، وأخذ أسيراً بعد جراحات. وانهزم مسعود وأصحابه، وقتل بعضهم، وفيهم يومئذ يوسف حاروس، وأسر آخرون، فيهم قراجا فأحضر عند السُلطان سنجر فوبخه، ثم أمر بقتله. وجاء السُلطان مسعود اليه فأكرمه، وعاتبه على مخالفته، وأعاده اميراً الى كنجة. وولى الملك طغرل ابن أخيه محمداً في السّلطنة وجعل وزيره أبا القاسم النشاباذي وزير السُلطان محمود، وعاد الى خُراسان، ووصل نيسابور في عاشر رمضان من سنته .

وأما الخليفة فرجع الى بغداد كما قلناه لمدافعة دبيس وزنكي، وبلغه الخبر بهزيمة السُلطان مسعود فعبر الى الجانب الغربي، وسار الى العباسية، ولقيهما بحصن البرامكة آخر رجب. وكان في ميمنته جمال الدولة إقبال، وفي ميسرته مطَر الخادم فانهزم اقبال لحملة زنكي، وحمل الخليفة ومطَر على دبيس فانهزم، وتبعه زنكي فاستمرّت الهزيمة عليهم وافترقوا، ومضى دبيس الى الحلة وكانت بيد اقبال،

وجاءه المدد من بغداد فلقي دبيس وهزمه، ثم تخلص بعد الجهد، وقصد واسط وأطاعه عسكرها الى أن خلت سنة سبع وعشرين؛ فجاءهم اقبال وبرتقش بازدار، وزحفوا في العساكر براً وبحراً فانهزمت أهل واسط .

ولما استقرّ طغرل بالسلطنة وعاد عمه سنجر الى خراسان لخلاف أحمد خان صاحب ما وراء النهر عليه، وكان داود ببلاد أذربيجان وكنجة فانتقض وجمع العساكر، وسار الى همذان وبرز اليه طغرل وفي ميمنته ابن برسق وفي ميسرته كزل وفي مقدّمته اقسنقر . وسار اليه داود في ميمنته برتقش الزكوي والتقيا في رمضان سنة ست وعشرين فأمسك برتقش عن القتال، واستراب التركمان منه فنهبوا خيمته، واضطرب عسكر داود لذلك فهرب أتابكه أقسنقر الأحمديلي، واستمرّت الهزيمة عليهم وأسر برتقش الزكوي، ومضى داود ثم قدم بغداد، ومعه اتابكه أقسنقر الاحمديلي فأنزله الخليفة بدار السلطان وأكرمه .

ولما بلغ السلطان مسعوداً هزيمة داود ووصوله الى بغداد، قدم اليها وخرج داود لتلقيه، وترجل له عن فرسه، ونزل مسعود بدار السلطنة في صفر سنة سبع وعشرين، وخطب له على منابر بغداد ولداود بعده، واتفقا مع المسترشد بالسير الى أذربيجان، وان يمدّهما وسارا لذلك، وملك مسعود سائر بلاد أذربيجان، وحاصر جماعة من الامراء باردبيل، ثم هزمهم وقتل منهم، وسار الى همذان

وبرز أخو طغرل للقائه فانهزم، واستولى مسعود على همذان، وقتل اقسنقر، قتله الباطنية، ويقال بدسيسة السلطان محمود. ولما انهزم طغرل قصد الريّ، وبلغ قم، ثم عاد الى أصبهان ليمتنع بها، وسار أخوه مسعود للحصار فارتاب طغرل بأهل أصبهان، وسار الى بلاد فارس فاتبعه مسعود، واستأمن اليه بعض أمراء طغرل فارتاب بالباقين، وانهزم الى الريّ في رمضان من سنته، واتبعه مسعود فلحقه بالريّ، وقاتله فانهزم طغرل وأسر جماعة من أمرائه، وعاد مسعود الى همذان ظافراً وعندما قصد طغرل الريّ من فارس، قتل في طريقه وزيره أبا القاسم النشاباذي، في شوّال من سنته لموجدة وجدها عليه.

مسير المسترشد لحصار الموصل

لما انهزم عماد الدين زنكي امام المسترشد كما قلنا لحق بالموصل، وشغَل سلاطين السلجوقِيّة في هَمَذان بالخلف الواقع بينهم، ولجأ جماعة من امراء السلجوقية الى بغداد فراراً من الفتنة فقوي بهم المسترشد، وبعث الى عماد الدين زنكي بعض شيوخ الصوفيّة من حضرته فأغلظ في الموعظة فأهانه زنكي، وحبسه فاعتزم المسترشد على حصار الموصل، وبعث بذلك الى السلطان مسعود، وسار من بغداد منتصف شعبان سنة سبع وعشرين في ثلاثين ألف مقاتل. ولما قارب الموصل فارقها زنكي ونزل بها نائبه نصير الدين حقر، ولحق بسنجر وأقام يقطع المدد والميرة عن عسكر المسترشد، حتي ضاقت بهم الامور، وحاصرها المسترشد ثلاثة أشهر فامتنعت

عليه، ورحل عائداً الى بغداد فوصل يوم عرفة من سنته، يقال ان مطراً الخادم جاء من عسكر السلطان مسعود لانه قاصد العراق فارتحلا لذلك .

مصاف طغرل ومسعود وانهزام مسعود

ولما عاد مسعود الى همذان بعد انهزام اخيه طغرل، بلغه انتقاض داود ابن أخيه محمود باذربيجان فسار اليه وحصره ببعض قلاعها فخالفه طغرل الى بلاد الجبل واجتمعت عليه العساكر ففتح كثيراً من البلاد، وقصد مسعوداً وانتهى الى قزوين فسار مسعود للقائه، وهرب من عسكره جماعة كان طغرل قد داخلهم واستمالهم فولى مسعود منهزماً آخر رمضان سنة ثمان وعشرين، واستأذن المسترشد في دخول بغداد وكان نائبه باصبهان البقش السلامي، ومعه أخوه سلجوق شاه، فلما بلغهم خبر الهزيمة لحقوا ببغداد، ونزل سلجوق بدار السلطان، وبعث اليه الخليفة بعشرة آلاف دينار . ثم قدم مسعود بعدهم ولقي في طريقه شدة وأصحابه بين راجلين وركاب فبعث اليهم المسترشد بالمقام والخيام والاموال والثياب والآلات، وقرب إليهم المنازل، ونزل مسعود بدار السلطنة ببغداد منتصف شوّال سنة ثمان، وأقام طغرل بهمذان .

وفاة طغرل واستيلاء السلطان مسعود

ولما وصل مسعود الى بغداد أكرمه المسترشد، ووعده بالمسير معه لقتال أخيه طغرل، وأزاح علل عسكره واستحثه لذلك، وكان

جماعة من أمراء السلجوقية قد ضجروا من الفتنة، ولحقوا بالمسترشد فساروا معه، ودسّ اليهم طغرل بالمواعيد فارتاب المسترشد ببعضهم، وأطلع على كتاب طغرل اليه، وقبض عليه، ونهب ماله فلحق الباقون بالسلطان، وبعث فيهم المسترشد فمنعهم السلطان فحدثت بينهم الوحشة لذلك، وبعث السلطان الى الخليفة يلزمه المسير معه[1]، وبينا هما على ذلك اذ جاءه الخبر بوفاة طغرل، في المحرّم من سنة تسع وعشرين فسار السلطان مسعود الى همذان، وأقبلت اليه العساكر فاستولى عليها، وأطاعه أهل البلاد، واستوزر شرف الدين أنوشروان خالداً، وكان قد سار معه بأهله .

فتنة السلطان مسعود مع المسترشد

لما استولى السلطان مسعود على همذان استوحش منه جماعة من أعيان الامراء، منهم برتقش وكزل وسنقر والي همذان، وعبد الرحمن بن طغرلبك ففارقوه ودبيس بن صدقة معهم، واستأمنوا الى الخليفة، ولحقوا بخوزستان وتعاهدوا مع برسق على طاعة المسترشد، وحذر المسترشد من دبيس وبعث شديد الدولة بن الانباري

(١) كذا بالأصل، ويظهر أن العبارة قد سقط منها فقرة أثناء النسخ أو الطبع وفي الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٢٤٥ :

وكان قد اتصل بالأمير البقش السلاحي وغيره من الأمراء بالخليفة وطلبوا خدمته فأجابهم، وصاروا معه . واتفق أن إنساناً أخذ فوجد معه ملطفات من طغرل إلى هؤلاء الأمراء بالأقطاع لهم فلما رأى الخليفة ذلك قبض على أمير منهم اسمه غلبك ونهب ماله، فاستشعر غيره من الأمراء الذين مع الخليفة فهربوا إلى عسكر السلطان مسعود فأرسل الخليفة إليه في إعادتهم إليه فلم يفعل، واحتج بأشياء فعظم ذلك على الخليفة، وحدث بينهما نفرة ووحشة أوجبت تأخره عن المسير معه، وأرسل إليه يلزمه بالمسير معه أمراً جزماً.

الامان للامراء دون دبيس، ورجع دبيس الى السلطان مسعود. وسار الامراء الى بغداد فأكرمهم المسْترشد، واشتدّت وحشة السُلطان مسعود لذلك، ومنافرته للمسْترشد فاعتزم المسْترشد على قتاله، وبرز من بغْداد في عاشر رجب، وأقام بالشفيع وعصى عليه صاحب البصرة فلم يجبه، وأمراء السُلجوقية الذين بقوا معه يحرضونه على المسِير فبعث مقدّمته الى حلوان .

ثم سار من شعبان واستخلف على العراق اقبالًا خادمه في ثلاثة آلاف فارس، ولحقه برسق بن برسق فبلغ عسْكره سبعة آلاف فارس، وكان أصحاب الاعراب يكاتبون المسْترشد بالطاعة فاستصلحهم مسعود، ولحقوا به، وبلغ عسْكره خمسَة عشر ألفاً . وتسَلّل اليه كثير من عسْكر المسْترشد حتى بقي في خمسَة آلاف، وبعث اليه داود ابن السُلطان محمود من أذربيجان بأن يقصد الدينور ليلقاه بها بعسْكره فجفل للقاء السُلطان مسعود، وسار وفي ميمنتا برتقش باردار، وكور الدولة سنقر وكزل وبرسق ابن برسق، وفي ميسرته جاولى برسقي، وسراب سلار واعليك الذي كان قبض عليه من أمراء السُلجوقية بموافقتهم السُلطان، وكان ذلك عاشر رمضان سنة تسْع وعشرين .

وانحازت ميسرة المسْترشد اليه وانطبقت عسَاكره عليه، وانهزم أصحاب المسْترشد وأخذ هو أسيراً بموكبه، وفيهم الوزير شرف الدين عليّ بن طراد الزينبي، وقاضي القضاة والخطباء والفقهاء والشهود

وغيرهم. وأنزل المسترشد في خيمة، وحبس الباقون بقلعة سرحاب، وعاد السلطان الى همذان، وبعث الامير بك آي المحمدي الى بغداد شحنة فوصل سلخ رمضان، ومعه عميد فقبضوا أملاك الخليفة، وأخذوا غلاّته، وضج الناس ببغداد وبكوا على خليفتهم، وأعول النسّاء، ثم عمد العامّة الى المنبر فكسروه، ومنعوا من الخطبة وتعاقبوا في الاسواق يحثون التراب على رؤسهم، وقاتلوا أصحاب الشِحْنَةِ فأثخن فيهم بالقتل وهرب الوالي والحاجب وعظمت الفتنة، ثم بلغ السلطان في شوّال أن داود ابن أخيه محمود عصى عليه بالمراغة فسار لقتاله، والمسترشد معه، وتردّد الرسل بينهما في الصلح.

مقتل المسترشد وخلافة الراشد

قد ذكرنا مسير المسترشد مع السلطان مسعود الى مراغة، وهو في خيمة موكل به. وتردّدت الرسل بينهما وتقرّر الصلح، على أن يحمل مالًا للسلطان، ولا يجمع العساكر لحرب ولا فتنة، ولا يخرج من داره فانعقد على ذلك بينهما، وركب المسترشد، وحملت الغاشية بين يديه، وهو على العود الى بغداد فوصل الخبر بموافاة رسول من السلطان سنجر فتأخر مسيره لذلك، وركب السلطان مسعود للقاء الرسول، وكانت خيمة المسترشد منفردة عن العسكر فدخل عليه عشرون رجلًا او يزيدون من الباطنيّة فقتلوه وجدعوه وصلبوه، وذلك سابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وعشرين، لسبع عشرة ونصف من خلافته.

وقتل الرجال الذين قتلوه وبويع ابنه أبو جعفر، بعهد أبيه اليه بذلك فجدّدت له البيعة ببغداد في ملأ من الناس، وكان إقبال خادم المسترشد في بغداد فلما وقعت هذه الحادثة عبر الى الجانب الغربي، وأصعد الى تكريت، ونزل على مجاهد الدين بهروز . ثم بعد مقتل المسترشد بأيام قتل دبيس بن صدقة على باب سرادقه بظاهر مدينة خويّ، أمر السلطان مسعود غلاماً أرمنياً بقتله فوقف على رأسه فضربه، وأسقط رأسه، واجتمع الى أبيه صدقة بالحلة عسَاكره ومماليكه، واستأمن اليه قطلغ تكين، وأمر السلطان مسعود بك آي شحنة بغداد، فأخذ الحلة من يد صدقة فبعث بعض عساكره الى المدائن، وخام عن لقائه حتى قدم السلطان الى بغداد سنة احدى وثلاثين فقصده وصالحه ولزم بابه .

الفتنة بين الراشد والسلطان مسعود ولحاقه بالموصل وخلعه

وبعد بيعة الراشد واستقراره في الخلافة وصل برتقش الزكوي من عند السلطان محمود، يطلب من الراشد ما استقرّ على أبيه من المال أيام كونه عندهم، وهو اربعمائة ألف دينار فأجابه بأنه لم يخلف شيأ وأنّ ماله كان معه فنهب . ثم نمي الى الراشد انّ برتقش تهجّم على دار الخلافة وفتّش المال فجمع الراشد العساكر وأصلح السور، ثم ركب برتقش ومعه الأمراء البَلْخيّة وجاؤا لهجم الدار، وقاتلهم عسكر الخليفة والعامّة فساروا الى طريق خراسان، وانحدر بك آي إلى خُراسان، وسار برتقش الى البند هجين،

ونهبت العامة دار السلطان والراشد، واشتدت الوحشة بين السلطان والراشد، وانحرف الناس عن طاعة السلطان الى الخليفة، وسار داود ابن السلطان في عسكر أذْرَبِيْجَان الى بغداد، ونزل بدار السلطان في صفر من سنة ثلاثين.

ووصل عماد الدين زنكي من الموصل، ووصل برتقش باردار صاحب قزوين، والنقش الكبير صاحب أصْبَهان، وصدقة ابن دبيس صاحب الحلة، وابن برسق وابن الاحمديلي، وجعل الملك داود برتقش باردار شحنة ببغداد، وقبض الراشد على ناصح الدولة أبي عبدالله الحسن بن جهير استادار، وعلى جمال الدين اقبال. وكان قدم اليه من تكريت فتنكر له أصحابه وخانوه، وشفع زنكي في اقبال الخادم فأطلقه وصار عنده وخرج الوزير جلال الدين أبو الرضا بن صدقة لتلقي زنكي فأقام عنده. ثم شفع فيه وأعاده الى وزارته ولحق قاضي القضاة الزينبي بزنكي أيضاً وسار معه الى الموصل، ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض بها بك آي ونهب ماله فانحدر زنكي اليه وصالحه ورجع الى بغداد.

ثم سار السلطان داود نحو طريق خراسان ومعه زنكي لقتال السلطان مسعود، وبرز الراشد أوّل رمضان وسار الى طريق خراسان، ورجع بعد ثلاث وأرسل الى داود والامراء بالعود، وقتال مسعود من وراء السور، وراسلهم مسعود بالطاعة والموافقة فأبوا،

وتبعهم الخليفة في ذلك . وجاء مسعود فنزل على بغداد وحصرهم فيها، وثار العيارون وكثر الهرج وأقاموا كذلك نيفاً وخمسين، وامتنعوا وأقلع السلطان عنهم . ثم وصله طرنطاني صاحب واسط بالسفن فعاد وعبر الى الجانب الغربي فاضطرب الراشد واصحابه، وعاد داود الى بلاده، وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل، ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة سنة ثلاثين وأمن الناس . واستدعى القضاة والفقهاء والشهود وعرض عليهم يمين الراشد بخطه : اني متى جندت جنداً وخرجت ولقيت احداً من اصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فافتوا بخلعه، ووافقهم على ذلك أصحاب المناصب والولايات، واتفقوا على ذمه فتقدّم السلطان لخلعه، وقطعت خطبته ببغداد وسائر البلاد في ذي القعدة من سنة ثلاثين لسنة من خلافته .

خلافة المقتفي

ولما قطعت خطبة الراشد استشار السلطان مسعود أعيان بغداد فيمن يوليه فاشاروا بمحمد بن المستظهر فقدم اليهم بعمل محضر في خلع الراشد، وذكروا ما ارتكبه من أخذ الاموال ومن الافعال القادحة في الامامة، وختموا آخر المحضر بأن من هذه صفته لا يصلح ان يكون اماما . وحضر القاضي أبو طاهر بن الكرخي فشهدوا عنده بذلك وحكم بخلعه، ونفذه القضاة الآخرون وكان

قاضي القضاة غائباً عند زنكي بالموصل، وحضر السلطان دار الخلافة ومعه الوزير شرف الدين الزينبي وصاحب المخزن ابن العسقلاني، وأحضر أبو عبدالله بن المستظهر فدخل اليه السلطان والوزير واستخلفاه . ثم أدخلوا الامراء وأرباب المناصب والقضاة والفقهاء فبايعوه ثامن عشر ذي الحجة ولقبوه المقتفي . واستوزر شرف الدين عليّ بن طراد الزينبي وبعث كتاب الحكم بخلع الراشد الى الآفاق، وأحضر قاضي القضاة أبا القاسم علي بن الحسين فاعاده الى منصبه، وكمال الدين حمزة بن طلحة صاحب المخزن كذلك .

فتنة السلطان مسعود مع داود واجتماع داود للراشد للحرب ومقتل الراشد

ولما بويع للمقتفي والسلطان مسعود ببغداد، بعث عساكره يطلب الملك داود فلقيه عند مراغة فانهزم داود وملك قراسنقر اذربيجان . ثم قصد داود خوزستان، واجتمع عليه من عساكر التركمان وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل، وحاصر تستر وكان السلطان سلجوق شاه بواسط بعث الى أخيه مسعود يستنجده فأنجده بالعساكر، وسار الى تستر فقاتله داود وهزمه . وكان السلطان مسعود مقيما في بغداد مخافة أن يقصد الراشد العراق من الموصل، وكان قد بعث لزنكي فخطب للمقتفي في رجب سنة احدى وثلاثين، وسار الراشد من الموصل فلما بلغ خبر مسيره الى السلطان مسعود أذن للعسكر في العود الى بلادهم، وانصرف صدقة بن دبيس صاحب الحلة بعد ان زوّجه ابنته .

ثم قدم على السلطان مسعود جماعة الامراء الذين كانوا مع الملك داود مثل البقش السلامي وبرسق بن برسق صاحب تستر وسنقر خمارتكين شحنة همذان فرضي عنهم، وولى البقش شحنة ببغداد فظلم الناس وعسفهم. ولما فارق الراشد زنكي من الموصل سار الى اذربيجان وانتهى الى مراغة، وكان بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك صاحب خلخال والملك، وداود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان مسعود فاجتمعوا الى منكبرس صاحب فارس، وتعاهدوا على بيعة داود، وان يردّوا الراشد الى الخلافة فأجابهم الراشد الى ذلك، وبلغ الخبر الى السلطان فسار من بغداد في شعبان سنة اثنتين وثلاثين، وبلغهم قبل وصوله وصول الراشد اليهم فقاتلهم بخوزستان فانهزموا وأسر منكبرس صاحب فارس فقتله السلطان مسعود صبراً، وافترقت عساكره للنهب وفي طلب المنهزمين، ورآه بوزابة وعبد الرحمن طغرلبك في فلّ من الجنود فحملوا عليه، وقتل بوزابة جماعة من الامراء منهم صدقة بن دبيس وابن قراسنقر الاتابك صاحب اذربيجان وعنتر بن أبي العسكر وغيرهم، كان قبض عليهم لاوّل الهزيمة وأمسكهم عنده. فلما بلغه قتل منكبرس قتلهم جميعاً، وانصرف العسكران منهزمين، وقصد مسعود أذربيجان وداود همذان. وجاء اليه الراشد بعد الوقعة وأشار بوزابة، وكان كبير القوم، بمسيرهم فسار بهم الى فارس فملكها وأضافها الى خوزستان .

وسار سلجوق شاه ابن السلطان مسعود ليملكها فدافعه عنها البقش الشحنة ومطر الخادم أمير الحاج، وثار العيارون أيام تلك الحرب، وعظم الهرج ببغداد، ورحل الناس عنها الى البلاد. فلما انصرف سلجوق شاه واستقرّ البقش الشحنة فتك فيهم بالقتل والصلب. ولما قتل صدقة بن دبيس ولّى السلطان على الحلة محمداً أخاه وجعل معه مُهَلهِلاً أخا عنتر بن أبي العسكر يدبره. ولما وصل الراشد والملك داود الى خوزستان مع الأمراء على ما ذكرنا وملكوا فارس ساروا الى العراق، ومعهم خوارزم شاه. فلما قاربوا الجزيرة خرج السلطان مسعود لمدافعتهم فافترقوا، ومضى الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلاده، وبقي الراشد وحده فسار الى أصبهان فوثب عليه في طريقه نفر من الخراسانية الذين كانوا في خدمته فقتلوه في القيلولة خامس عشر رمضان سنة اثنتين وثلاثين، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان.

وعظم أمر هذه الفتنة، واختلفت الاحوال والمواسم، وانقطعت كسوة الكعبة في هذه السنة من دار الخلافة من قبل السلاطين، حتى قام بكسوتها تاجر فارسيّ من المتردّدين الى الهند، أنفق فيها ثمانية عشر ألف دينار مصرية، وكثر الهرج من العيّارين حتى ركب زعماؤهم الخيول وجمعوا الجموع، وتستّر الوالي ببغداد بلباس ابن أخيه سراويل الفتوة عن زعيمهم ليدخل في جملتهم، وحتى همّ زعيمهم بنقش اسمه في سكة بانبار فحاول الشحنة والوزير على

قتله فقتل، ونسب أمر العيارين الى البقش الشحنة لما أحدث من الظلم والعسف فقبض عليه السلطان مسعود وحبسه بتكريت عند مجاهد الدين بهروز، ثم أمر بقتله فقتل . ثم قدم السلطان مسعود في ربيع سنة ثلاث وثلاثين في الشتاء، وكان يشتي بالعراق ويصيف بالجبال . فلما قدم أزال المكوس وكتب بذلك في الالواح فنصبت في الاسواق وعلى أبواب الجامع ورفع عن العامّة نزول الجند عليهم فكثر الدعاء له والثناء عليه .

وزارة الخليفة

وفي سنة أربع وثلاثين وقع بين المقتفي ووزيره علي بن طراد الزينبي وحشة بما كان يعترض على المقتفي في أمره فخاف واستجار بالسلطان مسعود فأجاره، وشفع الى المقتفي في اعادته فامتنع وأسقط اسمه من الكتب، واستناب المقتفي ابن عمه قاضي القضاة والزينبي، ثم عزله واستناب شديد الدولة الانباري . ثم وصل السلطان الى بغداد سنة ست وثلاثين فوجد الوزير شرف الدين الزينبي في داره فبعث وزيره الى المقتفي شفيعاً في اطلاق سبيله الى بيته فأذن له انتهى .

الشحنة ببغداد

وفي سنة ست وثلاثين عزل مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد، وولي كزل أميراً آخر من مماليك السلطان محمود ؛ فكان على البصرة فأضيف اليه شحنكية بغداد، ولما وصل السلطان مسعود الى بغداد

ورأى تبسط العيارين وفسادهم أعاد بهروز شحنة، ولم ينتفع الناس بذلك لانّ العيارين كانوا يتمسكون بالجاه من أهل الدولة فلا يقدر بهروز على منعهم، وكان ابن الوزير وابن قاروت صهر السلطان يقاسمانهم فيما يأخذون من النهب. واتفق سنة ثمان وثمانين أنّ السلطان أرسل نائب الشحكية ووبخه على فساد العيارين فأخبره بشأن صهره وابن وزيره فأقسم ليصلبنه ان لم يصلبهما فأخذ خاتمه على ذلك، وقبض على صهره ابن قاروت فصلبه، وهرب ابن الوزير، وقبض على أكثر العيارين وافترقوا وكفى الناس شرّهم.

انتقاض الاعياص واستبداد الامراء على الامير مسعود وقتله اياهم

وفي سنة أربعين سار بوزابة صاحب فارس وخوزستان وعساكره الى قاشان ومعه الملك محمد ابن السلطان محمود، واتصل بهم الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد، ولقي بوزابة الامير عبّاس صاحب الريّ وتآمرا في الانتقاض على السلطان مسعود، وملكا كثيراً من بلاده فسار السلطان مسعود عن بغداد، ونزل بها الامير مهلهل والخادم مطر وجماعة من غلمان بهروز. وسار معه الامير عبد الرحمن طغرلبك، وكان حاجبه ومتحكماً في دولته، وكان هواه مع ذينك الملكين فسار السلطان وعبد الرحمن حتى تقارب العسكران فلقي سليمان شاه أخاه مسعوداً فحنق عليه، وجرى عبد الرحمن في الصلح بين الفريقين، وأضيفت وظيفة أذربيجان وأرمينية الى ما بيده.

وسار أبو الفتح بن هزارشب وزير السلطان مسعود ومعه وزير بوزابة فاستبدّوا على السلطان وحجروه عن التصرّف فيما يريده ، وكان بك أرسلان بن بلنكري المعروف بخاص بك خالصة للسلطان بما كان من تربيته فداخلوه واستولوا به على هوى السلطان بكل معنى . وكان صاحب خلخال وبعض أذربيجان فلما عظم تحكمه أسرّ السلطان الى خاص بك بقتل عبد الرحمن فدسّ ذلك الى جماعة من الامراء وقتلوه في موكبه، ضربه بعضهم بمقرعة حديد فسقط الى الارض ميتاً، وبلغ الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الريّ في عسكر أكثر من عسكره فامتعض لذلك فتلطف له السلطان، واستدعاه الى داره فلما انفرد عن غلمانه أمر به فقتل . وكان عباس من غلمان السلطان محمود وولي الريّ، وجاهد الباطنية وحسنت آثاره فيهم . وكان مقتله في ذي القعدة سنة احدى وأربعين . ثم حبس السلطان مسعود أخاه سليمان شاه بقلعة تكريت، وبلغ مقتل عباس الى بوزابة فجمع عساكره من فارس وخوزستان، وسار الى أصبهان فحاصرها، ثم سار الى السلطان مسعود والتقيا بمرج قراتكين فقتل بوزابة قيل بسهم أصابه، وقيل أخذ أسيراً وقتل صبراً وانهزمت عساكره الى همذان وخراسان .

انتقاض الامراء ثانية على السلطان

ولما قتل السلطان من قتل من أمرائه استخلص الامير خاص بك وأنفذ كلمته في الدولة، ورفع منزلته فحسده كثير من الامراء

وخافوا غائلته وساروا نحو العراق ـ وهم ايلدكر المسعودي صاحب كنجة وارانيه وقيصر والبقش كون صاحب أعمال الجبل ـ وقتل الحاجب وطرنطاي المحمودي شحنة واسط وابن طغايرك . ولما بلغوا حُلوان خاف الناس بأعمال العراق وعني المقتفي باصلاح السور، وبعث اليهم بالنهي عن القدوم فلم ينتهوا ووصلوا في ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعين، والملك محمد ابن السلطان محمود معهم، ونزلوا بالجانب الشرقي، وفارق مسعود جلال الشحنة ببغداد الى تكريت، ووصل اليهم عليّ بن دبيس صاحب الحلة، ونزل بالجانب الغربي . وجند المقتفي أجناداً وقتلوهم مع العامّة فكانوا يستطردون للعامّة والجند حتى يبعدوا، ثم يكرّون عليهم فيثخنوا فيهم . ثم كثر عيثهم ونهبهم . ثم اجتمعوا مقابل التاج وقبلوا الارض واعتذروا وتردّدت الرسل، ورحلوا الى النهروان .

وعاد مسعود جلال الشحنة من تكريت الى بغداد، وافترق هؤلاء الامراء وفارقوا العراق، والسلطان مع ذلك مقيم ببلد الجبل . وأرسل عمه سنجر الى الريّ سنة أربع وأربعين فبادر اليه مسعود وترضاه فأعتبه وقبل عذره . ثم جاءت سنة أربع وأربعين جماعة أخرى من الامراء وهم البقش كون والطرنطاي وابن دبيس وملك شاه ابن السلطان محمود فراسلوا المقتفي في الخطبة لملك شاه فلم يجبهم، وجمع العساكر وحصّن بغداد وكاتب السلطان مسعوداً بالوصول الى بغداد فشغله عمه سنجر الى الريّ . ولما علم البقش

مراسلة المقتفي الى مسعود نهب النهروان، وقبض على عليّ بن دبيس وهرب الطرنطاي الى النُعْمَانِيّة ووصل السلطان مسعود الى بغداد منتصف شوّال، ورحل البقش كون من النهروان وأطلق ابن دبيس .

وزارة المقتفي

وفي سنة أربع وأربعين استوزر المقتفي يحيي بن هبيرة، وكان صاحب ديوان الزمام، وظهرت منه كفاية في حصار بغداد فاستوزره المقتفي .

وفاة السلطان مسعود وملك ملك شاه ابن اخيه محمود

ثم توفي السلطان مسعود أوّل رجب سنة سبع وأربعين وخمسمائة، لاحدى وعشرين سنة من بيعته، وعشرين من عوده بعد منازعة اخوته . وكان خاص بك بن سلسكري متغلّباً على دولته فبايع لملك شاه ابن أخيه السلطان محمود، وخطب له بالسلطنة في همذان، وكان هذا السلطان مسعود آخر ملوك السلجوقيّة عن بغداد . وبعث السلطان ملك شاه الامير شكاركرد في عسكر الى الحلّة فدخلها، وسار اليه مسعود جلال الشحنة، وأظهر له الاتفاق . ثم قبض عليه وغرقه واستبدّ بالحلة . وأظهر المقتفي اليه العساكر مع الوزير عون الدولة والدين بن هبيرة فعبر الشحنة اليهم الفرات، وقاتلهم فانهزموا . وثار أهل الحلة بدعوة المقتفي ومنعوا الشحنة من الدخول فعاد الى تكريت .

ودخل ابن هبيرة الحلة، وبعث العساكر الى الكوفة وواسط فملكوها، وجاءت عساكر السلطان الى واسط فغلبوا عليها عسكر المقتفي فتجهز بنفسه، وانتزعها من ايديهم، وسار منها الى الحلة. ثم عاد الى بغداد في عشر ذي القعدة. ثم ان خاص بك المتغلّب على السلطان ملك شاه استوحش وتنكّر وأراد الاستبداد فبعث عن الملك محمد ابن السلطان محمد بخوزستان سنة ثمان وأربعين فبايعه أوّل صفر، وأهدى اليه وهو مضمر الفتك فسبقه السلطان محمد لذلك، وقتله ثاني يوم البيعة ايدغدى التركماني المعروف بشملة من أصحاب خاص بك، ونهاه عن دخوله الى السلطان محمد فلم يقبل. فلما قتل خاص بك نهب شملة عسكره، ولحق بخوزستان. وكان خاص بك صبياً من التركمان اتصل بالسلطان مسعود واستخلصه وقدّمه على سائر الامراء.

حروب المقتفي مع اهل الخلاف وحصار البلاد

ثم بعث المقتفي عساكره لحصار تكريت مع ابن الوزير عون الدين والامير ترشك من خواصه وغيرهما، ووقع بينه وبين ابن الوزير منافرة خشي لها ترشك على نفسه فصالح الشحنة صاحب تكريت، وقبض على ابن الوزير والامراء، وحبسهم صاحب تكريت وغرق كثير منهم. وسار ترشك والشحنة الى طريق خراسان فعاثوا فيها، وخرج المقتفي في اتباعهم فهربا بين يديه، ووصل تكريت وحاصرها أياماً. ثم رجع الى بغداد، وبعث سنة تسع وأربعين

بتكريت في ابن الوزير وغيره من المأسورين فقبض على الرسول فبعث اليهم عسكراً فامتنعوا عليه . فسار المقتفي بنفسه في صفر من سنته، وملك تكريت، وامتنعت عليه القلعة فحاصرها، ورجع في ربيع . ثم بعث الوزير عون الدين في العساكر لحصارها، واستكثر من الآلات، وضيق عليها .

ثم بلغه الخبر بأنّ شحنة مسعود وترشك وصلا في العساكر ومعهم الامير البقش كون وانهما استحثا الملك محمداً لقصد العراق فلم يتهيأ له فبعث هذا العسكر معهم، وانضاف اليهم خلق كثير من التركمان فسار المقتفي للقائهم . وبعث الشحنة مسعود عن ارسلان ابن السلطان طغرل بن محمد، وكان محبوساً بتكريت فأحضره عنده ليقاتل به المقتفي، والتقوا عند عقر بابل فتنازلوا ثمانية عشر يوماً، ثم تناجزوا آخر رجب فانهزمت ميمنة المقتفي الى بغداد، ونهبت خزائنه، وثبت هو واشتد القتال وانهزمت عساكر العجم، وظفر المقتفي بهم، وغنم أموال التركمان وسبى نساءهم وأولادهم . ولحق البقش كون ببلد المحلو وقلعة الماكين وأرسلان بن طغرل، ورجع المقتفي الى بغداد أوّل شعبان .

وقصد مسعود الشحنة وترشك بلد واسط للعيث فيها فبعث المقتفي الوزير ابن هبيرة في العساكر فهزمهم . ثم عاد فلقيه المقتفي سلطان العراق وارسلان بن طغرل، وبعث اليه السلطان محمد في احضاره عنده . ومات البقش في رمضان من سنته وبقي ارسلان

مع ابن البقش، وحسن الخازنداد فحملاه الى الجبل ثم سارا به الى الركن زوج أمّه، وهو أبو البهلوان وارسلان وطغرل الذي قتله خوارزم شاه، وكان آخر السلجوقية ثلاثتهم اخوة لأمّ . ثم سار المقتفي سنة خمسين الى دقوقا فحاصرها أياماً، ثم رجع عنها لانه بلغه انّ عسكر الموصل تجهز لمدافعته عنها فرحل .

استيلاء شملة على خوزستان

قد ذكرنا من قبل شأن شملة وأنه من التركمان، واسمه ايدغدي، وانه كان من أصحاب خاص بك التركماني، وهرب يوم قتل السُلطان محمد صاحبه خاص بك بعد أن حذره منه فلم يقبل، ونجا من الواقعة فجمع جموعاً وسار يريد خوزستان، وصاحبها يومئذ ملك شاه ابن السُلطان محمود بن محمد . وبعث المقتفي عساكره لذلك فلقيهم شملة في رجب وهزمهم وأسر وجوههم . ثم أطلقهم وبعث الى الخليفة يعتذر فقبل عذره، وسار الى خوزستان فملكها من يد ملك شاه ابن السلطان محمود .

اشارة الى بعض أخبار السلطان سنجر بخوزستان ومبدأ دولة بني خوارزم شاه

كان السلطان سنجر من ولد السلطان ملك شاه لصلبه، ولما استولى بركيارق بن ملك شاه على خوزستان سنة تسعين وأربعمائة من يد عمه أرسلان أرغون، كما نذكر في أخبارهم عند تفردها مستوفى، ولّى عليها أخاه سنجر، وولى على خوارزم محمد بن أنوش تكين من قبل الامير داود حبشي بن أليوساق . ثم لما ظهر السلطان

محمد ونازع بركيارق وتعاقبا في الملك، وكان سنجر شقيقاً لمحمد فولاه على خراسان، ولم يزل عليها . ولما اختلف أولاد محمد من بعده كان عقيد أمرهم وصاحب شوراهم اذ خلف له ببغداد مقدّماً اسمه على اسم سلطان العراق منهم سنة [1] ثم خرجت أمم الخطا من الترك من مفازة الصين وملكوا ما وراء النهر من يد الجابية ملوك تركستان سنة ست وثلاثين كما نذكر في أخبارهم.

وسار سنجر لمدافعتهم فهزموه فوهن لذلك فاستبدّ عليه خوارزم شاه بعض الشي . وكان الخلفاء لما ملكوا بلاد تركستان أزعجوا الغز عنها الى خراسان وهم بقية السلجوقية هناك . وأجاز السلجوقية لاوّل دولتهم الى خُراسان فملكوها، وبقي هؤلاء الغزّ بنواحي تركستان فأجازوا امام الخطا الى خراسان، وأقاموا السلطان بها حتى عتوا وبغوا . ثم كثر عيثهم وفسادهم وسار اليهم السلطان سنجر سنة ثمان وأربعين فهزموه واستولوا عليه وأسروه، وملكوا بلاد خراسان وافترق أمراؤه على النواحي. ثم ملكوه وهو أسير في أيديهم ذريعة لنهب البلاد واستولوا به على كثير منها، وهرب من أيديهم سنة احدى وخمسين ولم يقدر على مدافعتهم . ثم توفي سنة اثنتين وخمسين وافترقت بلاد خراسان على أمرائه كما يذكر في أخبارهم . ثم تغلب بنو خوارزم شاه عليها كلها وعلى أصبهان

---

(١) كذا بياض بالأصل وقد ذكر ابن الأثير في الكامل ج ٨ ص ٢٨٦ ، اخبار السلطان سنجر في حوادث سنة ٥١٣ .

والريّ من ورائها، وعلى أعمال غزنة من يد بني سبكتكين، وشاركهم فيها النور [1] بعض الشيعة وقام بنو خوارزم شاه مقام السلجوقية الى أن انقرضت دولتهم على يد جنكزخان ملك التتر من أمم الترك في أوائل المائة السابعة كما يذكر ذلك كله في اخبار كل منهم عندما نفردها بالذكر ان شاء الله تعالى .

الخطبة ببغداد لسليمان شاه ابن السلطان محمد وحروبه مع السلطان محمد بن محمود

كان سليمان بن محمد عند عمه سنجر بخراسان منذ أعوام، وقد جعله وليّ عهده، وخطب له بخراسان . فلما غلب الغُزّ على سنجر وأسروه تقدّم سليمان شاه على العساكر، ثم غلبتهم الغز فلحق بخوارزم شاه فصاهره أوّلا بابنة أخيه، ثم تنكر فسار الى اصبهان فمنعه شحنتها من الدخول فسار الى قاشان فبعث اليه السلطان محمد شاه بن محمود فقصد اللحف، ونزل على السيد محسن، وبعث الى المقتفي ليستأذنه في القدوم، وبعث زوجته وولده رهنا على الطاعة والمناصحة فأذن له، وقدم في خف من العساكر ثلثمائة أو نحوها، وأخرج الوزير عون الدين بن هبيرة ولده لتلقيه، ومعه قاضي القضاة والنقباء، ودخل وعلى رأسه الشمسية، وخلع عليه .

ولما كان المحرّم من سنة احدى وخمسين حضر عند المقتفي

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ٢٤١ : العسكر الغوري. وأما قوله بعض الشيعة فهم الإسماعيلية كما أورد ذلك ابن الأثير عندما ذكر حوادث بني خوارزم شاه.

بحضر قاضي القضاة وأعيان العبّاسيّين واستحلفه على الطاعة، وأن لا يتعرّض للعراق . ثم خطب له ببغداد وبلقب أبيه السلطان محمد، وبعث عسكراً نحو ثلاثة آلاف، واستقدم داود صاحب الحلة فجعل له أمر الحجابة، وسار نحو الجبل في ربيع . وسار المقتفي الى حُلوان، وسار الى ملك شاه بن محمود أخي سليمان صاحب خوزستان فاستحلفه لسليمان شاه وجعله ولي عهده، وأمدهما بالمال والأسلحة، وساروا الى همذان وأصبهان، وجاءهم المذكر صاحب بلاد أران فكثر جمعهم وبلغ خبرهم السلطان محمد بن محمود فبعث الى قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل، ونائبه زين الدين ليستنجدهما فأجاباه، وسار للقاء سليمان شاه، وأصحابه فالتقوا في جمادى، وانهزم سليمان شاه، وافترقت عساكره . وسار المذكر الى بلاده، وسار سليمان شاه الى بغداد، وسلك على شهرزور فاعترضه زين الدين علي كوجك نائب قطب الدين بالموصل، وكان مقطع شهرزور الامير بران من جهة زين الدين فاعترضاه وأخذاه أسيراً، وحمل زين الدين الى الموصل فحبسه بقلعتها وبعث الى السلطان محمد بالخبر .

حصار السلطان محمد بغداد

كان السلطان محمد قد بعث الى المقتفي في الخطبة له ببغداد فامتنع من اجابته، ثم بايع لعمه سليمان، وخطب له وكان ما قدّمناه من أمره معه . ثم سار السلطان محمد من همذان في العساكر

نحو العراق فقدم في ذي الحجة سنة احدى وخمسين، وجاءته عساكر الموصل مدداً من قبل قطب الدين ونائبه زين الدين، واضطربت الناس ببغداد، وأرسل المقتفي عن فضلوبواش صاحب واسط فجاء في عسكره، وملك مهلهل الحلة فاهتمّ ابن هبيرة بأمر الحصار، وجمع السفن تحت التاجي، وقطع الجسر، وأجفل الناس من الجانب الغربي، ونقلت الاموال الى حريم دار الخلافة. فرّق المقتفي السلاح في الجند والعامّة، ومكثوا أياماً يقتتلون ومدّ لسلطان جسراً على دجلة فعبر على الجانب الشرقي حتى كان القتال في الجانبين.

ونفدت الأقوات في العسكر، واشتدّ القتال والحصار على أهل بغداد لانقطاع الميرة والظهر [1] من عسكر الموصل، لأنّ نور الدين محمود بن زنكي وهو أخو قطب الدين الاكبر بعث الى زين الدين يلومه على قتال الخليفة. ثم بلغ السلطان محمداً ان أخاه ملك شاه والمذكر صاحب بلاد أران، وارسلان ابن الملك طغرل ابن محمد ساروا الى همذان وملكوها فارتحل عن بغداد في آخر ربيع سنة اثنتين وخمسين. وسار الى همذان، وعاد زين الدين كوجك الى الموصل.

ولما قصد السلطان محمد همذان سار ملك شاه والمذكر ومن معهما الى الريّ فقاتلهم شحنتها آبنايخ وهزموه، وأمدّه السلطان

(١) الركاب التي تحمل الأثقال.

محمد بالامير سقمان بن قيماز فسار لذلك ولقيهما منصرفين عن الريّ قاصدين بغداد فقاتلهما، وانهزم أمامهما فسار السلطان في اثرهما الى خوزستان، فلما انتهى الى حُلوان جاءه الخبر بأن المذكر بالدينور، وبعث اليه ابنايخ بأنه استولى على همذان وأعاد خطبته فيها فافترقت جموع ملك شاه والمذكر، وفارقهم شملة صاحب خوزستان فعادوا هاربين الى بلادهم، وعاد السلطان محمد الى همذان .

حروب المقتفي مع اهل النواحي

كان سنقر الهمذاني صاحب اللحف، وكان في هذه الفتنة قد نهب سواد بغداد وطريق خراسان فسار المقتفي لحربه في جمادى سنة ثلاث وخمسين، وضمن له الامير خطلو برس اصلاحه فسار اليه خاله، على ان يشرك المقتفي معه في بلد اللحف الامير ازغش المسترشدي فأقطعها لهما جميعا ورجع . ثم عاد سنقر على ازغش وأخرجه، وانفرد ببلده، وخطب للسلطان محمد فسار اليه خطلو برس من بغداد في العساكر وهزمه، وملك اللحف، وسار سنقر الى قلعة الماهكي للأمير قايماز العميدي، ونزلها في اربعمائة ألف فارس .

ثم سار اليه سنقر سنة أربع وخمسين فهزمه، ورجع الى بغداد فخرج المقتفي الى النُّعْمانيّة، وبعث العساكر مع ترشك فهرب سنقر في الجبال، ونهب ترشك مخلفه، وحاصر قلعة الماهكي . ثم عاد الى البندنجين وبعث بالخبر إلى بغداد، ولحق سنقر بملك شاه

فأمدّه بخمسمائة فارس، وبعث ترشك الى المقتفي في المدد فأمدّه وبعث اليه سنقر في الاصلاح فحبس رسوله، وسار اليه فهزمه، واستباح عسكره ونجا سنقر جريحاً الى بلاد العجم فأقام بها . ثم جاء بها سنة أربع وخمسين الى بغداد، وألقى نفسه تحت التاج فرضي عنه المقتفي، وأذن له في دخول دار الخلافة . ثم زحف الى قايماز السلطان في ناحية بادرايا سنة ثلاث وخمسين فهزمه وقتله، وبعث المقتفي عساكره لقتال شمله فلحق بملك شاه .

وفاة السلطان محمد بن محمود وملك عمه سلطان شاه ثم ارسلان بن طغرل

ثم إنّ السلطان محمد بن محمود بن ملك شاه لما رجع عن حصار بغداد أصابه مرض السل وطال به، وتوفي بهمذان في ذي الحجة سنة أربع وخمسين لسبع سنين ونصف من ملكه، وكان له ولد تميّش من طاعة الناس له، ودفعه لاقسنقر الأحمديلي، وأوصاه عليه فرحل به الى مراغة . ولما مات السلطان محمد اختلف الأمر فيمن يولونه، ومال الاكثر الى سليمان شاه عمه وطائفة الى ملك شاه أخيه، وطائفة الى أرسلان بن السلطان طغرل الذي مع الدكز ببلاد أران . وبادر ملكشاه أخوه فسار من خوزستان ومعه شملة التركماني ودكلا صاحب فارس، ورحل الى أصبهان فأطاعه ابن الخجندي وأنفق عليه الاموال . وبعث الى عساكر همذان في الطاعة فلم يجيبوه، وأرسل أكابر الامراء من همذان الى قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل في سليمان شاه المحبوس

عنده ليولوه عليهم ، وذلك أوّل سنة خمس وخمسين فأطلقه على أن يكون اتابكا له وجمال الدين وزيره وزيراً، وجهزه بجهاز السلطنة ، وبعث معه نائبه زين الدين علي كوجك في عسكر الموصل . فلما قاربوا بلاد الجبل وأقبلت العساكر من كل جهة على السلطان سليمان ارتاب كوجك لذلك، وعاد الى الموصل فلم ينتظم أمر سليمان، ودخل همذان وبايعوا له وخطب له ببغداد .

وكثرت جموع ملك شاه باصبهان وبعث الى بغداد في الخطبة، وان يقطع خطبة عمه ويراجع القواعد بالعراق الى ما كانت فوضع عليه الوزير عون الدين بن هبيرة جارية بعث بها اليه فسمته ، فمات سنة خمس وخمسين ، فأخرج أهل اصبهان أصحابه ، وخطبوا لسليمان شاه . وعاد شملة الى خراسان فملك كل ما كان ملك شاه تغلب عليه منها . واستقرّ سليمان شاه بتلك البلاد ، وشغل باللهو والسكر ومنادمة الصفاعين ، وفوّض الامور الى شرف الدين دواداره من مشايخ السلجوقية، كان ذا دين وعقل وحسن تربية فشكا الامراء اليه فدخل عليه وعذله وهو سكران فأمر الصفاعين بالردّ عليه، وخرج مغضباً . وصحا سليمان فاستدرك أمره بالاعتذار فأظهر القبول، واجتنب الحضور عنده . وبعث سليمان الى ابنايخ صاحب الريّ يستقدمه فاعتذر بالمرض الى ان يفيق .

ونمي الخبر الى كربازه الخادم فعمل دعوة عظيمة حضرها السلطان والامراء وقبض عليه وعلى وزيره أبي القاسم محمود بن

عبد العزيز الحامدي، وعلى أصحابه في شوّال من سنة ست وخمسين فقتل وزيره وخواصه وحبسه أياماً .

وخرج ابنايخ صاحب الريّ، ونهب البلاد وحاصر همذان وبعث كردباز الى الدكز يستدعيه ليبايع لربيبه أرسلان شاه بن طغرل فسار في عشرين ألف فارس، ودخل همذان، وخطب لربيبه ارسلانشاه ابن طغرل بالسلطنة وجعل الدكز اتابكا له، وأخاه من أمه البهلول ابن الدكز حاجباً . وبعث الى المقتفي في الخطبـة، وان تعاد الامور الى ما كانت عليه أيام السلطان مسعود فطرد رسوله وعاد اليه على أقبح حالة . وبعث الى ابنايخ صاحب الريّ فحالفه على الاتفاق، وصاهره في ابنتـه على البهلول، وجاءت اليه بهمذان وكان الدكز من مماليك السلطان مسعود، وأقطعه أران وبعض أذربيجان، ولم يحضر شيأ من الفتنة، وتزوّج أم ارسلان شاه وزوّجه طغرل فولدت له محمد البهلوان، وعثمان كزل ارسلان . ثم بعث الدكز الى اقسنقر الاحمديلي صاحب مراغة في الطاعة لارسلان شاه ربيبه فأمتنع وهدّدهم بالبيعة للطفل الذي عنده محمود بن ملك شاه. وقد كان الوزير ابن هبيرة أطمعه في الخطبة لذلك لطفل فيما بينهم فجهز الدكز العساكر مع ابنه البهلوان وسار الى مراغة، واستمد اقسنقر ساهرمز صاحب خلاط فأمدّه بالعساكر ، والتقى اقسنقر والبهلوان فانهزم البهلوان وعاد الى همذان . وعاد اقسنقر الى مراغة ظافراً .

وكان ملك شاه بن محمود لما مات باصبهان مسموماً كما ذكرنا لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس، ومعه ابنه محمود فقبض عليه صاحب فارس زنكي بن دكلا السلفري بقلعة اصطخر . ولما مات بعث الدكز الى بغداد في الخطبة لربيبه أرسلان، وشرع الوزير عون الدين أبو المظفر يحيى بن هبيرة في التصريف بينهم بعث ابن دكلا وأطمعه في الخطبة لمحمود بن ملك شاه الذي عنده ان ظفر بالدكز فأطلقه ابن دكلا، وبايع له، وضرب الطبل على بابه خمس نوب، وبعث الى ابنايخ صاحب الريّ فوافقه، وسار اليه في عشرة آلاف . وبعث اليه اقسنقر الاحمديلي، وجمع الدكز العساكر، وسار الى اصبهان يريد بلاد فارس . وبعث الى صاحبها زنكي بن دكلا في الطاعة لربيبه أرسلان فأبى، وقال انّ المقتفي أقطعني بلاده وأنا سائر اليه . واستمد المقتفي وابن هبيرة فواعدوه وكاتبوا الامراء الذين مع الدكز بالتوبيخ على طاعته والانحراف عنه الى زنكي بن دكلا صاحب فارس، وابنايخ صاحب الريّ وبدأ الدكز بقصد ابنايخ . ثم بلغه أنّ زنكي بن دكلا نهب سميرم ونواحيها فبعث عسكراً نحواً من عشرة آلاف فارس لحفظها فلقيهم زنكي فهزمهم، فبعث الدكز الى عساكر أذربيجان فجاء بها ابنه كزل ارسلان . وبعث زنكي بن دكلا العساكر الى ابنايخ ولم يحضر بنفسه خوفاً على بلاد شملة من صاحب خوزستان . ثم التقى الدكز وابنايخ في شعبان سنة ست وخمسين فانهزم ابنايخ واستبيح عسكره، وحاصره

الدكز ثم صالحه ورجع الى همذان .

وفاة المقتفي وخلافة المستنجد، وهو أول الخلفاء المستبدين على أمرهم من بني العباس، عند تراجع الدولة وضيق نطاقها ما بين الموصل وواسط والبصرة وحلوان

ثم توفي المقتفي لامر الله أبو عبد الله محمد بن المستظهر في ربيع الاوّل سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة وأربعة أشهر من خلافته، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان يكون معه من أوّل أيام الديلم فحكم على عسكره وأصحابه فيما بقي لمملكتهم من البلدان بعد استبداد الملوك في الاعمال والنواحي. ولما اشتدّ مرضه تطاول كل من أم وُلده الى ولاية ابنها . وكانت أم المستنجد تخاف عليه، وأمّ أخيه علي تروم ولاية ابنها، واعتزمت على قتل المستنجد، واستدعته لزيارة أبيه وقد جمعت جواريها وآتت كل واحدة منهنّ سكيناً لقتله، وأمسكت هي وابنها سيفين وبلغ الخبر الى يوسف المستنجد فأحضر استاذ دار أبيه، وجماعة من الفراشين، وأفرغ السلاح ودخل معهم الدار وثار به الجواري فضرب احداهنّ وأمكنها فهربوا وقبض على أخيه علي وأمه فحبسها وقسم الجواري بين القتل والتغريق، حتى اذا توفي المقتفي جلس للبيعة فبايعه أقاربه أولهم عمه أبو طالب، ثم الوزير عون الدين بن هبيرة وقاضي القضاة وارباب الدولة والعلماء وخطب له . وأقرّ ابن هبيرة على الوزارة واصحاب الولايات على ولايتهم؛ وأزال المكوس والضرائب، وقرب رئيس الرؤساء وكان استاذدار

فرفع منزلته عبد الواحد المقتفي، وبعث عن الامير ترشك سنة ست وخمسين من بلد اللحف، وكان مقتطعاً بها فاستدعاه لقتال جمع من التركمان أفسدوا في نواحي البندنجين فامتنع من المجيء وقال : يأتيني العسكر وأنا اقاتل بهم، فبعث المستنجد العساكر مع جماعة من الامراء فقتلوه، وبعثوا برأسه الى بغداد. ثم استولى بعد ذلك على قلعة الماهكي من يد مولى سنقر الهمذاني، ولاه عليها سنقر وضعف عن مقاومة التركمان والاكراد حولها فاستنزله المستنجد عنها بخمسة عشر ألف دينار، وأقام ببغداد. وكانت هذه القلعة أيام المقتدر بأيدي التركمان والاكراد.

فتنة خفاجة

اجتمعت خفاجة سنة ست وخمسين الى الحلة والكوفة، وطالبوا برسومهم من الطعام والتمر، وكان مقطع الكوفة أرغش، وشِحْنَة الحِلّة قيصر، وهما من مماليك المُسْتَنْجِد فمنعوهما فعاثوا في تلك البلاد والنواحي فخرجوا اليهم في أثرهم، واتبعوهم الى الرَحَبَةِ فطلبوا الصلح فلم يجبهم أرغش ولا قيصر فقاتلوهم فانهزمت العساكر، وقتل قيصر، وخرج أرغش، ودخل الرحبة فاستأمن له شحنتها وبعثوه الى بغداد. ومات أكثر الناس عطشاً في البرية وتجهّز عون الدين بن هُبَيْرَة في العساكر لطلب خفاجة فدخلوا البرية ورجع، وانتهت خفاجة الى البصرة وبعثوا بالعدّو وسألوا الصلح فأجيبوا.

اجلاء بني اسد من العراق

كان في نفس المستنجد بالله من بني أسد أهل الحلة شيء لفسادهم ومساعدتهم السلطان محمد في الحصار، فأمر يزدن بن قاج باجلائهم من البلاد، وكانوا منبسطين في البطائح فجمع العساكر وأرسل الى ابن معروف فقدّم السفن، وهو بأرض البصرة فجاءه في جموع، وحاصرهم وطاولهم فبعث المستنجد يعاتبه ويتهمه بالتشيّع فجز هو وابن معروف في قتالهم، وسدّ مسالكهم في الماء فاستسلموا، وقتل منهم أربعة آلاف، ونودي عليهم بالملا من الحلة فتفرقوا في البلاد، ولم يبق بالعراق منهم أحد وسلمت بطائحهم وبلادهم الى ابن معروف .

الفتنة بواسط وما جرت اليه

كان مقتطع البصرة منكيرس من موالي المُستَنجِد، وقتله سنة تسع وخمسين، وولّى مكانة كَمَشتكين، وكان ابن سنكاه ابن أخي شَمْلَةَ صاحب خوزستان فانتهز الفرصة في البصرة، ونهب قراها، وأمر كمستكين بقتاله فعجز عن اقامة العسكر، وأصعد ابن سنكاه الى واسط ونهب سوادها . وكان مقتطعها خطلو برس، فجمع الجموع وخرج لقتاله واستمال ابن سنكاه الامراء الذين معه فخذلوه، وانهزم وقتله ابن سنكاه سنة احدى وستين ثم قصد البصرة سنة اثنتين وستين، ونهب جهتها الشرقية، وخرج اليه كمستكين وواقعه، وسار ابن سنكاه الى واسط، وخافه

الناس ولم يصل اليها .

مسير شملة الى العراق

سار شملة صاحب خوزستان الى العراق سنة اثنتين وستين، وانتهى الى قلعة الماهكي، وطلب من المستنجد إقطاع البلاد، واشتطَّ في الطلب فبعث المستنجد العساكر لمنعه، وكتب اليه يحذره عاقبة الخلاف فاعتذر بأن الدكز وربيبه السلطان أرسلان شاه اقطعا الملك الذي عناه ، وهو ابن ملك شاه ، بلاد البصرة وواسط والحلة، وعرض للتوقيع بذلك، وقال أنا أقنع بالثلث منه فأمر المستنجد حينئذ بلعنه، وانه من الخوارج، وتعبَّت العسَاكر الى ارغمش المسترشدي بالنُعمانية والى شرف الدين أبي جعفر البلدي ناظر واسط ليجتمعا على قتال شملة، وكان شملة أرسل مليح ابن اخيه في عسكر لقتال بعض الاكراد فركب اليه أرغمش، وأسره وبعض أصحابه، وبعث الى بغداد وطلب شملة الصلح فلم يجب اليه . ثم مات أرغمش من سقطة سقطها عن فرسه، وبقي العسكر مقيماً ورجع شملة الى بلاده لاربعة أشهر من سفره .

وفاة الوزير يحيى

ثم توفي الوزير عون الدين يحيى بن محمد بن المظفر بن هبيرة سنة ستين وخمسمائة في جمادى الاولى، وقبض المستنجد على أولاده وأهله، وأقامت الوزارة بالنيابة . ثم استوزر المستنجد سنة ثلاث وستين شرف الدين أبا جعفر احمد بن محمد بن سعيد المعروف بابن

البلدي ناظر واسط، وكان عضد الدين أبو الفرج بن دبيس قد تحكم في الدولة فامره المستنجد بكف يده وأيدي أصحابه، وطالب الوزير أخاه تاج الدين بحساب عمله بنهر الملك من أيام المقتفي، وكذلك فعل بغيره فخافه العمال وأهل الدولة وحصل بذلك أموالا جمة.

وفاة المستنجد وخلافة المستضيء

كان الخليفة المستنجد قد غلب على دولته استاذدار عضد الدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء، وكان اكبر الامراء ببغداد، وكان يرادفه قطب الدين قايماز المظفري. ولما ولّى المستنجد أبا جعفر البلدي على وزارته غصّ من استاذدار وعارضه في احكامه فاستحكمت بينهما العداوة، وتنكر المستنجد لاستاذدار وصاحبه قطب الدين فكانا يتهمان بأن ذلك بسماية الوزير. ومرض المستنجد سنة ست وستين وخمسمائة واشتدّ مرضه فتحيلا في اهلاكه، يقال انهما واضعا [(1)] عليه الطبيب، وعلم انّ هلاكه في الحمام فأشار عليه بدخوله فدخله، وأغلقوا عليه بابه فمات. وقيل كتب المستنجد الى الوزير ابن البلدي بالقبض على استاذدار وقايماز وقتلهما، وأطلعهما الوزير على كتابه فاستدعيا يزدن وأخاه يتماش وفاوضهما، وعرضا عليهم كتابه، واتفقوا على قتله فحملوه الى الحمام وأغلقوا عليه

(١) واضعه في الأمر: وافقه فيه. تقول: «هلم أواضعك الرأى» أي اطلعك على رأيي وتطلعني على رأيك.

الباب وهو يصيح الى ان مات تاسع ربيع من سنة ست وستين لاحدى عشرة سنة من خلافته .

ولما أرجف بموته قبل أن يقبض ركب الامراء والاجناد متسلحين، وغشيتهم العامة واحتفت بهم، وبعث اليه استاذدار بأنه انما كان [1] غَشْياً عرضاً، وقد أفاق أمير المؤمنين وخف ما به فخشي الوزير من دخول الجند الى دار الخلافة فعاد الى داره وافترق الناس . فعند ذلك أغلق استاذدار وقايماز أبواب الدار وأحضر ابن المستنجد أبا محمد الحسن ، وبايعاه بالخلافة، ولقباه المستضيء بأمر الله، وشرطا عليه أن يكون عضد الدين وزيراً وابنه كمال الدين استاذدار وقطب قايماز أمير العسكر فأجابهم الى ذلك، وبايعه أهل بيته البيعة الخاصة . ثم توفي المستنجد وبايعه الناس من الغد في التاج البيعة العامة، وأظهر العدل وبذل الاموال، وسقط في يد الوزير وندم على ما فرط، واستدعي للبيعة فلما دخل قتلوه . وقبض المستضيء على القاضي ابن مزاحم وكان ظلوماً جائراً واستصفاه وردّ الظلامات منه على أربابها، وولى أبا بكر ابن نصر بن العطّار صاحب المخزن ولقبه ظهير الدين .

انتقاض الدولة العلوية بمصر وعود الدعوة العباسية اليها

ولاول خلافة المستضيء كان انقراض الدولة العلوية بمصر، والخطبة بها للمستضيء من بني العباس في شهر المحرم فاتح سنة

(١) نابه ما غشى فهمه.

سبع وستين وخمسمائة قبل عاشوراء، وكان آخر الخلفاء العُبَيْدِيّين بها العاضد لدين الله من أعقاب الحافظ لدين الله عبد المجيد، وخافوا المستضيء معه ثامن خلفائهم، وكان مغلباً لوزارته. واستولى شاور منهم وثقلت وطأته عليهم فاستقدم ابن شوار من أهل الدولة من الاسكندرية، وفرّ شاور الى الشام مستنجداً بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي من اقسنقر، وكان من مماليك السلجوقية وأمرائهم المقيمين للدعوة العباسية. وكان صلاح الدين يوسف بن نجم أيوب بن (١) الكردي هو وأبوه نجم الدين أيوب وعمه أسد الدين شيركوه في جماعة من الاكراد في خدمة نور الدين محمود بالشام. فلما جاء شاور مستنجداً بعث معه هؤلاء الأمراء الأيوبية وكبيرهم أسد فأعاده الى وزارته، وقتل الضرغام، ولم يوف له شاور بما ضمن له عند مسيره من الشام في نجدته. وكان الفرنج قد ملكوا سواحل مصر والشام وزاحموا ما يليها من الاعمال، وضيّقوا على مصر والقاهرة الى ان ملكوا بلبيس وأيله عند العقبة. واستولوا على الدولة العلوية في الضرائب والطلبات، وأصبحوا مأوى لمن ينحني عن الدولة. وداخلهم شاور في مثل ذلك فارتاب به العاضد، وبعث عز الدين مستصرخاً به على الفرنج في ظاهر أمره، ويسرحون في ارتماء (٢) من ابادة شاور والتمكن

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٥ : صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذي.

(٢) كذا بالأصل عبارة غير مفهومة ولم نهتد إلى تصويبها في المراجع التي بين أيدينا.

منه فوصل لذلك وولاه العاضد وزارته وقلده ما وراء بابه فقتل الوزير شاور، وحسم داءه، وكان مهلكه قريباً من وزارته، يقال لسنة ويقال لخمسين يوماً فاستوزر العاضد مكانه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين فقام بالامر، وأخذ في اصلاح الاحوال وهو يعدّ نفسه وعمه من قِبَله نائباً عن نور الدين محمود بن زنكي الذي بعثه وعمه للقيام بذلك .

ولما ثبّت قدمه بمصر وأزال المخالفين ضعف أمر العاضد، وتحكم صلاح الدين في اموره، وأقام خادمه قراقوش للولاية عليه في قصره والتحكم عليه فبعث اليه نور الدين محمود الملك العادل بالشام أن يقطع الخطبة للعاضد، ويخطب للمستضيء ففعل ذلك على توقع النكير من أهل مصر . فلما وقع ذلك ظهر منه الاغتباط وانمحت آثار الدولة العلويّة، وتمكنت الدولة العباسية فكان ذلك مبدأ الدولة لبني أيوب بمصر . ثم ملكوا من بعدها اعمال نور الدين بالشام واستضافوا اليمن وطرابلس الغرب واتسع ملكهم كما يذكر في أخبارهم . ولما خطب للمستضيء بمصر كتب له نور الدين محمود من دمشق مبشراً بذلك فضربت البشائر ببغداد، وبعث بالخلع الى نور الدين وصلاح الدين مع عماد الدين صندل من خواص المقتفوية، وهو استاذ دار المستضيء فجاء الى نور الدين بدمشق، وبعث الخلع الى صلاح الدين وللخطباء بمصر وباسلام السواد . واستقرّت الدعوة العباسية بمصر الى هذا العهد والله وارث الارض

ومن عليها وهو خير الوارثين .

ثم بعث نور الدين محمود الى المستضيء رسوله القاضي كمال الدين أبا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري قاضي بلاده يطلب التقليد لما بيده من الاعمال، وهي مصر والشام والجزيرة والموصل، وبما هو في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم التي لقليج ارسلان، وان يُقطَع صريفين ودرب هارون من بلاد سواد العراق كما كانتا لابيه فأكرم الرسول وزاد في الاحسان اليه وكتب له بذلك .

خبر يزدن من امراء المستضيء

كان يزدن قد ولاه المستضيء الحلة فكانت في أعماله، وكانت حمايتها لخفاجة وبني حزن منهم فجعلها يزدن لبني كعب منهم، وأمرهم الغضبان فغضب بنو حزن، وأغاروا عليهم على السواد، وخرج يزدن في العسكر لقتالهم، ومعه الغضبان وعشيرة بنو كعب فبينما هم ليلة يسيرون رُميَ الغضبان بسهم فمات، فعادت العساكر الى بغداد، وأعيدت حفاظة السواد الى بني حزن . ثم مات يزدن سنة ثمان وستين، وكانت واسط من اقطاعه فاقتطعت لاخيه ايتامش ولقب علاء الدين .

مقتل سنكاه بن احمد اخي شملة

قد ذكرنا في دولة المستنجد فتنة سِنكاه هذا، وعمه شملة صاحب خوزستان . ثم جاء ابن سنكاه الى قلعة الماهكي فبنى بازائها

قلعة ليتمكن بها من تلك الاعمال، فبعث المستضيء العسكر من بغداد لمنعه فقاتلهم واشتدّ قتاله. ثم انهزم وقتل، وعلق رأسه ببغداد وهدمت القلعة.

وفاة قايماز وهربه

قد ذكرنا شأن قطب الدين قايماز وانه الذي بايع للمُستضيء وجعله امير العسكر، وجعله عضدالدين أبو الفرج ابن رئيس الرؤساء وزيراً. ثم استفحل أمر قايماز وغلب على الدولة، وحمل المستضيء على عزل عضد الدين أبي الفرج من الوزارة، فلم يمكنه مخالفته، وعزله سنة سبع وستين فأقام معزولا. وأراد الخليفة سنة تسع وتسعين ان يعيده الى الوزارة فمنعه قطب الدين من ذلك، وركب فأغلق المستضيء ابواب داره مما يلي بغداد، وبعث الى قايماز ولاطفه بالرجوع فيما هم من وزارة عضد الدين فقال لا بدّ من اخراجه من بغداد فاستجار برباط شيخ الشيوخ صدر الدين عبد الرحيم ابن اسماعيل فأجاره، واستطال قايماز على الدولة وأصهر على علاء الدين يتامش في أخته فزوجها منه وحملوا الدولة جميعاً.

ثم سخط [1] قايماز ظهير الدين بن العطار صاحب المخزن وكان خاصاً بالخليفة، وطلبه فهرب فاحرق داره وجمع الامراء فاستحلفهم على المظاهرة وأن يقصدوا دار المستضيء ليخرجوا منها ابن العطار، فقصد المستضيء على سطح داره وخدّامه يستغيثون، ونادى في

(١) يقال! سخطه وسخط عليه.

العامة بطلب قايماز، ونهب داره فهرب من ظهر بيته، ونهبت داره وأخذ منها ما لا يحصى من الاموال. واقتتل العامة على [1] ولحق قايماز بالحلة وتبعه الامراء، وبعث اليه المستضيء شيخ الشيوخ عبد الرحيم ليسير عن الحلة الى الموصل تخوفاً من عوده الى بغداد فيعود استيلاؤه لمحبة العامة فيه، وطاعتهم له، فسار الى الموصل وأصابه ومن معه في الطريق عطش فهلك الكثير منهم، وذلك في ذي الحجة من سنة سبعين. وأقام صهره علاء الدين يتامش بالموصل. ثم استأذن الخليفة في القدوم الى بغداد فقدم، وأقام بها عاطلاً بغير اقطاع، وهو الذي حمل قايماز على ما كان منه، وولى الخليفة استاذ داره سنجر المقتفوي، ثم عزله سنة احدى وسبعين وولى مكانه أبا الفضل هبة الله بن علي بن الصاحب.

فتنة صاحب خوزستان

قد ذكرنا أن ملك شاه بن محمود بن السلطان محمد استقر بخوزستان، وذكرنا فتنة شملة مع الخلفاء. ثم مات شملة سنة سبعين وملك ابنه مكانه. ثم مات ملك شاه بن محمود وبقي ابنه بخوزستان فجاء سنة اثنتين وسبعين الى العراق، وخرج الى البندنجين، وعاث في الناس. وخرج الوزير عضد الدين أبو الفرج في العساكر، ووصل عسكر الحلة وواسط مع طاش تكين امير

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ٩ ص ١٣٤ ؛ فقصد الخلق كلهم دار قطب الدين للنهب فلم يمكنه المقام لضيق الشوارع وغلبه العامة فهرب من داره من باب فتحه في ظهرها لكثرة الخلق على بابها وخرج من بغداد ونهبت داره.

الحاج وغز علي، وساروا للقاء العدو وكان معه جموع من التركمان فاجفلوا ونهبتهم عساكر بغداد . ثم ردهم الملك ابن ملك شاه وأوقعوا بالعسكر أياماً، ثم مضى الملك الى مكانه وعادت العساكر الى بغداد .

مقتل الوزير

قد ذكرنا أخبار الوزير عضد الدين أبي الفرج محمد بن عبدالله ابن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة، كان أبوه استاذ دار المقتفي . ولما مات ولي ابنه مكانه . ولما مات المقتفي أقره المستنجد ورفع قدره، ثم استوزره المستضيء وكان بينه وبين قايماز ما قدّمناه، وأعاده المستضيء للوزارة فلما كانت سنة ثلاث وسبعين استأذن المستضيء في الحج فأذن له، وعبر دجلة فسافر في موكب عظيم من أرباب المناصب، واعترضه متظلِّم ينادي بظلامته، ثم طعنه فسقط، وجاء ابن المعوذ صاحب الباب ليكشف خبره فطعن الآخر، وحملا الى بيتهما فماتا . وولي الوزير ظهير الدين أبو منصور ابن نصر، ويعرف بابن العطار فاستولى على الدولة وتحكم فيها .

وفاة المستضيء وخلافة الناصر

ثم توفي المستضيء بأمر الله أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد في ذي القعدة سنة خمس وسبعين لتسع سنين ونصف من خلافته، وقام ظهير الدين العطار في البيعة لابنه أبي العباس أحمد ولقبه

الناصر لدين الله فقام بخلافته، وقبض على ظهير الدين بن العطار وحبسه واستصفاه. ثم أخرجه من عشر ذي القعدة من محبسه ميتاً. وفطن به العامّة. فتناوله العامة وبعثوا به، وتحكم في الدولة استاذ دار مجد الدين أبو الفضل بن الصاحب، وكان تولى أخذ البيعة للناصر مع ابن العطار، وبعث الرسل الى الآفاق لاخذ البيعة. وسار صدر الدين شيخ الشيوخ الى البهلوان صاحب همذان وأصبهان والريّ فامتنع من البيعة فأغلظ له صدر الدين في القول. وحرض أصحابه على نقض طاعته ان لم يبايع فاضطر الى البيعة والخطبة. ثم قبض سنة ثلاث وثمانين على استاذ دار أبي الفضل ابن الصاحب وقتله من أجل تحكمه، وأخذ له أموالًا عظيمة. وكان الساعي فيه عند الناصر عبيد الله بن يونس من أصحابه وصنائعه فلم يزل يسعى فيه عند الناصر حتى أمر بقتله، واستوزر ابن يونس هذا ولقبه جلال الدين وكنيته أبو المظفر، ومشى أرباب الدولة في خدمته حتى قاضي القضاة.

هدم دار السلطنة ببغداد وانقراض ملوك السلجوقية

قد ذكرنا فيما تقدّم ملك ارسلان شاه بن طغرل ربيب الدكز، واستيلاء الدكز عليه وحروبه مع ابنايخ صاحب الري. ثم قتله سنة أربع وستين واستولى على الري. ثم توفي الدكز الاتابك بهمذان سنة ثمان وستين، وقام مكانه ابنه محمد البهلوان، وبقي أخوه السلطان أرسلان بن طغرل في كفالته. ثم مات سنة ثلاث

وستين ونصب البهلوان مكانه ابنه طغرل . ثم توفي البهلوان سنة اثنتين وثمانين، وفي مملكته همذان والري وأصبهان وأذْرَبيْجان وأرانيه وغيرها، وفي كفالته السلطان طغرل بن أرسلان . ولما مات البهلوان قام مكانه أخوه كزل أرسلان ويسمى عثمان فاستبد طغرل وخرج عن الكفالة، ولحق به جماعة من الامراء والجند، واستولى على بعض البلاد ووقعت بينه وبين كزل حروب . ثم قوي أمر طغرل وكثر جمعه، وبعث كزل الى الناصر يحذره من طغرل ويستنجده، ويبذل الطاعة على ما يختاره المستضيء رسوله فأمر بعمارة دار السلطنة ليسكنها . وكانت ولايتهم ببغداد والعراق قد انقطعت منذ أيام المقتفي فأكرم رسول كزل ووعده بالنجدة، وانصرف رسول طغرل بغير حرب . وأمر الناصر بهدم دار السلطنة ببغداد فمحا أثرها . ثم بعث الناصر وزيره جلال الدين أبا المظفر عبيد الله بن يونس في العساكر لانجاد كزل ومدافعة طغرل عن البلاد فسار لذلك في صفر لسنة أربع وثمانين، واعترضهم طغرل على همذان قبل اجتماعهم بكزل، واقتتلوا ثامن ربيع، وانهزمت عساكر بغداد، وأسروا الوزير . ثم استولى كزل على طغرل وحبسه ببعض القلاع، ودانت له البلاد وخطب لنفسه بالسلطنة، وضرب النوب الخمس. ثم قتل على فراشه سنة سبع وثمانين ولم يعلم قاتله .

استيلاء الناصر على النواحي

توفي الامير عيسى صاحب تكريت سنة خمس وثمانين قتله

اخوته فبعث الناصر العساكر فحصروها حتى فتحوها على الامان، وجاؤا باخوة عيسى الى بغداد فسكنوها وأقطع لهم السلطان. ثم بعث سنة خمس وثمانين عساكره الى مدينة غانة فحاصروها مدّة وقاتلوها طويلاً. ثم جهدهم الحصار فنزلوا عنها على الامان واقطاع عيونها ووفى لهم الناصر بذلك.

نهب العرب البصرة

كانت البصرة في ولاية طغرل مملوك الناصر، كان مُقْطِعَها واستناب بها محمد بن اسماعيل، واجتمع بنو عامر بن صَعْصَعَة سنة ثمان وثمانين، وأميرهم عُمَيْرَةُ قصدوا البصرة للنهب والعيث. وخرج اليهم محمد ابن اسماعيل في صفر فقاتلهم سائر يومه. ثم ثلموا في الليل ثلماً في السور ودخلوا البلد، وعاثوا فيها قتلاً ونهباً. ثم بلغ بني عامر أن خفاجة والمشفق ساروا لقتالهم فرحلوا اليهم وقاتلوهم فهزموهم، وغنموا أموالهم وعادوا الى البصرة، وقد جمع الامير أهل السواد فلم يقوموا للعرب وانهزموا، ودخل العرب البصرة فنهبوها ورحلوا عنها.

استيلاء الناصر على خوزستان ثم اصبهان والري وهمذان

كان الناصر قد استناب في الوزارة بعد ابن يونس مؤيد الدين أبا عبدالله محمد بن علي المعروف بابن القصّاب، وكان قد ولي الاعمال في خوزستان وغيرها، وله فيها الاصحاب. ولما توفي صاحبها شملة واختلف اولاده راسله بعضهم في ذلك فطلب من

الناصر أن يرسل معه العساكر ليملكها فأجابه وخرج في العساكر سنة احدى وتسعين، وحارب أهل خوزستان فلك أولاً مدينة تستر. ثم ملك سائر الحصون والقلاع وأخذ بني شملة ملوكها فبعث بهم الى بغداد، وولى الناصر على خوزستان طاش تكين مجير الدين أمير الحاج.

ثم سار الوزير الى جهات الريّ سنة احدى وتسعين، وجاءه قطلغ اينانج بن البهلوان وقد غلبه خوارزم شاه وهزمه عند زنجان، وملك الريّ من يده. وجاء قطلغ الى الوزير مؤيد ورحل معه الى همذان وبها ابن خوارزم شاه في العساكر فأجفل عنها الى الريّ، وملك الوزير همذان، ورحل في اتباعهم، وملك كل بلد مرّوا بها الى الريّ. وأجفل عسكر خوارزم الى دامغان وبَسطام وجرجان. ورجع الوزير الى الريّ فأقام بها. ثم انتقض قطلغ بن البهلوان، وطمع في الملك فامتنع بالريّ وحاصره الوزير فخرج عنها الى مدينة آوه فمنعهم الوزير منها ورحل الوزير في أثرهم من الريّ الى همذان، وبلغه ان قطلغ قصد مدينة الكرج فسار اليه وقاتله وهزمه، ورجع الى همذان فجاءه رسول خوارزم شاه محمد تكش بالنكير على الوزير في أخذ البلاد، ويطلب اعادتها فلم يجبه الوزير الى ذلك فسار خوارزم شاه الى همذان وقد توفي الوزير ابن القصّاب خلال ذلك في شعبان سنة اثنتين وتسعين فقاتل العساكر التي كانت معه بهمذان وهزمهم، وملك همذان وترك ولده باصبهان،

وكانوا يبغضون الخوارزمية فبعث صدر الدين الُخجَنْدِيّ رئيس الشافِعِيّة الى الديوان ببغداد يستدعي العساكر لملكها، فجهز الناصر العساكر مع سيف الدين طغرل يقطع بلد اللحف [1] من العراق، وسار فوصل أصبهان، ونزل ظاهر البلد، وفارقها عسكر الخوارِزْمِيّة فملكها طغرل، وأقام فيها الناصر وكان من مماليك البهلوان.

ولما رجع خوارزم شاه الى خراسان، اجتمعوا واستولوا على الريّ، وقدموا عليهم كركجه من أعيانهم، وساروا الى أصبهان فوجدوا بها عسكر الناصر وقد فارقها عسكر الخوارزمية فلكوا أصبهان، وبعث كركجه الى بغداد بالطاعة، وأن يكون له الريّ وساوة وقم وقاشان. ويكون للناصر اصبهان وهمذان وزنجان وقزوين فكتب له بما طلب وقوي أمره.

ثم وصل الى بغداد أبو الهيجاء السمين من أكابر أمراء بني أيوب، وكان في اقطاعه بيت المقدس وأعماله فلما ملك العزيز والعادل مدينة دمشق من الافضل بن صلاح الدين عزلوا أبا الهيجاء عن القدس، فسار الى بغداد فأكرمه الناصر وبعثه بالعساكر الى همذان سنة ثلاث وتسعين فلقي بها أزبك بن البلهوان وأمير علم وابنه قطلمش، وقد كاتبوا الناصر بالطاعة فداخل أمير علم وقبض على ازبك وابن قطلمش بموافقته، وأنكر الناصر ذلك على أبي الهيجاء

(١) كذا بالأصل ويظهر من سياق العبارة أنها بلدة على حدود فارس. وفي الكامل ج ٩ ص ٢٣٤ : في هذه السنة جهز الخليفة الناصر لدين الله جيشاً وسيره إلى أضفهان، ومقدمهم سيف الدين طغرل، مقطع بلد «اللحف» من العراق.

وأمره باطلاقهم. وبعث اليهم بالخلع فلم يأمنوا، وفارقوا أبا الهيجاء فخشي من الناصر ودخل الى اربل لانه كان من اكرادها، ومات قبل وصوله اليها.

وأقام كركجه ببلاد الجبل واصطنع رفيقه ايدغمش، واستخلصه ووثق به فاصطنع ايدغمش المماليك، وانتقض عليه آخر المائة السادسة، وحاربه فقتله واستولى على البلاد. ونصب أزبك بن البهلوان للملك وكفله. ثم توفي طاش تكين أمير خوزستان سنة اثنتين وستمائة، وولى الناصر مكانه صهره سنجر وهو من مواليه. وسار سنجر سنة ثلاث وستمائة الى جبال تركستان جبال منيعة بين فارس وعُمان وأصبهان وخوزستان، وكان صاحب هذه الجبال يعرف بأبي طاهر، وكان للناصر مولى اسمه قشتمر من أكابر مواليه، ساءه وزير الدوله ببعض الاحوال فلحق بأبي طاهر صاحب تركستان فأكرمه وزوّجه بابنته.

ثم مات أبو طاهر فأطاع أهل تلك الولاية قشتمر وملك عليهم، وبعث الناصر الى سنجر صاحب خوزستان يعضده في العساكر فسار اليه وبذل له الطاعة على البعد. فلم يقبل منه فلاقيه وقاتله فانهزم سنجر، وقوي قشتمر على أمره، وأرسل الى ابن دكلا صاحب فارس، والى ايدغمش صاحب الجبل فاتفق معهما على الامتناع على الناصر واستمرّ حاله.

عزل الوزير نصير الدين

كان نصير الدين ناصر بن مهدي العلوي من أهل الريّ من

بيت امارة، وقدم الى بغداد عندما ملك الوزير ابن القصّاب الريّ فأقبل عليه الخليفة، وجعله نائب الوزارة. ثم استوزره وجعل ابنه صاحب المخزن فتحكم في الدولة، وأساء الى أكابر موالي الناصر فلما حج مظفر الدين سنقر المعروف بوجه السبع سنة ثلاث وستمائة، وكان أميراً ففارق الحاج ومضى الى الشام، وبعث الى الناصر انّ الوزير ينفي عليك مواليك (١) ويريد أن يدّعي الخلافة فعزله الناصر، وألزمه بيته. وبعث من كل شيء ملكه، ويطلب الاقامة بالمشهد فأجابه الناصر بالامان والاتفاق، وانّ المعزلة (٢) لم تكن لذنب، وانما أكثر الاعداء المقالات فوقع ذلك. واحترز لنفسه موضعاً ينتقل اليه موقراً محترماً فاختار أيالة الناصر، خوفاً أن يذهب الاعداء بنفسه.

ولما عزل عاد سنقر أمير الحاج، وعاد أيضاً قشتمر، وأقيم نائباً في الوزارة فخر الدين أبو البدر ومحمد بن أحمد بن اسمينا الواسطي، ولم يكن له ذلك التحكم، وقارن ذلك وفاة صاحب المخزن ببغداد أبو فراس نصر بن ناصر ابن مكي المدائني فولى مكانه أبو الفتوح المبارك بن عضد الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء، وأعلى محله، وذلك في المحرّم سنة خمس وستمائة. ثم عزل آخر السنة لعجزه، ثم عزل في ربيع من سنة ست وستمائة

(١) كذا بالأصل، وفي الكامل ج ٩ ص ٢٩٧: وأرسل يعتذر ويقول إن الوزير يريد أن لا يبقي في خدمة الخليفة أحداً من مماليكه، ولا شك أنه يريد أن يدعي الخلافة.

(٢) بمعنى العزل من الخدمة.

فخر الدين بن امسينا، ونقل الى المخزن، وولي نيابة الوزارة مكانه مكين الدين محمد بن محمد بن محمد بن بدر القمر كاتب الانشاء ولقب مؤيد الدين.

انتقاض سنجر بخوزستان

قد ذكرنا ولاية سنجر مولى الناصر على خوزستان بعد طاش تكين أمير الحاج، ثم استوحش سنة ست وستمائة واستقدمه الناصر فاعتذر فبعث اليه العساكر مع مؤيد الدين نائب الوزارة، وعز الدين بن نجاح الشرابي من خواص الخليفة. فلما قاربته العساكر لحق بصاحب فارس أتابك سعد بن دكلا فأكرمه ومنعه، ووصلت عساكر الخليفة خوزستان في ربيع من سنته، وبعثوا الى سنجر في الرجوع الى الطاعة فأبى وساروا الى ارجان لقصد ابن دكلا بشيراز، والرسل تتردّد بينهم. ثم رحلوا في شوّال يريدون شيراز فبعث ابن دكلا الى الوزير والشرابي بالشفاعة في سنجر واقتضاء الامان له فأجابوه الى ذلك، وأعادوا سنجر الى بغداد في المحرّم سنة ثمان وستمائة، ودخلوا به مقيداً. وولي الناصر مولاه ياقوتاً أمير الحاج على خوزستان. ثم أطلق الناصر سنجر في صفر من سنة ثمان وستمائة وخلع عليه.

استيلاء منكلي على بلاد الجبل واصبهان وهرب ايدغمش ثم مقتله ومقتل منكلي وولاية أغلمش

قد ذكرنا استيلاء ايدغمش من امراء البَهْلوانِيَّةِ على بلاد الجبل:

هَمَذان وأصْبَهان والري وما اليها فاستفحل فيها، وعظم شأنه، وتخطى الى أذْرَبَيْجَان وأرَانِيه فحاصر صاحبها أزبك بن البهلوان. ثم خرج سنة ثمان وستمائة منكلي من البهلوانية، ونازعه الملك، وأطاعه البهلوانية فاستولى على سائر تلك الاعمال. وهرب شمس الدين ايدغمش الى بغداد، وأمر الناصر بتلقيه فكان يوماً مشهوداً. وخشي منكلي من اتصاله فأوفد ابنه محمداً في جماعة من العسكر وتلقاه الناس على طبقاتهم، وقد كان الناصر شرع في امداد ايدغمش فأمده وسار الى همذان في جمادى من سنة عشر، ووصل الى بلاد ابن برجم من التركمان الايوبية، وكان الناصر عزله عن امارة قومه، وولى أخاه الاصغر فبعث الى منكلي بخبر ايدغمش فبعث العساكر بطلبه فقتلوه وافترق جمعه.

وبعث الناصر الى ازبك بن البهلوان صاحب أذربيجان وارانية يغريه به وكان مستوحشاً منه. وأرسل أيضاً الى جلال الدين صاحب قلعت الموت وغيرها من قلاع الاسماعيلية من بلاد العجم بمعاضدة أزبك على أن يقتسموا بلاد الجبل، وجمع الخليفة العساكر من الموصل والجزيرة وبغداد، وقدّم على عسكر بغداد مملوكه مظفر الدين وجهُ السبع، واستقدم مظفر الدين كوكبرى بن زين الدين كوجك، وهو على أربل وشهرزور وأعمالها، وجعله مقدم العساكر جميعاً. وساروا الى همذان فهرب منكلي الى جبل قريب من الكرج، وأقاموا عليه يحاصرونه، ونزل منكلي في بعض الايام فقاتل أزبك

وهزمه الى مخيمه . ثم جاء من الغد وقد طمع فيهم فاشتدوا في قتاله وهزموه فهرب عن البلاد اجمع، وافترقت عساكره، واستولت العساكر على البلاد، وأخذ جلال الدين ملك الاسماعيلية منها ما عينته القسمة . وولي أزبك بن البهلوان على بقية البلاد اغلمش مملوك أخيه، وعادت العساكر الى بلادها، ومضى منكلي منهزماً الى مدينة ساوة فقبض عليه الشِحْنة بها وقتله وبعث أزبك برأسه الى بغداد وذلك في جمادى سنة اثنتي عشرة .

ولاية حافد الناصر على خوزستان

كان للناصر ولد صغير اسمه عليّ وكنيته أبو الحسن قد رشحه لولاية العهد وعزل عنها ابنه الاكبر، وكان هذا أحب ولده إليه فمات في ذي القعدة سنة عشر فتفجع له وحزن عليه حزناً لم يسمع بمثله . وشمل الأسف عليه الخاص والعام . وكان ترك ولدين لقبهما المؤيد والموفق فبعثهما الناصر الى تستر من خوزستان بالعساكر في المحرّم سنة ثلاث عشرة وبعث معهما مؤيد الدين نائب الوزارة، وعزل مؤيد الدين الشرابي فاقاما بها أياماً . ثم أعاد الموفق مع الوزير والشرابي الى بغداد في شهر ربيع، وأقام المؤيد بتستر .

استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل وطلب الخطبة له ببغداد

كان اغلمش قد استولى على بلاد الجبل كما ذكرناه، واستفحل أمره وقوي ملكه فيها . ثم قتله الباطنية سنة أربع عشرة وستمائة. وكان علاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه وارث ملك السلجوقيّة

قد استولى على خراسان وما وراء النهر فطمع في اضافة هذه البلاد اليه، فسار في عساكره واعترضه صاحب بلاد فارس أتابك سعد ابن دكلا على اصبهان، وقد ساقه من الطمع في البلاد مثل الذي ساقه فقاتله وهزمه خوارزم وأخذه أسيراً. ثم سار الى ساوة فملكها، ثم قزوين وزنجان وابهر، ثم همذان ثم اصبهان وقم وقاشان. وخطب له صاحب أذربيجان وأرانيه، وكان يبعث في الخطبة الى بغداد ولا يجاب فاعتزم الآن على المسير اليها، وقدم أميراً في خمسة عشر ألف فارس، وأقطعه حُلوان فنزلها. ثم أتبعه بأمير آخر فلما سار عن همذان سقط عليهم الثلج وكادوا يهلكون، وتخطف بقيتهم بنو برجم من التركمان وبنو عكا من الاكراد. واعتزم خوارزم شاه على الرجوع الى خراسان، وولى على همذان طابسين، وجعل امارة البلاد كلها لابنه ركن الدين وأنزل معه عماد الملك المساوي متولياً أمور دولته، وعاد الى خراسان سنة خمس عشرة وأزال الخطبة للناصر من جميع أعماله.

اجلاء بني معروف عن البطائح

كان بنو معروف هؤلاء من ربيعة ومقدّمهم معلى، وكانت رحالهم غربيّ الفرات قرب البطائح فكثر عيثهم وافسادهم السابلة، وارتفعت شكوى أهل البلاد الى الديوان منهم فرسم للشريف سعد متولي واسط وأعمالها أن يسير الى قتالهم واجلائهم، فجمع العساكر من تكريت وهيت والحديثة والانبار والحلة والكوفة

وواسط والبصرة فهزمهم واستباحهم، وتقسموا بين القتل والاسر والغرق وحملت الرؤس الى بغداد في ذي القعدة سنة عشر .

ظهور التتر

ظهرت هذه الامّة من أجناس الترك سنة ست عشرة وستمائة، وكانت جبال طمغاج من أرض الصين بينها وبين بلاد تركستان ما يزيد على ستة أشهر ، وكان ملكهم يسمى جنكزخان ، من قبيلة يعرفون نوحى فسار الى بلاد تركستان وما وراء النهر وملكها من أيدي الخطا ؛ ثم حارب خوارزم شاه الى ان غلبه على ما في يده من خراسان وبلاد الجبل ، ثم تخطى أرانيه فملكها . ثم ساروا الى بلاد شروان وبلد اللان واللكز فاستولوا على الامم المختلفة بتلك الاصقاع . ثم ملكوا بلاد قنجاق، وسارت طائفة أخرى الى غزنة وما يجاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان فلكوا ذلك كله في سنة أو نحوها، وفعلوا من العيث والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله في غابر الازمان . وهزموا خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فلحق بجزيرة في بحر طبرستان فامتنع بها الى أن مات سنة سبع عشر وستمائة لاحدى وعشرين سنة من ملكه . ثم هزموا ابنه جلال الدين بغزنة واتبعه جنكزخان الى نهر السند فعبر الى بلاد الهند، وخلص منهم وأقام هنالك مدة . ثم رجع سنة اثنتين وعشرين الى خوزستان والعراق . ثم ملك اذربيجان وأرمينية

الى أن قتله المظفر حسبما نذكر ذلك كله مقسما بين دولتهم ودولة بني خوارزم شاه، أو مكرراً فيها . فهنالك تفصيل هذا المحل من أخبارهم والله الموفق بمنه وكرمه .

وفاة الناصر وخلافة الظاهر ابنه

ثم توفي أبو العباس أحمد الناصر بن المستضيء في آخر شهر رمضان سنة اثنتين وعشرين وستمائة لسبع وأربعين سنة من خلافته ، بعد أن عجز عن الحركة ثلاث سنين من آخر عمره ، وذهبت احدى عينيه وضعف بصر الاخرى . وكانت حاله مختلفة في الجدّ واللعب ، وكان متفننا في العلوم ، وله تآليف في فنون منها متعدّدة ، ويقال انه الذي أطمع التتر في ملك العراق لما كانت بينه وبين خوارزم شاه من الفتنة ، وكان مع ذلك كثيراً ما يشتغل برمي البندق واللعب بالحمام المناسيب [1] ، ويلبس سراويل الفتوّة شأن العيّارين من أهل بغداد . وكان له فيها سند الى زعمائها يقتصه على من يلبسه اياها ، وكان ذلك كله دليلاً على هرم الدولة وذهاب الملك عن أهلها بذهاب ملاكها منهم . ولما توفي بويع ابنه أبو نصر محمد ، ولقب الظاهر ، وكان ولي عهده عهد له أوّلا سنة خمس وثمانين وخمسمائة ، ثم خلعه من العهد وعهد لاخيه الصغير عليّ لميله اليه . وتوفي سنة اثنتي عشرة فاضطرّ الى اعادة هذا فلما بويع بعد أبيه أظهر من العدل والاحسان ما حمد منه ،

(١) بمعنى: المختارة أو المأصلة، وهي عامية.

ويقال انه فرّق في العلماء ليلة الفطر التي بويع فيها مائة ألف دينار.

وفاة الظاهر وولاية ابنه المستنصر

ثم توفي الظاهر أبو نصر محمد في منتصف رجب سنة ثلاث وعشرين وستمائة لتسعة أشهر ونصف من ولايته، وكانت طريقته مستقيمة وأخباره في العدل مأثورة. ويقال انه قبل وفاته كتب بخطه الى الوزير توقيعاً يقرؤه على أهل الدولة فجاء الرسول به، وقال: أمير المؤمنين يقول ليس غرضنا أن يقال برز مرسوم وأنفذ مثال، ثم لا يتبين له أثر، بل انتم الى إمام فعال أحوج منكم الى إمام قوّال.

ثم تناولوا الكتاب وقرؤه فاذا فيه بعد البسملة انه ليس إمهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا، ولكن لنبلوكم أيكم أحسنُ عملاً، وقد غفرنا لكم ما سلف من اخراب البلاد، وتشريد الرعايا، وتقبيح السنة، واظهار الباطل الجلي في صورة الحق الخفي حيلة ومكيدة، وتسمية الاستئصال والاجتياح استيفاء واستدراكاً للاغراض؛ انتهزتم فرصتها مختلسة من براثن ليث باسل، وأنياب أسد مهيب، تنطقون بألفاظ مختلفة على معنى واحد، وأنتم أمناؤه وثقاته فتميلون رأيه الى هواكم ماطلتم بحقه، فيطيعكم وأنتم له عاصون، ويوافقكم وأنتم له مخالفون والآن فقد بدّل الله سبحانه بخوفكم أمناً، وفقركم غنى وباطلكم حقاً. ورزقكم سلطاناً يقيل العثرة ولا يؤاخذ الّا من أصر ولا ينتقم الا ممن استمر، يأمركم بالعدل، وهو يريده منكم،

وينهاكم عن الجور وهو يكرهه، يخاف الله فيخوفكم مكره، ويرجو الله تعالى ويرغبكم في طاعته فان سلكتم مسالك نواب خلفاء الله في أرضه وأمنائه على خلقه والا هلكتم والسلام .

ولما توفي بويع ابنه أبو جعفر المُسْتَنْصِر وسلك مسالك أبيه إلّا أنه وجد الدولة اختلفت ، والاعمال قد انتقضت والجباية قد انتقصت ، أو عدمت فضاقت عن أرزاق الجند وأعطياتهم فأسقط كثيراً من الجند ، واختلفت الاحوال . وهو الذي أعاد له محمد ابن يوسف بن هود دعوة العبَّاسِيَّة بالاندلس آخر دولة الموحّدين بالمغرب فولّاه عليها ، وذلك سنة تسع وعشرين وستمائة كما يذكر في أخبارهم . ولآخر دولته ملك التتر بلاد الروم من يد غياث الدين كنخسرو ، وآخر ملوك بني قليج ارسلان ، ثم تخطوها الى بلاد ارمينية فملكوها . ثم استأمن اليهم غياث الدين فولوه من قبلهم وفي طاعتهم كما يذكر في اخبارهم ان شاء الله تعالى انتهى .

وفاة المستنصر وخلافة المستعصم اخر بني العباس ببغداد

لم يزل هذا الخليفة المستنصر ببغداد في النطاق الذي بقي لهم بعد استبداد اهل النواحي كما قدّمنا . ثم انحل امرهم من هذا النطاق عروة، وتملك التتر سائر البلاد، وتغلبوا على ملوك النواحي ودولهم اجمعين ، ثم زاحموهم في هذا النطاق وملكوا اكثره . ثم توفي المستنصر سنة احدى واربعين لست عشرة سنة من خلافته، وبويع بالخلافة ابنه عبد الله ولقب المستعصم ، وكان فقيها محدّثاً .

وكان وزيره ابن العلقمي رافضياً، وكانت الفتنة ببغداد لا تزال متصلة بين الشيعة واهل السنة، وبين الحنابلة وسائر اهل المذاهب، وبين العيارين والدعار والمفسدين مبدأ الامراء الأول، فلا تتجدد فتنة بين الملوك وأهل الدول الا ويحدث فيها بين هؤلاء ما يعني أهل الدولة خاصة زيادة لما يحدث منهم أيام سكون الدول واستقامتها، وضاقت الاحوال على المستعصم فأسقط أهل الجند وفرض أرزاق الباقين على البياعات والاسواق، وفي المعايش فاضطرب الناس وضاقت الاحوال وعظم الهرج ببغداد، ووقعت الفتن بين الشيعة وأهل السنة، وكان مسكن الشيعة بالكرخ في الجانب الغربي وكان الوزير ابن العلقمي منهم فسطوا بأهل السنة، وانفذ المستعصم ابنه أبا بكر وركن الدين الدوادار، وأمرهم بنهب بيوتهم بالكرخ ولم يراع فيه ذمة الوزير فآسفه ذلك، وتربص بالدولة وأسقط معظم الجند يموّه بأنه يدافع التتر بما يتوفر من أرزاقهم في الدولة.

وزحف هلاكو ملك التتر سنة اثنتين وخمسين الى العراق، وقد فتح الري واصبهان وهمذان، وتتبع قلاع الاسماعيلية، ثم قصد قلعة الموت سنة خمس وخمسين فبلغه في طريقه كتاب ابن الموصلايا صاحب اربل، وفيه وصية ابن العلقمي وزير المستعصم الى هلاكو يستحثه لقصد بغداد، ويهون عليه أمرها فرجع عن بلاد الاسماعيلية، وسار الى بغداد واستدعى أمراء التتر فجاءه بنحو مقدم العسكر ببلاد الروم، وقد كانوا ملكوها. ولما قاربوا بغداد

برز للقائهم ايبك الدوادار في العساكر فانكشف التتر أولا ثم تذامروا فانهزم المسلمون واعترضهم دون بغداد أوحال مياه من بثوق انتفثت من دجلة؛ فتبعهم التتر دونها، وقتل الدوادار، وأسر الامراء الذين معه.

ونزل هلاكو بغداد، وخرج اليه الوزير مؤيد الدين بن العلقمي فاستأمن لنفسه ورجع بالامان الى المستعصم، وانه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم. فخرج المستعصم ومعه الفقهاء والاعيان فقبض عليه لوقته، وقتل جميع من كان معه. ثم قتل المستعصم شدخاً بالعُمُد ووطأً بالاقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت، وذلك سنة ست وخمسين. وركب الى بغداد فاستباحها واتصل العيث بها أياماً، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤسهم المصاحف والالواح فداستهم العساكر وماتوا اجمعين. ويقال ان الذي أحصي ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وتسعمائة ألف، واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ، وألقيت كتب العلم التي كانت بخزائنهم جميعاً في دجلة، وكانت شيأ لا يعبر عنه مقابلة في زعمهم بما فعله المسلمون لاول الفتح في كتب الفرس وعلومهم.

واعتزم هلاكو على اضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته. ثم بعث العساكر الى ميافارقين فحاصروها سنين، ثم جهدهم الحصار واقتحموها عنوة وقتل حاميتها جميعاً واميرهم من بني أيوب،

وهو الملك ناصر الدين محمد بن شهاب الدين غازي بن العادل أبي بكر بن أيوب وبايع له صاحب الموصل، وبعث بالهدية والطاعة وولاه على عمله. ثم بعث بالعساكر الى اربل فحاصرها وامتنعت فرحل العساكر عنها؛ ثم وصل اليه صاحبها ابن الموصلايا فقتله واستولى على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة كلها، وتاخم الشام جميع جهاته حتى زحف اليه بعد كما يذكر، وانقرض أمر الخلافة الاسلامية لبني العباس ببغداد، وأعاد لها ملوك الترك رسماً جديداً في خلفاء نصبوهم هنالك من اعقاب الخلفاء الاولين، ولم يزل متصلاً لهذا العهد على ما نذكر الآن. ومن العجب أنّ يعقوب ابن اسحاق الكندي فيلسوف العرب ذكر في ملاحمه وكلامه على القرآن الذي دل على ظهور الملة الاسلامية العربية أن انقراض أمر العرب يكون أعوام الستين والستمائة فكان كذلك، وكانت دولة بني العباس من يوم بويع للسفاح سنة اثنتين وثلاثين ومائة الى أن قتل المعتصم سنة خمس وستمائة خمسمائة سنة وأربعاً وعشرين وعدد خلفائهم ببغداد سبعة وثلاثون خليفة. والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين.

المستعصم بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي الراشد بن المسترشد بن المستظهر المقتدي بأمر الله بن محمد

بن القائم بن القادر

الواثق بن المعتصم المأمون الأمين بن الرشيد الهادي بن المهدي بن المنصور السفاح محمد بن علي بن عبد الله بن عباس

الطائع بن المطيع المستكفي المتقي الراضي القاهر المرتضى بالله المقتدر المكتفي بن المعتضد المعتمد المهتدي المعتز المستعين المنتصر بن المتوكل

الخبر عن الخلفاء العباسيين المنصوبين بمصر من بعد انقراض الخلافة ببغداد ومبادئ امورهم وتصاريف احوالهم

لما هلك المستعصم ببغداد، واستولى التتر على سائر الممالك الاسلامية فافترق شمل الجماعة ، وانتثر سِلْكُ الخِلافة، وهرب القرابة المرشحون، وغير المرشحين، من قصور بغداد فذهبوا في الارض طولاً وعرضاً، ولحق بمصر كبيرهم يومئذ أحمد ابن الخليفة الظاهر، وهو عم المستعصم وأخو المستنصر، وكان سلطانها يومئذ الملك الظاهر بيبرس، ثالث ملوك الترك بعد بني أيوب بمصر والقاهرة فقام على قدم التعظيم، وركب لتلقيه وسر بقدومه، وكان وصوله سنة تسع وخمسين فجمع الناس على طبقاتهم بمجلس الملك بالقلعة، وحضر القاضي يومئذ تاج ابن بنت الاغر فاثبت نسبه في بيت الخلفاء بشهادة العرب الواصلين معه بالاستفاضة، ولم يكن شخصه خفيّاً، وبايع له الظاهر وسائر الناس، ونصبه للخلافة الاسلاميّة ولقبوه المستنصر، وخطب له على المنابر، ورسم اسمه في السكة . وصدرت المراسم السلطانية بأخذ البيعة له في سائر أعمال السلطان، وفوّض هو للسلطان الملك الظاهر سائر أعماله، وكتب تقليده بذلك، وركب السلطان ثاني يومه الى خارج البلد، ونصب خيمة يجتمع الناس فيها فاجتمعوا وقرأ كتاب التقليد .

وقام السلطان بأمر هذا الخليفة ورتب له أرباب الوظائف والمناصب الخلافية من كل طبقة، وأجرى الارزاق السنيّة وأقام

له الفسطاط والآلة . ويقال أنفق عليه في معسكره ذلك ألف ألف دينار من الذهب العين، واعتزم على بعثه الى بلاد العراق لاسترجاعه ممالك الاسلام من يد أهل الكفر . وقد كان وصل على اثر الخليفة صاحب الموصل، وهو اسماعيل الصالح بن لؤلؤ، أخرجه التتر من ملكه بعد مهلك أبيه فامتعض له الملك الظاهر، ووعده باسترجاع ملكه وخرج آخر هذه السنة مشيعاً للخليفة والصالح بن لؤلؤ، ووصل بهما الى دمشق فبالغ هنالك في تكرمتهما، وبعث معهما أميرين من أمرائه مدداً لهما، وأمرهما أن ينتهيا معهما الى الفرات . فلما وصلوا الفرات بادر الخليفة بالعبور، وقصد الصالح ابن لؤلؤ الموصل، واتصل الخبر بالتتر فجردوا العساكر للقائه، والتقى الجمعان بعانة، وصدموه هنالك فصادمهم قليلاً؛ ثم تكاثروا عليه فلم يكن له بهم طاقة، وأبلى في جهادهم طويلاً؛ ثم استشهد رحمه الله .

وسارت عساكر التتر الى الموصل فحاصروا الصالح اسماعيل بها سبعة أشهر، وملكوها عليه عنوة، وقتل رحمه الله . وتطلب السلطان بمصر الملك الظاهر بعده آخر من أصل هذا البيت يقيم برسم الخلافة الاسلامية، وبينما هو يسائل الركبان عن ذلك إذ وصل رجل من بغداد ينسب الى الراشد بن المسترشد . قال صاحب حماة في تاريخه عن نسابة مصر : انه أحمد بن حسن بن أبي بكر ابن الامير أبي علي ابن الامير حسن بن الراشد . وعند العباسيين

السليمانيين في درج نسبهم الثابت انه أحمد بن أبي بكر بن علي ابن أحمد بن الامام المسترشد، انتهى كلام صاحب حماة. ولم يكن في آبائه خليفة فيما بينه وبين الراشد. وبايع له بالخلافة الاسلامية ولقبه الحاكم، وفوض هو اليه الامور العامة والخاصة، وخرج هو له عن العهدة وقام حافظاً لسياج الدين باقامة رسم الخلافة. وعمرت بذكره المنابر، وزينت باسمه السكة، ولم يزل على هذا الحال أيام الظاهر بيبرس، وولديه بعده، ثم أيام الصالح قلاون وابنه الأشرف، وطائفة من دولة ابنــه الملك الناصر محمد بن قلاون الى أن هلك سنة احدى وسبعمائة، ونصب أبنه أبو الربيع سليمان للخلافة بعده، ولقبه المستكفي. وحفظ به الرسم وحضر مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون للقاء التتر في النوبتين اللتين لقيهم فيها فاستوحش منه السلطان بعض أيامه، وأنزله بالقلعة، وقطعه عن لقاء الناس عاماً أو نحوه. ثم أذن له في النزول الى بيته ولقائه الناس اذا شاء، وكان ذلك سنة ست وثلاثين.

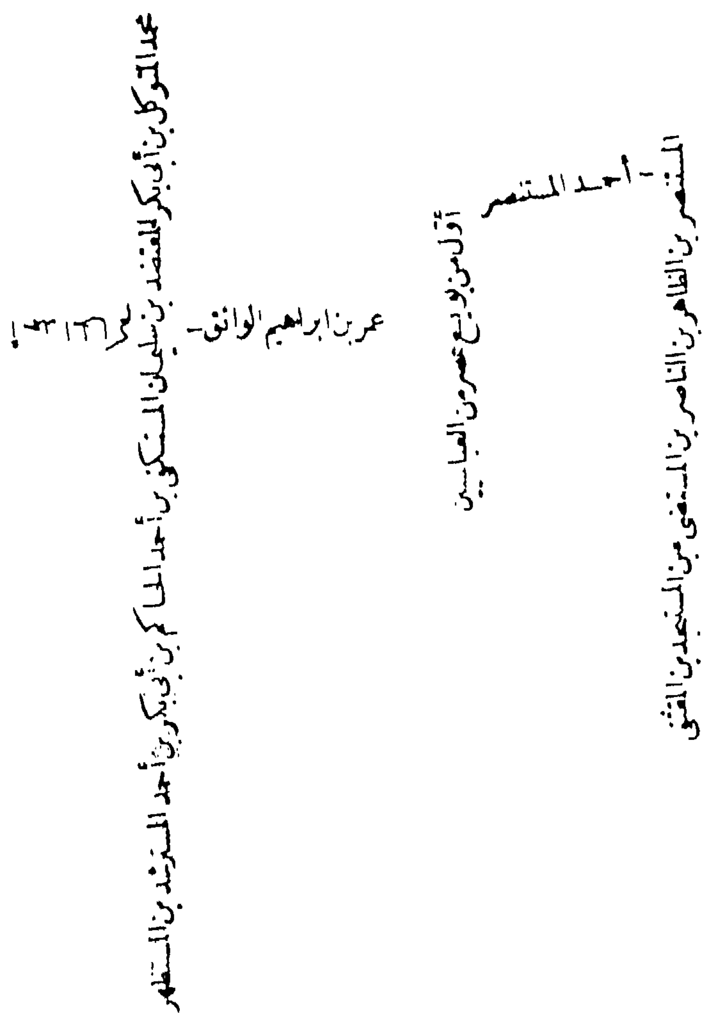
ثم تجددت له الوحشة وغرّب به الى قوص سنة ثمان وثلاثين؛ ثم هلك الخليفة أبو الربيع سنة أربعين قبل مهلك الملك الناصر رحمها الله تعالى. وكان عهد بالخلافة لابنه أحمد فبويع له، ولقب الحاكم ثم بدا للسلطان في إمضاء عهد أبيه بذلك فعزله، واستبدل منه بأخيه ابراهيم، ولقب الواثق. وكان مهلك الناصر لأشهر قريبة من ذلك فأعادوا أحمد الحاكم وليّ عهد أبيه سنة إحدى

وأربعين، وأقام في الخلافة الى سنة ثلاث وخمسين . وهلك رحمه الله فولي من بعده أخوه أبو بكر ولُقِّب المعتضد، ولم يزل مقيماً لرسم الخلافة الى أن هلك لعشرة أعوام من خلافته سنة ثلاث وستين ، ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل فأقام برسم الخلافة، وحضر مع السلطان الاشرف شعبان ابن حسين بن الملك الناصر عام انتقض عليه الترك في طريقه الى الحج. وفسد أمره، ورجع الفلّ الى مصر وطلبه أمراء الترك في البيعة له بالسلطنة مع الخلافة فامتنع من ذلك . ثم خلعه ايبك من أمراء الترك المستبدين أيام سلطانه بالقاهرة سنة تسع وتسعين لمغاضبة وقعت بينهما . ونصب للخلافة زكريا ابن عمه ابراهيم الواثق فلم يطل ذلك، وعزل زكريا لايام قليلة، وأعاده الى منصبه الى أن كانت واقعة قرط التركماني من أمراء العساكر بمصر ومداخلته للمفسدين في الثورة بالسلطان الملك الظاهر أبي سعيد برقوق سنة خمس وثمانين، وسعى عند السلطان بأنه ممن داخله قرط هذا فاستراب به وحبسه بالقلعة سنة ستين وأدال منه بعمر ابن عمه الواثق ابراهيم ولقبه (١) فأقام ثلاثاً أو نحوها ثم هلك رحمه الله آخر عام ثمانية وثلاثين، ونصب السلطان عوضه أخاه زكريا الذي كان ايبك نصبه كما قدّمنا ذكره . ثم حدثت فتنة بليقا الناصري صاحب حلب سنة احدى وتسعين وسبعمائة . وتعالى على السلطان بحبسه الخليفة، وأطال النكير في

(١) كذا بياض بالأصل، ولم نهتد إلى لقبه في المراجع التي بين أيدينا.

ذلك فأطلق السلطان الخليفة محمد المتوكل من محبسه بالقلعة، وأعاده الى الخلافة على رسمه الأوّل، وبالغ في تكرمته وجرت فيما بين ذلك خطوب نذكر أخبارها مستوفاة في دولة الترك المقيمين لرسم هؤلاء الخلفاء بمصر. وإنما ذكرنا هنا من أخبارهم ما يتعلق بالخلافة فقط، دون أخبار الدولة والسلطان. وهذا الخليفة المتوكل المنصوب الآن لرسم الخلافة، والمعين لاقامة المناصب الدينية على مقتضى الشريعة، والمبرك بذكره على منابر هذه الايالة تعظيماً لابيهم الظاهر، وجرياً على سنن التبرك بسلفهم، ولكمال الايمان في محبتهم، وتوفية لشروط الامامة بينهم. وما زال ملوك الهند وغيرهم من ملوك الاسلام بالنواحي يطلبون التقليد منه، ومن سلفه بمصر، ويكاتبون في ذلك ملوك الترك بها من بني قلاون وغيره فيجيبونهم إلى ذلك، ويبعثون اليهم بالتقليد والخلع والابهة، ويمدّون القائمين بأمورهم بموادّ التأييد والإعانة بمنّ الله وفضله.

خلفاء العباسيين بعد بغداد



تم المجلّد الثالث ويليه المجلّد الرابع،
أوّله أخبار الدولة العلوية

فهارس "تاريخ" ابن خلدون

المجلد الرابع

وضعها

الاستاذ يوسف اسعد داغر

امين دار الكتب اللبنانية سابقاً

الاختصاصي بفن تنظيم المكتبات وعلم الببليوغرافيا

١ – فهرس الموضوعات
٢ – فهرس اعلام الرجال والنساء
٣ – فهرس الشعوب والقبائل والدول والامم
٤ – فهرس البلدان والامكنة الجغرافية
٥ – فهرس الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف الكتاب
٦ – فهرس لغة ابن خلدون
٧ – فهرس مواد الكتاب

١- فِهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

مرتبة على الهجاء

٢ - فهرس أعلام الرجال والنساء

ابو

اخ

اد

خب

د

سف

سم

ص

ظ

ع

عي

ك

محح

مس

مص

مك

و

يع

٣ - فهرس الشعوب والقبائل والدول والأسر

٤ - فهرس البلدان والأمكنة الجغرافية

ت

خ

د

ظ

ع

ل

و

ي

٥ - فهرس الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف الكتاب

٦- فهرس لغة ابن خلدون

ب

ز

س

ش

ص

٧- فهرس مواد المجلد الثالث

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فَهَارِسُ مَوَادِّ الكِتَابِ

دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.

تلفون: ٣٩٢٢١٦٨/ ٢٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٢٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برقياً: كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN

دَارُ الكِتابِ اللبْنانيّ

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريستول
تلفون: ٧٣٥٧٣١ - ٧٣٥٧٣٢ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)
برقياً: داكلبان - ص.ب.: ١١/٨٣٣٠ - بيروت - لبنان

FAX: (9611) 351433
ATT.: MR. HASSAN EL- ZEIN

IBN KAHLDUN

Volume Six

DAR AL - KITAB AL - MASRI
CAIRO

DAR AL - KITAB AL - LUBNANI
BEIRUT